

• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب



العدد 8

السنة 22



بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعـــوة الحـــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب: الهاتف، 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب ،
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي
485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 8
السنة 22

ربيع الأول 1402
دجنبر 1981

هذا العدد

• • أعطى جلالة الملك نصره الله اشارة الانطلاق لنهضة اعلامية اسلامية ثقافية يتحمل فيها العلماء دورهم الكبير تحت القيادة المؤمنة لعاهلنا المفدى ، وينهض كل مسؤول بمسؤوليته على هدي من التوجيهات المولوية الرشيدة سعيا وراء ازدهار الحياة الفكرية في بلادنا ووصولا الى بلوغ مستوى من التطور في أساليب الدعوة الاسلامية يستجيب لواقعنا وطموحنا المشروع .

وان هذا السلوك الرفيع الذي تتعدد أوجهه بتعدد ميادين العمل والنشاط لهو في الواقع الضمانة الاكيدة لاستقامة خطتنا واستقرار كياننا والوصول بشعبنا الى ارقى مدارج التطور والرفاهية والرخاء .

• وان انتهاج المغرب سبيل الاسلام ، وسيره على طريق السلف الصالح يتجليان لنا اليوم في احياء رسالة العلماء وتجديد دعوتهم وتطوير أسلوبهم ، فلم يكن المغرب عبر تاريخه الطويل الا مركزا للاشعاع الاسلامي ، وقلعة للجهاد الديني ، وحصنا من حصون الملة والدين يلوذ به المستضعفون ، ويلتجيء اليه المهددون في دينهم وحضارتهم، وما الهجرات المتتالية من الاندلس والمغرب العربي وافريقيا الى بلادنا في مختلف اطوار التاريخ الا الدليل القاطع على أن المغرب دار اسلام وجهاد ومقاومة ومواجهة لشتى تحديات الخصوم .

• • وفي الحقيقة ، ان المغرب المسلم ، القوي بنظامه الملكي العتيد ، وباجماع الشعب على مبادىء الوطنية المغربية العربية الاسلامية ، يقف اليوم امام مرحلة جديدة ليواصل دوره التاريخي ويستانف رسالته الحضارية نشرا لدين الله واعلاء لراية الاسلام ، واعزازا لكلمة المسلمين وذودا عن مقدساتهم ، وفي مقدمتها أولي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

• ومن المؤكد ، ونحن نقف على قمة مرحلة جديدة من تاريخنا الحافل بالامجاد والبطولات ، ان للكلمة المؤمنة دورا يتعاظم باستمرار ، وان على العلماء مسؤولية تتضاعف على الدوام وان الجهات المسؤولة عن التوعية والارشاد والتوجيه والتكوين وفي طليعتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، تقدر وظيفتها السامية والامانة الملقاة على كاهل كل فرد فيها . ومن اجل هذا نستطيع أن نقول ان دور مجلة (دعوة الحق) في هذا الميدان من الاهمية بمكان خاصة وهي تتوجه الى الفئات المثقفة من شعبنا ، ويمتد اشعاعها الى الآفاق البعيدة ، ويعبر حدودنا الى افريقيا حيث الملايين من أبنائها يتطلعون الى التنوير والتثقيف . ويشرف المجلة ان يكون دورها المتواضع على هذا المستوى من الاشعاع والامتداد والتوغل .

دعوة الحق

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم



●● للاسلام حضور فكري وسياسي مكثف ونافذ في الساحة العالمية ، وللفكر الاسلامي دور نشيط وفاعل على مستوى التطورات الفكرية والسياسية الدولية . ومكانة هذا الدين في عالمنا المعاصر متميزة وذات اشعاع مؤثر بحيث يمكن الجزم بأن المتغيرات الدولية في شتى فروع المعرفة والابداع والنشاط العقلي ترتبط بشكل أو بآخر بمدى ما يمثله الوجود الاسلامي في غير ما موقع من قوة جذب ودفع ، هذا بصرف النظر عن الامكانات المادية والثقل الاقتصادي الضخم الذي تنفرد به المجموعة الاسلامية والعربية بصورة لا عهد للبشرية بها .

ان الدو الهام الذي يقوم به العالم الاسلامي في ضبط وتحديد مسار العلاقات الدولية لا يمكن أن يكون مجرد انعكاس للثروة والثراء اللذين يزخر بهما ، وأن كان لهذين العنصرين دخل في ذلك ، ولكن الاساس المكين الذي يستند عليه هذا الدور هو قدرة الاسلام على الاشعاع والنفاذ الى ابعد الآفاق ، بحيث يخلف على كل صعيد آثاره الواضحة وطوابعه القائمة الذات . وهذا ما يضفي على الفكر الاسلامي حيوية وديناميكية ويعطيه تلك الصلاحيات الادبية التي تجعل منه فكرا طلائعيا رائدا مؤثرا أشد ما يكون التأثير على الفكر الانساني في مختلف مجالاته وبالتالي فان الشعوب الاسلامية تستفيد من هذا التألق والبروز ان لم يكن في صورة مادية في الوقت الحاضر ، ففي الاقل في المستقبل القريب .

● ورغم كل الاحباطات والهزائم التي تنسب للاسلام بدافع الجهل أو الحقد أو سوء التحليل ، فان الواقع المعاش يقطع بصلاحية هذا الدين لقيادة البشرية ، وقدرته على الارتفاع عن التجارب الفاشلة والاخطاء البشرية ومظاهر العجز والتخبط .

● ولعله من نافلة القول ان الاسلام فوق كل المستويات ومن باب أولى فهو فوق كل الافراد والانظمة ، واشكال الحكم وأساليب التفكير . والاسلام في قواعده ومبادئه وحقائقه الازلية الخالدة ، هو غير (الفكر الاسلامي) لان اقتران الدين بالفكر، يعني ادخاله دائرة الخطأ والصواب ، والضعف والقوة ، والعجز والقدرة ، والنقص والكمال . ولذلك ، فان تحديد المصطلحات والمفاهيم من المسائل الملحة التي لا ينبغي أن تغيب عن أذهان المفكرين .

●● الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة متكامل . هذا هو أساس كل تطور ، وهو المدخل الرئيسي لفهم الاسلام . أما دراسته والتفقه فيه والاشتغال به ،

إفتتاحية

في الدورة الثانية للمجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي بدكار :

• حضور إسلامي قويّ للوفد المغربي

• إبراز رسالة المغرب في افريقيا المسلمة .

●● كان للمغرب حضور قوي في الدوره الثانية للمجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي الذي انعقد بالعاصمة السينغالية دكار في الفترة ما بين 21 و 23 دجنبر عام 1981 . وكان على راس الوفد المغربي السيد مولاي أحمد العلوي وزير الدولة والسيد الهاشمي الفلالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . وضم الوفد السادة الآتية أسماؤهم :

— مولاي مصطفى العلوي رئيس المجلس العلمي بمكناس ممثلا عن المجالس العلمية .
— السيد محمد الفريسي عضو رابطة علماء المغرب ممثلا عن الرابطة .
— السيد محمد الكبير العلوي رئيس قسم التوجيه الديني بالوزارة .
— د. يوسف الكتاني ممثلا عن جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية .
— السيد أبو بكر المنصوري عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية .
— السيد عبد القادر الادريسي رئيس تحرير مجلة (دعوة الحق) .

وننشر فيما يلي نص الكلمة التي حيى بها السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المؤتمر الذي حضره ممثلو 22 دولة افريقية وأسلامية وانعقد تحت اشراف رابطة العالم الاسلامي مع (اعلان دكار) الصادرة عن هذه الدورة . على أن نوالي نشر التوصيات الكاملة مع ورقات العمل التي تقدم بها الوفد المغربي في العدد القادم بحول الله ●●

كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

فخامة رئيس الجمهورية
معالي الامين العام
أصحاب السعادة
ايها السادة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..

يشرفني ويسعدني ان انقل الى هذا الجمع الكريم تحية اسلامية طيبة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، مشفوعة بخالص الدعاء لكم بالتوفيق واطيب الاماني .

ولقد جئت احمل تحايا الشعب المغربي المسلم المرابط ، الى اخوانه في الله ، في هذا البلد الاسلامي الشقيق ، الذي يشرف اليوم باحتضان هذا المؤتمر تاكيدا لهويته الايمانية الاسلامية ، واثباتا لاصالته التاريخية الافريقية .

ان انعقاد مؤتمرنا هذا الذي ترعاه رابطة العالم الاسلامي ، في هذه الظروف ، يجعلني مسوقا الى التذكير بالدور الذي يضطلع به المغرب في الدفاع عن الاسلام والذود عن قيمه ومقوماته ، والانتصار لقضاياه ومطامح ومآل شعوبه وامته . وذلك ربطا للحاضر بالماضي ، الذي تميز وتفرد بالمواقف والوقائع والاحداث التي اعطت للمد الاسلامي نفسا جديدا ، في هذا الجناح الغربي من عالم الاسلام .

وفي ذلك ما فيه من استلهام للعبر واستمداد لحوافز العمل على هدى من الله ورضوان . خاصة ونحن نتهيأ لمواجهة اعباء جديدة في اطار المهام المنوطة بنا كمسؤولين عن الدعوة الاسلامية وامناء على الارث الحضاري الذي خلفه لنا السلف الصالح .

وان للمغرب رسالة اسلامية ذات امتداد واشعاع مستمرين منذ اربعة عشر قرنا . فلقد آل المغرب على نفسه ، منذ ان اكرمه الله بنور الايمان وبنعمة الاسلام ، أن يتحمل مسؤولية التنوير والتوجيه والدعوة الى الله في هذه الربوع من افريقيا ، وواصل رسالته عبر الاحقاب ، مضحيا حين تحين ساعة التضحية ، وباذلا ما وسعه البذل كلما دعا داعي الواجب .



ولست ، هنا ، بصدد تبيان آفاق هذه الرسالة التي ارتبط بها اسم المغرب في مجال حماية بيضة الاسلام واعلاء كلمة الله ، ولكني انما اردت أن المح – ما وسعني التلميح – الى الخصائص والمميزات التي تطبع الذاتية المغربية بين الدول الاسلامية ، مما يجعله في مقدمة الصفوف جهادا وصمودا ومواجهة على شتى الجبهات ، وفي مختلف المراحل .

وهل انا في حاجة الى التذكير بمعركة وادي المخازن – على سبيل المثال لا الحصر – التي كانت حدا فاصلا بين الكفر والايمان في هذه المناطق من افريقيا المسلمة ، والتي انهزمت فيها الجيوش الغازية ، والتي قطعت دابر المستعمر الاوروبي الذي كان يتطلع الى اكتساح المغرب وغزوه تمهيدا للتسرب الى القارة الافريقية واحتلالها ومسخ شخصيتها الاسلامية الافريقية .

ولقد انعكس هذا البعد التاريخي على دور المغرب في العصر الحديث ، فكان كفاحه من اجل



استقلال الشعوب الافريقية ونصرة قضايا التحرير امتدادا طبيعيا لماضيه ، وكان عمله الموصول في مضمار التضامن الاسلامي مع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية استمرارا لما كان عليه حاله من قبل. وهكذا انطلقت من المغرب في مطلع الستينات حركة الوحدة الافريقية ممثلة في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الافريقية التي ما لبثت ان استوت هيكلا قائم الذات دوليا له وزنه في المجتمع العالمي .

ومن المغرب ايضا ، انطلقت الارادة الاسلامية الموحدة لتصنع مصير الشعوب الاسلامية من خلال صياغة أول تنظيم سياسي للعمل الاسلامي العالمي الذي تجسد في مؤتمر القمة الاسلامي الاول .

فمن خلال هذه المحاور الثلاثة ، التاريخي والاسلامي ، والافريقي ، يعمل المغرب في اطار الرسالة المقدسة التي تتحملها قيادته المومنة المتمثلة اليوم في امير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني والمتجلية عبر تاريخه في ملوكه المجاهدين الفاتح الاكبر ادريس بن عبد الله الى يوسف بن تاشفين الى المولى اسماعيل الى الحسن الاول الى المناضل الافريقي الرائد محمد الخامس رضوان الله عليهم .

ولئن كان المغرب ، يواجه اليوم تحديات شرسة ، ويناضل في اكثر من موقع لصيانة كيانه وحماية وحدة ترابه وشرف عقيدته ، فان ما يأتيه من هذا القبيل صادر عن المؤامرة الدولية المحبوكة ضد الاسلام والدول التي تلعب دورا بارزا في ساحته .

بيد ان هذا الضرب من المواجهة لا يعفي المغرب من الاستمرار في الاشعاع ومواصلة اداء الرسالة ، فقد اضحت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بفضل التوجيهات الحكيمة لجلالة الملك رائد البعث الاسلامي معقلا للدعوة والتوجيه الاسلامي، واحدى القلاع العتيدة لنشر الفكر والثقافة الاسلامية،

من خلال نشاطاتها الاجتماعية والانمائية والتربوية والاسلامية المتشعبة ، وما تنشره من كتب وامهات المصنفات الدينية وما تعزز به الصحافة الاسلامية من اسهام بواسطة المجلتين اللتين تشرف عليهما (دعوة الحق) و (الارشاد) وما تقوم به من تشجيع وتنشيط ومساندة للجمعيات الاسلامية والمنظمات التربوية والطلابية ليس فقط في المغرب ولكن في كثير من الجهات وخاصة البلاد الاوربية التي يوجد فيها المسلمون من افارقة وغيرهم والتي يحتاجون فيها وأبناءهم لمن يرعاهم تربويا وخلقيا واسلاميا حتى يحتفظوا بهويتهم وداتيتهم الاسلامية .

ولقد اصبح للدعوة الاسلامية في المغرب تنظيم محكم بعد انشاء المجلس العلمي الاعلى الذي يراسه صاحب الجلالة الملك الحسن بنفسه نظرا لما يوليه للعمل الاسلامي من عناية واهتمام . والمجالس العلمية الاقليمية التي تتولى التخطيط لمهام التوجيه والارشاد والتنسيق مع العلماء والدعاة والمرشدين بهدف تعميم الدعوة لتشمل جميع الاقاليم وتعم كل القطاعات الشعبية وكذلك بعد انشاء رابطة علماء المغرب التي تعمل جاهدة في ميدان الدعوة والتوجيه والافتاء .

السيد رئيس الجمهورية

معالي الامين العام

اصحاب السعادة

ايها السادة الكرام

ان المغرب المسلم المعتز باسلامه المرابط ملكه وشبعه في سبيل اعلاء كلمة الله لا يسعه الا الاعراب عن مساندته لهذا المؤتمر وتأكيده لجهود رابطة العالم الاسلامي التي ما فتئت تواصل الجهد لتعزيز العمل الاسلامي الدولي في مجالاته الثقافية والفكرية والتعليمية .

وليس يخاف ان للرابطة وجودا فاعلا ومؤثرا في القارة الافريقية ، وان الاوان قد آن لمضاعفة الجهد وتكثيف الحضور وتعميق التنسيق بين مختلف اللجان ليثمر الجهد ، وينمو العطاء ، ويتحقق الرجاء باذن الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته



إعلان دكار

صدر عن الدورة الثانيـة للمجلس الافريقي الاسلامي الذي انعقد بالعاصمة السينغالية ايـام 21 ـ 22 ـ 23 دجنبر عام 1981 بيان ختامي يحمـل اسم (اعلان دكار) يتضمـن الخطوط العريضة لاستراتيجيـة العمـل الاسلامي في القارة الافريقيـة . وننشر نص البيان فيما يلـي :

عقد مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي الدورة الثانية لاجتماعاته في داكار ابتـداء من 25 الى 27 صفر 1402 هجرية ، الموافق 21 ـ 23 دسمبـر 1981 م .

وقد تراس الجلسة الافتتاحية فخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال الذي اكـد بحضوره اهمية هذا اللقاء الاسلامي الكبيـر ، كمـا اكتسب هذا اللقاء صبغة خاصة بحضور عدد هائـل من علماء الاسلام الذين تفضلوا بالاستجابـة لنـداء رئيس لجنة تنظيم هذا الاجتماع .

ان حضور فخامة رئيس الجمهورية في الجلسة الافتتاحية وحضور فضيلة الشيـخ محمد علـي الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي وكذلك مشاركة عدد كبير من وزراء حكومات الدول الافريقية اعضاء في المجلس ، كل ذلك يبرهن على الاهميـة المتزايدة التي تعلقها الدول الافريقية على بث القيم الروحية الاسلامية ومنها عامل التقدم للنمو الشامل في افريقيـا .

ولقد اشاد مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي بقيمة المغزى الذي تضمنه خطاب الرئيس السينغالي حول الروح الانسانية للاسلام ، هذا الدين الذي بدا انتشاره انطلاقا من المدينة المنورة حيـث هاجـر الرسول محمد صلى الله عليه وسلـم ، ولهـذا فان المجلس منذ بداية اعماله اتخذ قرارا باعتبار هـذا الخطاب وثيقة رسمية من وثائق الاجتماع .

ومن جهة اخرى فان المجلس يقـدر النداءات التي وجهها رئيس اتحاد الجمعيـة الاسلاميـة في السينغال السيد عبد العزيز سه الابن في خطابـه الترحيبي ، هذا من جهة ، ومن جهـة اخـرى فان الشيخ محمد علي الحركان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ناشد المسلمين في خطابه القيم الاتحـاد وتوحيد كل القوى الاسلامية ان تهب لحماية الاسلام ونشر دعوته حتى تنير كل ارجاء الكون بنور الاسلام وقيمه وتعاليمه السامية .

ولقد رحب المجلس بالرسالة التـي القاهـا سعادة السفير محمد جرا سفير جمهورية مالي بدكار نيابة عن رئيس جمهورية مالي اللواء موسى التراوري والتي عبر فيها عن تهانيه لرابطة العالم الاسلامـي ولمجلس التنسيق الاسلامـي الافريقـي للمهمـة الشريفة التي يقومان بها في افريقيا ودعا في نـفس الوقت المجلس على ان يعقد دورتـه الثالثـة في جمهوريـة مالـي .

ولقد اطلع المؤتمر على التقرير العام القيم الذي قدمه رئيس المجلس سعادة السفير الاستاذ مصطفى سيسي حول نشاطات المنظمة خلال الفترة الماضية تطبيقا للقرارات التي انبثقـت عن الاجتمـاع الاول للمجلس التنسيقي الافريقي الاسلامي المنعقـد في دكار عام 1397 هجرية الموافـق 1976 م والتـي اعتمدتها رابطة العالم الاسلامي لتكون دستورا لجميع المنظمات الاسلامية في القارة الافريقية للوصول الى الاتحاد وتنسيق وتوحيد برامج العمـل لمواجهـة

التيارات الملحدة التي تهدف الى تقويض الايمان وزعزعت اركان المجتمع الافريقي الاسلامي .

كما بين رئيس مجلس التنسيق الافريقي الاسلامي النتائج الايجابية التي تم تحقيقها في نطاق تطبيق برنامج العمل والتي تذكر منها على سبيل المثال الاتصالات المثمرة بعدد من رؤساء الدول الافريقية للمزيد من التعريف بالرابطة والمجلس وكذلك انشاء معهد على المستوى العالي للدراسات الاسلامية بفضل مساندة رابطة العالم الاسلامي .

وقد وافق مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي على كل الاقتراحات الهامة التي تضمنها هذا التقرير وخاصة الاقتراح الذي يتعلق بالاعانات المالية المنتظرة من الحكومات وبالاخص الافريقية ومن رابطة العالم الاسلامي لتوسيع حقل المجلس وتنظيم الدعوة الاسلامية .

ويوجه النداء الى كل الدول الاسلامية الغنية داعيا اياها الى المساهمة في توفير الوسائل الضرورية للقيم بنشر العقيدة والاخلاق الفاضلة التي يدعو اليها الاسلام .

والمجلس بعد دراسة للنقاط المدرجة في جدول اعماله خلال ثلاثة ايام تمت فيها مناقشات صريحة ونزيهة وحكيمة واخوية في جو تعمه الفضائل السامية التي جاء بها الاسلام ، صادق على عدد من القرارات ومنها :

انطلاقا من ان اللغة العربية تحمل في طياتها المصدرين الاساسيين للاسلام وهما الكتاب والسنة النبوية الشريفة .

فان المجلس يوصي كل المسلمين بتعلمها بحيث يتحقق الاتصال المباشر بينه وبين التعاليم الاسلامية التي يلزم ان تخضع لها حياته .

ولهذا فان المجلس يقترح عقد اجتماع على مستوى وزراء التعليم للدول الاعضاء في الرابطة من اجل تنسيق جهودهم وتوحيد امكانياتهم ووسائلهم في سبيل تعليم القرءان الكريم .

وحيث ان القرءان الكريم هو كتاب الله المقدس والموحى به على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

فان المجلس يعتبر حفظه وسيلة تمكن المسلمين من المحافظة عليه ونشره في جميع ارجاء العالم ، وبناء على ذلك يدعو المجلس رابطة العالم الاسلامي الى العمل على زيادة المدارس القرآنية وتجهيزها بوسائل حديثة وكافية .

وبما ان التربية والتعليم عنصران أساسيان لتشييد القيم الاخلاقية والروحية فانه يلزم عاجلا ان يحتلا المكان اللائق بهما في نطاق المنهج الربوي للدول الافريقية من اجل تشجيع الدعوة الاسلامية وتطوير الوعظ .

ولذا ، فالمجلس يطالب بادخال التعليم الديني ضمن برامج التربية والتعليم في جميع المراحل التعليميه .

وبما ان على الاعلام الاسلامي مسؤولية كبيرة في ابلاغ الحقائق الاسلامية الى الناس كافة :

فان المجلس يعلن عن ضرورة ايجاد حلول حية وناجعة للمشاكل الاساسية التي يعيشها الاعلام الاسلامي في افريقيا وفي العالم اجمع .

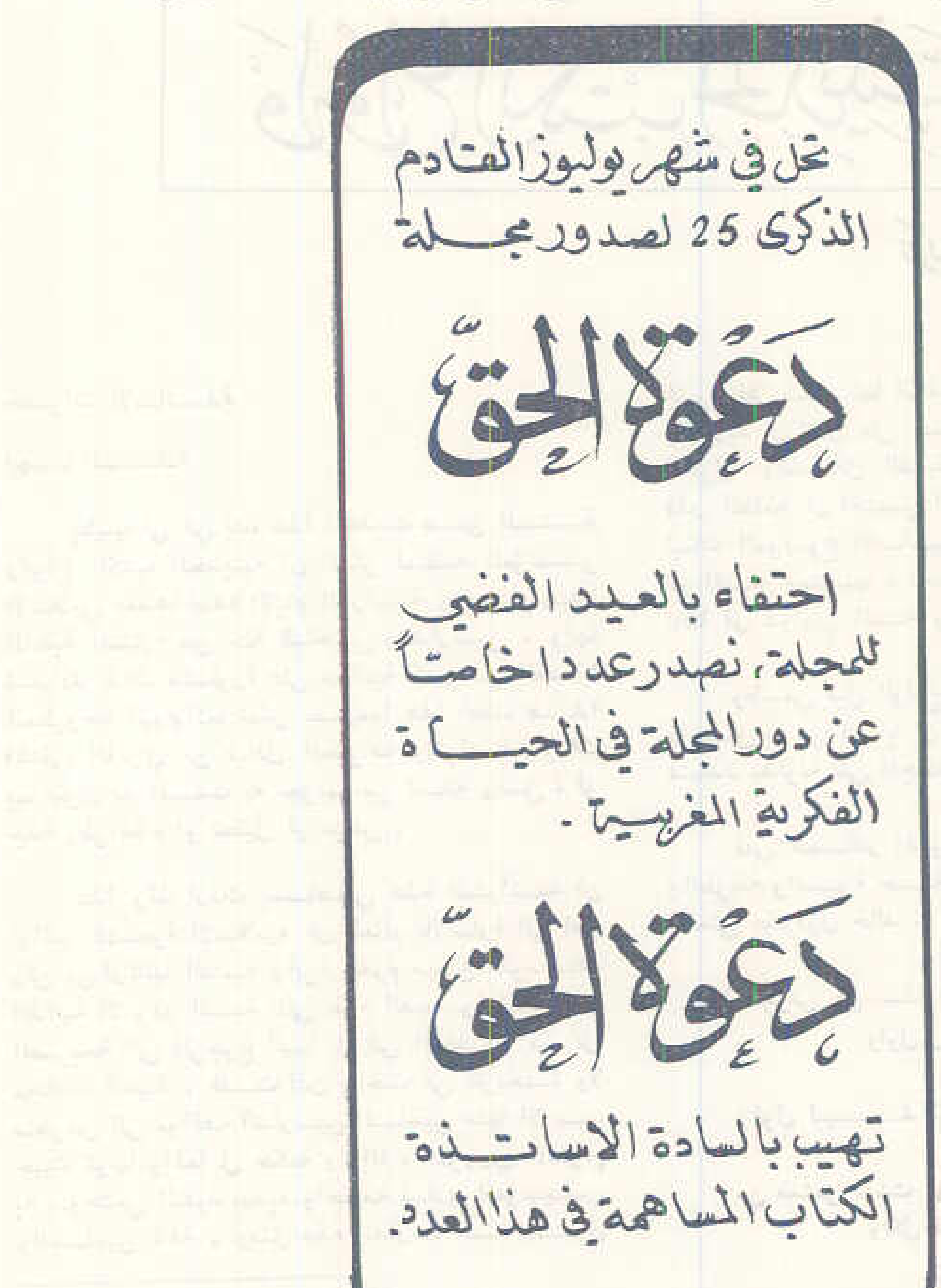
كما يدعو المجلس الشعوب الافريقية المسلمة الى الصمود امام التيارات الملحدة الهدامة المضللة.

ويكرر المجلس شكره الى فخامة رئيس جمهورية السينغال السيد عبده ضيوف والى الحكومة السينغالية والشعب السينغالي للاستقبال الحار الذي خصصوه للوفود المشاركة في هذا الاجتماع .

ويوجه المجلس ايضا شكره الخالص الى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين والى صاحب السمو الملكي ولي عهده الامير بن عبد العزيز للمساندة والدعم اللذين يقدمانهما الى جميع المنظمات الاسلامية الافريقية والى مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي بصفة خاصة داعيا الله عز وجل ان يساندهما ويبث خطاهما من اجل عظمة الاسلام ونصرة المسلمين .

ويوجه المجلس كذلك شكره الى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي معالي الشيخ محمد علي الحركان للانجازات العظيمة التي حققتها رابطة العالم الاسلامي تحت قيادته الرشيدة لصالح المنظمات الاسلامية الاعضاء في مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي ويعقد الامل الكبير على مساندته للمجلس من أجل انجاز القرارات التي اتخذت خلال اجتماعات هذه الدورة .

ويشكر مجلس التنسيق الاسلامي الافريقي جميع اعضاء مكتب المؤتمر لمشاركتهم في هذه الجهود ويشكر بصفة خاصة سعادة السفير مصطفى سيسي رئيس مجلس للكفاءة والحكمة اللتين سير بهما الاعمال ويتمنى ان يستمر على راس المجلس حتى تتحقق على يديه آمال المسلمين .





السنة وانواع الكتب الحديثية

للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة
(تونس)

حضرات الاساتذة

ايها السادة

يطيب لي في بدء هذا الحديث عن السنة وانواع الكتب الحديثية ان اشكر لمنظمة المؤتمر الاسلامي عقدها لهذه الايام الدراسية ودعوتها لهذه النخبة الممتازة من جلة الباحثين والدارسين . وانها لتساعد بذلك مشكورة على معالجة كثير من القضايا المطروحة اليوم كما تمكن بصنيعها هذا اعطاء هذا الملتقى الفكري من تبادل الخبرات واثراء المعلومات بما تكون قد اتسمت به بحوثهم من اصالة وعمق ، او جدة وطرافة ، او تحليل او عرض .

هذا وقد اردت بمساهمتي هذه المتواضعة ان اواكب الصحوة الاسلامية في العالم بالاشارة الى اهم ركن من اركانها العلمية وابراز مقوم من مقومات الذاتية الا وهو السنة التي تقوم الدعوة العلنية الصريحة الى الرجوع اليها بل الى الاخذ بها في كل مجالات الحياة . فلست اذن بباحث في تاريخها ولا متعرض الى مواقف الدارسين السابقين منها الا من حيث كونها واقعا بل حكمة وتراثا ، ضروري الالتزام به ، وحتمي التقيد بهديه واحكامه لدى المؤمنين والمسلمين كافة . ومثل هذه الدراسة قد تطول كثيرا فلا يتسع لها الوقت في مثل هذه المناسبة ، ولا اريد ان اثقل على حضراتكم بالدخول في القضايا الجزئية والمسائل الدقيقة ومن أجل ذلك ساحاول قدر الطاقة ان اختصر القول فاقتصر على عرض لبنات الموضوع الاساسية المتمثلة اولا في الحديث عن السنة ومنزلتها ، ثانيا في بحث الحديث ونقده ، ثالثا في دواوين السنة والكتب الحديثية .

وطبيعي قبل الولوج في صميم الموضوع وتناول ما يتعلق به من قضايا ان نقف قليلا عند لفظ السنة فنحدد مدلوله على الجملة لغة واصطلاحا .

ففي المصادر اللغوية تطلق السنة على الطريق والطريقة والسيرة حسنة كانت او سيئة . وبهذا المعنى جاء قول خالد :

فلا تجزعن عن سنة انت سرتها
وأول راض سنة من يسيرها (1)

وقول لبيد :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها (2)

---

(1) ديوان الهذليين : 157 .
(2) شرح المعلقات العشر 227 .

واستعمل القرءان كلمة السنة بازاء الطريقة في قوله عز وجل : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (3) . وبمعنى العادة في قوله تعالى : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (4) .

وكذلك وردت في النصوص الحديثية ، بمعنى الطريقة كما في حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » (5) . وبمعنى السيرة او العادة كما في حديث عبد الله المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل صلاة المغرب — قال في الثالثة — لمن شاء كراهية ان يتخذها الناس سنة » (6) .

والسنة في الاصطلاح تختلف بين الفقهاء الذين يشتغلون بالفروع والمسائل ، وبين الاصوليين الذين يبحثون في الادلة التفصيلية التي تستنبط منها الاحكام الشرعية . قال الاولون : السنة كل ما ثبت فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فيؤجر على فعله ولا يترتب على تركه اثم او عقاب (7) ، وقال الاصوليون : السنة كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول — وهو الحديث — او فعل او تقرير او صفة » (8) ، وهي بهذا المعنى عند المحدثين : والسنة القولية او الحديث وحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم باتفاق المسلمين كافة ؛ يشهد لذلك ويدل عليه قول الله جل وعلا : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (9) وبحكم هذا الاعتبار اكتسى الحديث النبوي الشريف او السنة على العموم من الصفات ومتعلقاتها ما تلتحق فيه بمرتبة القرءان الذي هو كلام الله المتلو المتميز بالاعجاز . فقد جعل الله من وظيفة رسوله تبليغ السنة الى الناس : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (10) وجعله سبحانه هاديا بها في قوله : « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » (11) . وصرح في كتابه بأن فيها توجيها وتشريعا كما يوذن بذلك قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » (12) . وهي فصل بين المتخالفين : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (13) واجب على المؤمنين الاحتكام اليها والرضا بقضائها : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (14) .

وبقدر ما نجد من النصوص القرآنية ما فيه دلالة على وجوب الامتثال والطاعة من نحو قوله جل وعلا : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » (15) . وقوله : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » (16) وقوله : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » (17) . وقوله : « وما آتاكم الرسول

---

(3) النساء 26 .
(4) الفتح : 23 .
(5) البخاري . الانبياء 50 .
(6) البخاري . التهجد 35 .
(7) الاسنوي . نهاية السول 2 ، 196 ؛ الشوكاني . الارشاد 33 .
(8) التهانوني 3 . 7 .
(9) النجم 3 . 4 .
(10) الجمعة : 2 .
(11) الشورى : 52 .
(12) الاعراف : 157 .
(13) النساء : 59 .
(14) النساء : 65 .
(15) المائدة : 92 .
(16) النساء : 59 .
(17) الاحزاب : 34 .

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (18) . وقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم » (19) . نجد نصوصا أخرى اشد اقتضاء والزاما بما اشتملت عليه من التحذير من المخالفة كقوله عز وجل : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » (20) . أو بما تضمنته من وعيد صريح مثل قوله جل ذكره : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (21) .

ولا بدع أن يركز على السنة في الشريعة الاسلامية ويؤكد عليها مثل هذا التاكيد الذي تنطق به الشواهد القرءانية السابقة . فهي المصدر الثاني للتشريع ، وهي في عامة نصوصها وما وردت به اما موافقة للكتاب موافقة تامة فتكون تقريرا وتأكيدا للاحكام المنصوص عليها فيه ، واما مفسرة ومبينة له كما يدل على ذلك قول الله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (22) . وقوله سبحانه : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (23) . وما مضيفة الى الكتاب زائدة عليه فتاتي بأحكام لبعض أحوال سكت عنها القرآن . وهذان واجب الاخذ بهما من حيث ايجاب القرءان ذلك ، ومن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل .

ولا نحتاج الى ايضاح الصورة الاولى فامثلتها كثيرة والشواهد عليها متعددة . واما الصورة الثانية فمثالها ما ورد بالسنة من بيان لمجمل القرءان . فالكتاب امر بالصلاة والزكاة والحج . وورد ذلك مجملا به . ثم جاءت السنة مفصلة لذلك الاجمال . فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رايتموني اصلي » . فبين المواقيت واعمال الركوع والسجود وسائر الاحكام . وحدد صلى الله عليه وسلم الزكاة ووقتها وما تؤخذ منه الاموال . وبين للناس احكام الحج وقال : « خذوا عني مناسككم » . والنصوص الحديثية في الافعال والاقوال بشأن تلك المجملات تضمنتها دواوين السنة واعتمدها الفقهاء في ضبط الاحكام وهي كثيرة جدا . ومن امثلة البيان الذي وردت به السنة ان الله جل جلاله جعل حق الوالدين في التركة وصية يوصي بها لهما الهالك وذلك قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين » (24) ، وفرض لهما في آية ثانية سهما وذلك قوله : « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد » (25) . وظاهر الآيتين التقابل في الحكم . وقد رفعته السنة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية الفرائض نسخت الوصية .

واما الصورة الثالثة وهي التي تكون فيها زيادة على الكتاب فذلك مثل تحريم نكاح المراة على عمتها وخالتها ، وتحريم الحمر الاهلية ، وتحريم كل ذي ناب من السباع ، وشرائه المربد لبناء المسجد من الطفلين اليتيمين ، وفدائه اسرى بدر بالمال الى غير ذلك من الاحكام التي وردت بها السنة خاصة .

واذا ثبت ما رواه ابن عبد البر الاوزاعي عن حسان بن عطية من قوله : « كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » (26) . وصح ان السنة كانت بحسب ما ذكرناه وفصلنا فيه القول وحيا من رب العزة لنبيه ورسوله ، وكانت تشريعا وهدى للناس ، وبيانا وتفصيلا للفرقان ، وانها قاضية على الكتاب ، وان القرءان احوج الى السنة من السنة الى

---

(18) الحشر : 7 .
(19) الاحزاب : 36 .
(20) النور : 63 .
(21) النساء : 115 .
(22) النحل : 44 .
(23) النحل : 64 .
(24) البقرة : 180 .
(25) النساء : 11 .
(26) الجامع : 2 ، 191 .

الكتاب (27) ، فهي ذكر وعد الله بحفظه في قولـه : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (28) .

فالقرءان والخبر الصحيح كما نبه عليه ابن حزم بعضهما مضاف الى بعض شيء واحد من حيث كونهما من عند الله ، ومن حيث ايجاب الطاعة لهما . والذكر في الآية واقع عليهما من غير تفريق بين الوحي ا لمتلو المتعبد بتلاوته والوحي المقروء فهو يشمل كل مـا انزل الله على نبيه من قرءان وسنة يبيـن الله بهـا القرءان (29) . والتلازم بين المبين والبيان اكيد ولا يتم حفظ للمبين الذي هو القرءان بدون حفظ للبيان الذي هو السنة . فلا سبيل اذن الى ضيـاع شيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين ، ولا سبيل الى ان يختلط بالسنة باطل موضوع اختلاطـا لا يتميز عن أحد من الناس بيقين . ولو جاز ذلكلبطل الانتفاع بالذكر ، ولو جاز لكان الذكر غير محفوظ . وهذا غير ما وعد به الله ووعد الله حـق وصـدق « وعد الله لا يخلف الله الميعاد » (30) .

فاذا ارتفعت اصوات هنا وهنـاك تشيـر الى الضعيف والموضوع من الاحاديث ، والى قلة الامانة والفسق والكذب لدى عدد كبير من الرواة ، والى ما يحصل بسبب ذلك من الخلط بين النصوص ومـن عدم الاطمئنان اليها والوثوق بها اجبنا بما اجاب بـه عبد الله بن المبارك وقد ذكرت له الاحاديث الموضوعة قال : تعيش لها الجهابذة « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظـون » .

وانا حين نلتفت الى دواوين السنـة وجهـود الجمع والتصحيح وطرق الرواية وقواعد الدرايـة وما قام به النقاد من تجريح وتعديل وبحث في المتون ودرس عميق للسنة ووضع لالوان الكتب وانـواع المصنفات فيها بحكم كونها مصدر هدي وتشريـع نوقن ايقانا ثابتا أن الله تولاها بالحفظ بمثل ما تولى به كتابه ، وان شريعة الله كما ذكر الوزير في الروض الباسم لا تزال محفوظة وسنة رسوله لا تبرح بحمـد الله محروسة يقوم على ذلك رجال صادقون وفوا بما عاهدوا عليه الله وانقطعوا لخدمة هذا الدين . وقد كان الحافز لهم على ذلـك بدون شك على تعاقـب الاجيال وتوالي العصور حب الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم طاعته ووجوب العمل بالصحيح الثابت من سنته ، ومن اجل ذلك انقطعوا للعناية بهذا المهم وتركوا لنا تراثا عظيما وثروة جد واسعة جزاهم الله عن العلم النبوي وعن هذا الدين واهله افضل الجزاء.

وقد اهتم هؤلاء العلماء بالحديث فبحثوه من كل جوانبه وقسموه عـدة اقسام بحسب الاعتبـارات المختلفة والظواهر او الاحكام . فنظروا اليه مـن حيث ما يفيده من علم . وجعلوا منه المتواتر الـذي يفيد اليقين ، والمشهور الحامـل على الاطمئنـان ، وخبر الواحد الذي لا يفيد غير الظـن . وقسمـوا اخبار الآحاد الى صحيح وحسن ومتفاوت الحسن . واستعملت الاحاديث التي من هذه الانواع كلهـا في مجال التشريع لاستنباط الاحكام منها واعتمدهـا عامة الفقهاء . ولا يقال ان الآحاد لا تفيد الا الظـن والظن لا يغني عن الحق شيئا لان خبر الواحـد اذا صح اسناده ومتنه وجب العمل به عند ائمة المسلمين كافة وان كانت دلالته ظنية . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتمده واقر العمل به حيـن كان يبعث بآحاد الصحابة الى اطراف البلاد والى القبائل المختلفة ليعلم المسلمين دينهم ويبين لهم من الاحكام الحلال والحرام وكلف النـاس باتبـاع اقوالهـم واعتمادهـا (31) .

ونظروا الى السنة من حيث ما يدخل منها في نطاق التشريع وما لا يدخل فجعلوها ثلاثـة اقسام اقوالا وافعالا واقرارات .

أما الاقوال فمنها الاخبار وهي خارجـة بدون شك عما نحن فيه من الدلالة التشريعيـة ، ومنهـا الاوامر والنواهي التي هـي في جملتهـا نصـوص تشريعية تنتهي او تؤول الى تحديد احـد الاحكـام التكليفية الخمسة .

واما الافعال او السنة الفعلية في تحمل دلالـة تشريعية لنا من حيث ما يستفاد منها بحسب القرائن

---

(27) الجامـــع : 2 ، 191 .
(28) الحجـــر : 9 .
(29) بتصرف من الاحكام : 3 ، 478 .
(30) الــزمـــر : 20 .
(31) الغزالي . المستصفى 1 ، 146 ، الكشف على البـزدوي 2 ، 370 .

من وجوب او ندب او غير ذلك الا ان تكون السنة الفعلية كاشفة عما هو خاضع للهواجس النفسية كالحركة المفوية ، او داخل تحت سلطان الجبلة البشرية كالقيام والقعود ، او قام دليل خارجي على كونه خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم مثل الوصال في الصوم وعدم اخذ الصدقات . فنحن لسنا مكلفين في هذه الاحوال باتباع السنة الفعلية والعمل بها . قال السبكي : « وما كان من افعاله صلى الله عليه وسلم جبليا او بيانا او مخصصا به فواضح ان البيان دليل في حقنا وغيره لسنا متعبدين به » (32).

واما الاقرارات فهي على نوعين لانها قد تكون اقرارا على الاقوال فتكون مثل اقواله صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون على الافعال فيكون فيها التفصيل السابق الذي ذكرناه في الافعال .

وتنقسم السنة من حيث شمولها لانواع العلاقات والتصرفات الى ثلاثة اقسام ايضا لانها اما مرتبطة بأحكام الامامة ، واما بأحكام القضاء ، واما بالتبليغ . وبحث ذلك لا يعنينا مباشرة وهو مبسوط عند الفقهاء في كتبهم . فنكتفي هنا بالاشارة اليه . وانما المعنا اليه كما ذكرنا غيره لاستيفاء اهم انواع الحديث أو السنة وبيان انها كلها من قبل ان تعتمد لدى المحدثين والمجتهدين كانت موضع بحث ونظر ودراسة ونقد .

وقد اتخذت لهذا الامر أسبابه من الزمن الاول . وكان مكان السنة من القرءان معلوما لدى الصحابة رضوان الله تعالى عنهم . وكانوا يعرفون ان الحديث علم ودين فهم يتلقونه ويتحملونه من النبي صلى الله عليه وسلم لدعوة الله اياهم الى ذلك في قوله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (33) . ووقر في نفوسهم مع ذلك ان عليهم وعيه وحفظه واداءه وتبليغه استجابة لامر الله وامتثالا لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع يوم النحر . « ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه » (34) . ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « احفظوه واخبروا به من ورائكم » (35) . وقوله : « نضر الله امراء سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه كما سمعه فرب حامل فقه الى من هو افقه منه » (36) . فتحمسوا للتحمل وحرصوا على طلب هذا العلم وتبليغه . وقد جاء التنويه بمن يفعل ذلك من المسلمين من بعد الصحابة في قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين ليارز الى الحجاز ، كما تارز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز ، معقل الاروية من راس الجبل ، ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس بعدي من سنتي » (37) . فحمل هذا الامة على الاعتناء بالدين والحفظ لهذا العلم والتحري في تحمله وروايته ، ورزقها الله علم الاسناد فكان خصيصاها الذي تميزت به دون سائر الامم ، كما اكد ذلك أبو علي الجياني وابو بكر محمد بن احمد .

وبدا اعتماد الاسناد في وقت مبكر من زمن الفتنة . روى مسلم عن ابي جعفر محمد بن الصباح ، حدثنا اسماعيل بن زكرياء عن عاصم الاحول عن ابن سيرين قال : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا رجالكم . فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » (38) . فكان الاعتماد على الاسناد طريقا للذب عن السنة وسبيلا لتمييز الصحيح فيها من غيره ، قال عبد الله بن المبارك فيما رواه عنه ابو الحجاج بسنده : « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (39) وقال ايضا : « بيننا وبين

---

(32) جمع الجوامع : 2 ، 66 .
(33) التوبة : 122 .
(34) البخاري ، كتاب المغازي ، مسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء ، واحمد ، 5 ، 37 ، ج : 1 ، 85 .
(35) مسلم ، كتاب الايمان ، باب الامر بالايمان بالله .
(36) الترمذي : 2 ، 109 .
(37) الترمذي ، كتاب الايمان ، باب ما جاء ان الاسلام بدا غريبا ، 2 ، 105 ، واخرجه البغدادي شرف اصحاب الحديث ، الدباغ ، معالم الايمان ، 1 ، 93 ، ابن عبد البر ، الجامع : 2 ، 119 .
(38) مسلم بشرح النووي : 1 ، 84 .
(39) مسلم بشرح النووي : 1 ، 87 .

القوم القوائم يعني الاسناد » (40) وعلى هذا الاساس من النظر والضبط والتحليل والتمحيص للروايات الحديثية ظهر كبار الائمة الرواة في التابعين امثال الزهري وقتادة وابي اسحاق والاعمش . فكان قتادة اعلمهم بالاختلاف ، والزهري اعلمهم بالاسناد ، وابو اسحاق اعلمهم بحديث علي وابن مسعود ، وكان عند الاعمش من كل هذا » (41) .

وقد اختلفت مناهج المحدثين المسندين في نقد الحديث وتصحيحه فمنهم من جعل سبيله الى ذلك النظر في الرواة ونقد الرجال وبحث السند ، ومنهم من انصرف عن هذا الى فهم المتن وضبطه ومقابلته بالاصول وعرضه على القرءان ، ومنهم من جمع بين الطريقتين ونقد السند والمتن كليهما فبرىء من الافراط والتفريط . وثبت عنده كثير من الاحاديث التي روتها الفرقة الثانية المعنية بالمتون، ولم تثبت لديه صحة كثير من الاحاديث التي قبلتها الفرقة الاولى المكتفية بالتجريح والتعديل لرجال الاسانيد .

واذا كان الباحثون في الرجال ، الناقدون لرواياتهم ، المتتبعون لاخبارهم ، المحصون لاحوالهم قد تركوا لنا على مر العصور تراجم للرواة وآراء دقيقة حول عدالتهم وامانتهم وفطنتهم وفقههم واتقانهم وضبطهم فان مرد ذلك يرجع في الاول الى من مد الله في اعمارهم من اقطاب الصحابة ، فهم الذين كانوا المرجع في ذلك كله ، على كلامهم اعتمد وباقوالهم اخذ . ثم تلت ذلك الرحلة الى اطراف البلاد . فمكن هذا من سعة الرواية ومن الاتصال بالعديد من الثقات ، وبممارسة هذا الفن واضطلاع عدد من الائمة بالتجريح والتعديل تبينت القواعد والاصول المعتمدة في ذلك واختلفت مناهج النقاد وظهر من بينهم متشددون ومتساهلون ومتوسطون .

اما الطائفة الاولى فانها لم تكن تقبل من الرواة اعتماد الكتب فيما يبلغون ، ولا ترى الحجة الا فيما يرويه الراوي من حفظه وذكره . وقد انفصلت عنها فرقة منها جوزت اعتماد الكتاب في الرواية بشرط ان لا يخرجه الراوي من يده بالاعارة او نحو ذلك خشية دخول التغيير عليه . وقد وصف السيوطي هذه الطائفة بفرقتيها بالافراط والتشديد .

واما الطائفة المتساهلة فهي التي رضيت الرواية من نسخ لم تقع مقابلتها على الاصول واكتفت بالتلقي عن الراوي بواسطتها . وقد وقع ذلك من عدد من العلماء والصلحاء فلم يرتضهم الحاكم وجعلهم مجروحين بهذا السبب .

واما الطائفة المتوسطة وهي الجمهور فانها لم تفرط كالاولى ولم تخرج عن حد الاعتدال والضبط كالثانية فالتزمت مناهج وقواعد في التحديد هي التي ضبطها العلماء في كتبهم واخذوا بها نفوسهم .

.. وفي زمننا هذا الذي انقطعت فيه الرواية او كادت ولم يبق من طرق التحمل الا آخرها وهو الوجادة لا يجوز لمن اراد تعاطي هذا الفن الادلاء بالراي في الاسانيد والتفريق بين الاحاديث صحيحا وسقيما ، حسنها وضعيفها ، ثابتها وموضوعها حتى يحصل على ثقافة واسعة حديثية ، ويمارس هذا الفن ممارسة صالحة بالوقوف على دواوينه المشهورة المتواترة الموثوق باصحابها ، وبالاحاطة والعلم بفن المصطلح وتاريخه . ونحن غير بالغين القصد من تصحيح الحديث بمجرد ضبط الرواة بل ان النظر في المتون متأكد حتى يقوم الدليل على ان الحديث من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . ويتضح ذلك بسلامته من الركاكة اللفظية والمعنوية ، ومن المعارضات المساوية او الراجحة او القاطعة . وهذا بان لا يكون الحديث مختلفا ولا متروكا ولا مضطربا ولا مقلوبا ولا مدرجا ولا مصحفا ولا معلا ولا شاذا او نحوه مما هو مبين بتفصيل في كتب قواعد هذا الفن وفيما وضع من مصنفات خاصة بحثت مختلف الحديث ومشكل الآثار .

وقد ترتبت على اشتغال الائمة بالاسانيد والمتون عدة نتائج منها ضبط قواعد للرواية جنبت الفقهاء والدارسين الاخذ بالموضوع ، وقيام حركة دقيقة لجمع الحديث وتدوينه حمت السنة من النقص والتفريط ، وظهور مذاهب للنقاد صانت التراث النبوي من الدس والتزييف والتحريف ، ثم امام التقابل أو التعارض الذي بدا بين عدة من النصوص الحديثية وضع الاصوليون والمحدثون ، احكاما وقوانين استطاعوا على اساسها القيام بالترجيح بينها . وقد ذكر الحازمي في كتابه الناسخ

---

(40) مسلم بشرح النووي : 1 88 .
(41) الذهبي ، التذكرة : 1 ، 115 .

والمنسوخ من ذلك نحو من خمسين وجها ، ورفعها السيوطي في التدريب الى مائة وجه ، وقد يزاد عليها . ومرجعها في الجملة غلبة الظن ، وكثرة الرواة، وقلة الوسائط ، وفقه الراوي ، وحفظه ، وزيادة ضبطه ، والاتفاق على عدالته ، وتعدد تزكيته ونحو ذلك (42) .

وانا امام هذه الجهود العظيمة لنقف معجبين بالاثار المتنوعة الجليلة التي تركها لنا الاشياخ في مادة السنة وعلم الحديث . وانه لمن عائد القول التصريح بان كلام الرسول وفعله ونحو ذلك وجدوا من العناية والاهتمام ما لم تجده مادة علمية اخرى غير القرءان .

ولقد بدأ تدوين السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة . ومن أول ما عرف من ذلك الصحيفة الصحيحة والصحيفة الصادقة . وقد املى بعض كبار الرواة امثال ابي هريرة على بعض اعلام التابعين مقدارا كبيرا من الاحاديث . ومن اول من عني بذلك الربيع بن صبيح وسعيد ابن أبي عروبة . وأول من صنف في الحديث من الرواة والنقاد المشاهير ابن جريج بمكة ، والاوزاعي بالشام، والثوري بالكوفة ، وابن دينار بالبصرة . واوثق ما بقي لنا من المصنفات الاولى موطأ الامام مالك ، ومسند الشافعي ، ومختلف الحديث له ، والجامع للصنعاني . وجمعت المسانيد فكان اهمها واعلاها شأنا مسند الامام احمد . ووضعت كتب الصحاح فكان في المرتبة الاولى والعالية منها الجامع الصحيح للامام البخاري ، والجامع الصحيح لابي الحجاج مسلم . وتبعت ذلك سنن ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي . ومن الكتب التي التزمت فيها الصحة صحاح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، والتزامات الدارقطني ، ومستدرك ابي ذر الهروي ، والاحاديث الجياد المختارة للضياء المقدسي، والمنتقى لابن الجارود ، ومنتقى قاسم بن اصبغ ، وصحيح ابن السكن . وقد افردوا بعض الامهات من هذه الكتب والمصنفات بشروح او استدراكات او مستخرجات او نحو ذلك . وصنفت في هذه المادة ايضا كتب بعناوين خاصة مثل المراسيل والآثار والاجزاء والفوائد والاطراف والمجالس والاربعون والامالي والامثال والافراد والثلاثيات والرباعيات والخماسيات والعشاريات ونحو ذلك . ووضعت أيضا جوامع كثيرة وكبيرة ، وصنفوا في الموضوعات . وان عمليات التحقيق والنشر لتعد للناس في هذه الفترة في ربوع البلاد كتبا كثيرة اغلبها لم يعرف ولا وقع الوقوف عليه الا بالذكر او الاحالة .

والى جانب المتون الحديثية التي تعد بالمئات (43) نقف مندهشين أمام الكثرة الوافرة من كتب التاريخ والطبقات والرجال ، وامام ما فيها من ضبط وتدقيق في التعريف بالرواة ككتب الصحابة وكتب الالقاب والاسماء والكنى والانساب ، وكتب المعاجم ، وكتب المشيخات ، وكتب الثقات والضعفاء مما لا يدخل تحت حصر . ولا يفوتنا هنا ان ننوه بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن التي بفضل جهودها انتشرت في البلاد كلها كتب السنة وكتب الرجال والطبقات .

وقد يكون من الضروري والاكيد ان نلفت النظر بصفة خاصة الى الكتب الموضوعية في علم الحديث. وقد اقبل كثير من الدارسين اليوم على احتذاء حذوها والتعليق عليها والتذليل لها . وذلك لما وضعته بدءا في تاريخ الفكر الانساني من مسالك النظر وقواعد النقد وطرق الترجيح والتعديل وضبط العلل القادحة . فكانت اساسا لتحرر الفكر من التقليد الجامد ، ومنطلقا للدرس الموضوعي الصحيح ، ومثالا للنقد العلمي النزيه . وانه ليضمن مثل هذا المقام عن سردها أو عدها (44) . ولكننا نكتفي هنا بذكر اصولها وامهاتها مثل المحدث الفاصل للرامهرمزي ، ومعرفة علم الحديث للحاكم النيسابوري ، والكفاية في فن الرواية للخطيب البغدادي ، والجامع لآداب الراوي والسامع له ، والالماع لعياض ، وما لا يسع المحدث جهله للميانجي ، والمقدمة لابن الصلاح ، والتقريب للنووي ، من غير ذكر للملخصات والمنظومات والشروح وغيرها .

وان في ذلك كله لشاهدا قائما على حفظ الله لسنة رسوله ووحيه الذي أوحى به اليه بيانا لكتابه وهداية لخلقه ، وبرهانا على عناية المسلمين بهذا العلم الشريف في الزمن المتقدم ، وان الجهود لموصولة لتمكين الدارسين والباحثين من الوقوف على اسرار السنة النبوية باحدث الطرق وانجعها والله المستعان وعليه التكلان .

---

(42) الاعتبار ، الناسخ والمنسوخ من الآثار : 6 – 15 ، مقدمة فتح الملهم بتصرف .

(43) انظر الكتاني ، الرسالة المستطرفة .

(44) انظر مقدمة كتاب الحاكم في معرفة علم الحديث .



للشاعر الأستاذ علال الهاشمي الخياري

غن بالذكرى ... بأحداث السنين — غن لحنا ، ساحرا ، عذب الرنين

غن بالهجرة ... بالفجر الذي — ملأ الكون بأنوار اليقين

« طلع البدر ... » فيا أرض السنا — غردي ، واستقبلي الهادي الامين

شاعت الفرحة من طلعته — مشرق الغرة وضاح الجبين

هجرة كم حملت من حكمة — لدعاة الحق والنهج الرصين

هجرة ارست على اس الهدى — مبدا الاحسان والخلق المتين

اي يوم زهت الارض به — وتباهت بهداة فاتحين

غبروا الدنيا ، وزانوا افقها — بسنا العلم واشراق الفنون

* * *

جئت يا عام ... بماذا جئتنا . ؟ — قل لنا ما غدنا ... وما ذا يكون ؟

قل لنا هل بالتمني غدنا — ام بصبر ، وجهاد ، ويقين ؟

ولئن تاهت بنا خطوتنا — وانثنينا عن مجاراة السنين !

لا تخف .. قد كتب الله لنا — نصره المحتوم في دنيا ودين

ما لغزو الفكر فينا أثر — امة الوحي محال أن تلين

سيعود « القدس » مهما ظلموا! — مبدا الحق لنا حصن حصين

قوة الشر وان عاودها — حلم كان لها عبر القرون

سترى انا خلقنا ثورة — تصرع الظلم وتسقيه المنون

ولنا في « لجنة القدس » المنى — كل نصر خطة الراي الرصين

* * *

علماء العصـــر ... هل من عظـــة لبني الدنيـــا ليحيـــوا آمنيـــــن ؟
اشعلـــوا نـــار الوغـــى مـــا بيننـــا كي يـــرونا شيعـــا مستضعفيـــــن
اي ارض مزقـــــت أوصالهـــــــا واستبيحت .. مثل أرض المسلميـــن
فلمـــاذا اليـــوم في مغربنــــــا يمتـــرى في حقنـــا وهو مبيـــــن ؟
نـــسب المغـــرب في صحرائـــه نسب الاسد الـــى أرض العريـــن
رحم القربـــى نمـــت واستحكمـــت بعد ما عاشـــت تباريـــح الحنيـــن
جمعتنـــا بيعـــة العـــرش الـــذي وحـــد الامـــة بالحـــب المتيـــن
امـــة في ظلـــه تبنـــي العـــلا بقوى النفس وعـــزم الطامحيـــن

علال الهاشمي الخياري

الصحراء تحكي شوقها

شعر : أحمد عبد السلام البقالي

في العدد القادم

كفاح الجريمة والانحراف في التشريع الاسلامي

للدكتور ممدوح حقي

وجدت الجريمة مع الانسان منذ وجد . ارتكب آدم الخطيئة الاولى (1) فعد عمله جرما استحق عليه العقاب بالطرد من الجنة (2) وفرض عليه ــ لسبب هذه الخطيئة ــ أن يهبط الى الارض فيعاني من المتاعب والمصاعب هو واولاده وانسالهم ما لا نزال نعانيه الى اليوم .

وارتكب احد أولاده الاوائل قابيل جريمة كبيرة، قتل اخاه هابيل في سبيل الطمع والشهوة (3) ، السببين الرئيسيين لجميع الجرائم على مدى تاريخ البشرية .

وتوالت الجرائم من بعد ، وتنوعت اشكالها وتباينت صورها وتطورت اساليبها مع تطور الانسان في مختلف درجات الحضارة سموا وتروبا ، ووجد المجرمون لهم شركاء اصلاء وتابعين ومعاونين على تنفيذ جرائمهم ، ودافع المعتدى عليهم بما يستطيعون، واحتدمت الثارات والانتقامات ، ونشبت المناوشات والحروب وعظمت حتى شملت جميع بني آدم في المعمورة باجمعها في وقت واحد . وتفاقمت الخسائر حتى قدرت بمليارات الدنانير الذهبية ، وذهب ضحيتها ملايين من الخلائق . ولنا في الحرب العالمية الاولى (1914 ــ 1918) والحرب العالمية الثانية (1939 ــ 1945) صورة واضحة عما استخدم فيها من غازات سامة وخانقة وقنابل محرقة وذرية ... مما يعجز الانسان عن تصور فظاعتها وشناعتها وقبحها .

بدا الرد على الجريمة في منبثقها الى الوجود بالثار الفردي انتقاما من المجرم الفاعل الاصيل . ثم بالانتقام الالي Collectif تقوم به اسرة المجنى عليه متعاونة ضد الجاني . ويدافع المجرم عن نفسه تعلقا بالحياة ، ويساعده اهله واقرباؤه بحكم الآصرة الدموية والرابطة العصبية أو المصاهرة .. ويعيش الثأر والانتقام من هذا وذاك مع الزمن ، ويمتد الى الحمولة فالعشيرة فالقبيلة فالمدينة حتى يصل مع الزمن الى الدولة وينقلب الى حروب طاحنة ، تذهب بالاخضر واليابس والزرع والضرع ومعالم المدنية والحضارة ، فكم من امم بادت ودول زالت ، لا نسمع لها اليوم حسا ولا ركزا . اين عاد وثمود وطسم وجديس ... التي ورد ذكرها في القرءان الكريم ؟ اين البابلية والآشورية والسومرية والفنيقية والاوغاريتية والمصرية التي ذكرها التاريخ ؟ اين

(1) « وعصى آدام ربه فغوى » (طه 122) .

(2) « فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، قل اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين » (البقرة 36) .

(3) « فطوعت له نفسه قتل اخيه فاصبح من الخاسرين » (المائدة 30) .

الفرس والرومان والفراعنة والدولــة الاسلاميــة الشامخة والامبراطورية العثمانية .. ؟ الم يذهب كل هؤلاء بسبب جرائم فردية او عشائرية او دوليــة ؟ ! الم يكن الطمع والشهوة والطموح دوافعها الاولى ؟

الجريمة اذا ، ملازمة للانسان منذ وجد ، ومـا زالت تعايشه بأشكال وصور شتى . ولقد تنبهت لها الشرائع القديمة والحديثة وحاولت مكافحتها بوسائل واساليب متنوعة ، رغبة في السلم والسكينة والهدوء وخدمة للحضارة ، فلم تفلح في ازالتها ومحوها من الوجود الاجتماعي . فهل هـي ضـرورة ملازمـة للانسانية لا يمكن التخلص منها ؟ هل هي مصيبة من المصائب المرضية اللاحقة بالمجتمعات ، قد يكـون الشفاء منها ممكنا ميسورا يوما ما ؟ وما هو نظر الدين الاسلامي للجريمة ؟ هل حاول ردعها ومكافحتهـا ؟ ! وما هي رسائله في هذا الكفاح ؟ !

وردت كلمة « الجريمة » ومشتقاتها في القرءان الكريم 58 مرة على الصور الآتية :

	العدد
1 ـ اجرمنـــا	1
2 ـ اجرمـــوا	3
3 ـ تجرمــون	1
4 ـ اجرامـــي	1
5 ـ المجـــرم	1
6 ـ مجرمـــا	1
7 ـ مجرمـــون	15
8 ـ مجرميـــن	34
9 ـ مجرميهـــا	1
المجمـــــــوع	58

ولو تتبعناها في آياتها واحدة واحدة ، لوجدنا انها لا تعني سوى امرين اثنين ، هما :

1 ـ الكفر والشرك في مقابلة الايمان . مثـال ذلك « ان الذين اجرموا كانوا مـن الذيـن آمنـوا يضحكون » (المطففين 29) « انه من يأتي ربه مجرما فان له جهنهم لا يموت فيها ولا يحيا » (طــه 74) « افتجعل المسلمين كالمجرمين » (القلم 35) .

ب ـ الافتراء والكذب على الله ، ومناهضــة الانبياء في رسالتهم . مثال ذلك : « فمن اظلم ممـن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ، انــه لا يفلــح المجرمون » (يونس 17) « فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » (الفرقان 31) .

فمعنى الكلمة الظاهر اذا ، متصل بالعقيــدة ، بايمان الفرد وبشخصيته وحده . على اننا لو انعمنـا النظر قليلا ، لوجدنا العلاقة بينه وبيــن المجتمــع واضحة بينة . اذ الكفر والشرك عنـد الله ، أكبـر الذنوب على الاطلاق . « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك » (النساء 84 ـ 116) . « ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (النساء 48) والاثم هو الذنب ، بل هو الذنب العظيم . وقد تأيـد هذا المعنى بقوله تعالى « لا جرم » بمعنى « لا ذنب » في خمس آيات (4) وقوله «لا يجرمنكم» أي لا يجعلكم تأثمون ، فتجرمون في ثلاث آيات (5) ، ولو تحرينـا مادة « جرم » في معاجم اللغة لوجدناها تفيد معنـى الذنب والاثم وترادفه كذلك :

جرم ـ جريمة . وأجرم واجترم اليه وعليه : اذنــب .

جـــرم و جريمة : عظـــم جرمــه
جـــرم و تجـــرم : اتهـــم بذنــب
الجـــرم :الخطــا والذنــب
الجريم : المذنب . والكبير العظيم الجسد
الجريمــــة : الجـــرم والذنــب

نستخلص من هذا أن مصطلح الجريمــة في اللغة ، مطابق لما هو في القرءان الكريم ، وهو يعنـي الاثم والذنب العظيم . وما ترادف مع«الخطا»الا من باب التوضيح ، ولان الخطأ نفسه ذنب . فخطيئــة آدم ذنب عصى به امر ربه فعدت خطيئته جرما . ولـو ان له عذرا بأن الشيطان قد اغواه . اما قابيل فلم يرتكب الخطا بطريق الصدفة او الاهمال أو النسيان ، ولـم يقــوه احــد ، بل تعمده تعمدا بدليــل قولــه : « قال لاقتلنك » (المائدة 27) وقــول اخيه لــه : « لئن بسطت يدك الي لتقتلني ما انا بباسط يــدي لاقتلك » (المائدة 38) .

---

(4) الآيات الخمس هي : (هود 22 ـ النحل 23 ـ ـ 62 ـ 109 ـ غافر 43) .
(5) الآيات الثلاث هي : (المائدة 2 ـ 8 ـ هود 89) .

نستنتج من هذا : أن الاسلام ينظر الى نوعين من الجريمة :

ا ــ جريمة تقع بطريق الخطأ أو النسيان او الاهمال او الخضوع للاغواء ... وما شابهها .

ب ــ جريمة تقع بعد تصور وتصميم وتعمد .

وهذا التفريق بين نوعي الجريمة مهم جدا في الصدى الذي تتركه الجريمة في المجتمع ، وفي الارتكاس الذي يرتد عليها بالعقاب والتاديب . وسنعود لهذا البحث من بعد .

اما تعريف الجريمة المعاصر فيمكن وضعه في الاطار الآتي : « الجريمة هي انتهاك القيم والحرمات الثابتة في المجتمع » (※) وعلى هذا فلا يمكن تصور الجريمة خارج المجتمع الانساني ، ولما كان لكل مجتمع قيمه الخاصة به ، وله حرمات معينة يقدسها، فان ما يعتبر جرما في مجتمع ما ، لا يعد كذلك في مجتمع سواه . فالهندوس يقدسون البقرة ويؤلهونها، والمسلمون يذبحونها كما يذبحون اي حيوان وياكلونها. فقتل البقرة محرم لدى الهندوس محلل لدى المسلمين ، قتلها عند الهندوس يشكل جريمة وعند المسلمين لا يدخله اى معنى من معاني التجريم .

اما الاسلام فانه ينظر الى الجريمة في ذاتها ، على اعتبار انه نظام حضاري متكامل طموح لان يسود العالم كله ابيضه واسوده واصفره واحمره ، ولتبقى اسسه ثابتة خالدة ما دامت الحياة على وجه الارض. فاذا كان شرب الخمر مثلا لا يشكل جرما في البلاد غير الاسلامية ، فانه في الاسلام جرم اينما كان المسلم الذي يتعاطاه في اي مكان من العالم . وما اختلاف الفقهاء في مدى التجريم والعقاب الا ظاهري سطحي، اما الاساس فثابت لا يتحول . وقد سار علماء الشريعة في جميع مباحثهم وتحرياتهم الفقهية واستخلاص الاحكام .. على طريقين : نقلي وعقلي . اما الاول فهو القرءان والسنة . واما الثاني فهو الاجماع والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان.. وتوابعها . ولنعرض لها جميعا فيما يلي بمنتهى الايجاز :

ا ــ القرءان الكريم :

هو كلام الله الثابت الذي لم يتغير منه حرف منذ انزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى اليوم وآيات الاحكام فيه واضحة جدا ، لا ترتكز على مجاز ولا تستند الى استعارة . فلى تنبع فيه قواعد أصول الفقه المتفق عليها ما بين مطلق ومقيد وعام وخاص ... وما شابه ذلك مما يعرفه الاصوليون والفقهاء ودارسو الشريعة واساتيذها على اختلاف مذاهبهم .

ب ــ الحديث الشريف :

هو مجموعة اقوال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وافعاله واوامره ونواهيه وتعليقاته واجاباته على ما يسال عنه أو يستفتى به . واذا كان القرءان الكريم دستور الاسلام المجمل ، فان الحديث الشريف توضيح له وشرح وتفسير .

على ان موضوع الحديث بالذات يحتاج الى شيء من تعليق : بعد ان افترقت الامة الاسلامية الى فرق متعددة تجد وصفها مجملا في كتاب « الفرق بين الفرق » للبغدادي ، ومفصلا مشروحا في كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ، وكتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » لابن حزم الاندلسي . ودخل على الحديث عدد هائل جدا من المكذوب والمفترى والمنتحل ، بسبب شقاق الفرق فيما بينها، وتناصر الاحزاب السياسية والشعوبية ، وتخاصم القبائل وتنافس الزعماء : مما دفع المتتبعين المخلصين للرسالة السماوية الى البحث والتحري وتبيان المكذوب والملفق ، وعرض الصحيح الصادق الناصع. ووضع لذلك علم « الرواية والدراية » وعلم « التجريح والتعديل » بقصد التصفية والترويق . وظهر على اثر ذلك كتب الصحاح ، واشهرها : صحيح البخاري وصحيح مسلم .

واذا كانت مذاهب اهل السنة من حنفي وشافعي ومالكي وحنبلي واشعري ... قد قبلت هذه الصحاح ، ووضعتها في مقدمة المرويات الصادقة عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، فقد رفضها الشيعة واستندوا الى مرويات آل البيت وحدهم . وحصل بسبب اختلاف المنبع ، اختلاف الاتجاه والمنزع . ونحن نفرق ان الشيعة يشكلون

(※) التعريف الشرعي للجريمة : « هي محظور شرعي زجر الله عنها بحد أو تعزير .

نصف الامة الاسلامية تقريبا ، وهـم منتشرون في ايران وباكستان والهند واندونسيا وجنوب العراق وسوريا ولبنان ... فما هو أساس رأيهم في هذا ؟!

قال امام الشيعـة السيـد شرف الديـن العاملي (6) : « ان تعبدنا في الاصول بغير المذهب الاشعري ، وفي الفروع بغير المذاهب الاربعة ، لم يكن لتحزب او تعصب ، ولا للريب في اجتهاد ائمة تلك المذاهب ، ولا لعدم عدالتهم وامانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علما وعملا . لكن الادلة الشرعية اخذت باعناقنا الى الاخذ بمذاهب الائمة من اهل البيـت ، بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل . فانقطعا اليهم في فروع الديـن وعقائده . وأصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنـة والكتـاب ... الخ (7) .

ولسبب هذا الاختلاف بين السنة والشيعة في تلقي الحديث من مصادر متباينة ونزوع الى نتائج متخالفة ، فلن نأخذ من هذا ولا من ذاك ، الا اذا كان هناك اتفاق تام في المضمون بينهمـا ، او انطبـاق كامل على آية قرآنية صريحة واضحـة من غيـر تأويل (8) .. واستوحينا القرءان الكريم وحـده في بحثنا هذا ، لكي لا نميل الى جهة دون اخرى ، وهو الكلام الخالد الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » (فصلـت 42) ، ولا يعني هذا رفض السنة ابدا ، فرفض السنة كفر لا شك فيه ، ولكننا وجدنا لهذا البحث في القرءان الكريم كل ما نريد وزيادة فاكتفينا به .

ج ـ الاجمـــاع :

وهو الاصل الثالث من اصـول الفقـه ، ذكر الغزالي انهم اتفقوا على تعريفه بما يلي : « هو اتفاق مجتهدي امة محمد صلى الله عليه وسلم في عصـر من الاعصار ، على امر من الامور ، والاتفاق ينبغي أن يكون تاما بالقول والفعل والاعتقاد معا » ومن هنا جاء مطعنه ، فمن يستطيع الدخول الى اعماق النـفس الانسانية ليتأكد من صحة الاعتقاد او فساده ؟ ومن يدعو الناس الى الاجتماع ؟ وباي حق يدعوهم ؟ وباي حق يجتمعون ؟ وكيف يجتمعون في صعيد واحد من جميع اقطار الارض ؟ ومن ينقل الينا اجتماعهـم ؟ وهل حصل في التاريخ اجتماع من هـذا النمـط ؟ وهل نقل الينا عبر الاحاد او بالتواتـر ؟ ... الخ . ولهذه الاسباب ولسواها ، نفى الامام ابـن حنبـل الاجماع وقال : « من ادعى الاجماع فهو كاذب » (8) .

على ان هناك اجماعات من انـواع اخـرى ، لا ندري اذا كانت قد حصلت فعـلا أو لم تحصـل ، كاجماع اهل المدينة ، واجماع الصحابة ، واجماع الائمة الاربعة ، واجماع الخلفاء الراشدين ، واجماع العترة النبوية ، والاجماع السكونـي ، والاجمـاع التوافقي ، والاجماع التتابعي ... (10) الخ .

---

(6) كتاب المراجعات : الطبعة العشرون ، مطبعة النجاح بالقاهرة ، المراجعة رقم 3 ص : 4 .

(7) المصدر السابق المراجعة رقم 4 ص 5 ـ وذكر الحديث التالي ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتـي » . ثم قال : ولذلك نعلنها صريحة بوجوب اتباع الائمة من أهل البيت دون غيرهم .
وهذا الحديث اخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما المتقى الهندي في اول باب الاعتصام من كنز العمال . ص 44 جزء 1 .

(8) بالغ الشيعة في التاويل فخصصوا آيات كثيرة عامة بعلي رضي الله عنه ، مـن غيـر داع الـى التخصيص ، وهي لا تتعلق به صراحة مطلقا . وقد اخرج ابن عساكر عن ابن عبـاس قولـه : « نزل فى علي وحده ثلاث مائة آية» ! (انظر الصواعق لابن حجر فصل 3 باب 6 ص 86) . وقال غيره: نزل في آل البيت وحدهم ربع القرءآن !! واخرج الكليني عن سالم قوله : سالت ابا جعفر (الباقر) عن قوله تعالى : ثم اورثنـا الكتـاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات .. فاجاب : السابق بالخيرات هو الامام . والمقتصد هو العارف بالامام . والظالم لنفسه هو الذي لا يعرف الامام !! أما السنة . فقد وقفوا عند التفسير والشرح . ولـم يلجاوا الى التاويل الا نادرا جدا .

(9) الاسلام وأصول الحكم تاليف الشيخ علي عبد الرازق. نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقي . ص 51 منشورات دار الحياة ـ بيروت 1966 .

(10) المصـــدر السابـــق ص 53 .

فالزيدية والامامية ، يعتبرون اجماع العتـــرة النبوية حجة : لانهم من آل البيت .

ومالك : يعتبر اجماع اهل المدينة لانه مدني .

وابن حنبل : يعتبـــر حجيـــة الائمة الاربعـة لانه واحد منهـــم .

وابو حنيفة : يعتبر حجية الصحابة لانه لا يرى نفسه دون التابعين ، ولديه القـــدرة على أن يقيس عليهـــــم .

وداود الظاهري : يعتبر حجية الصحابة كذلك، لانه يرفض القياس !!

فانظر كيف اتفق ابو حنيفة وداود على حجيـــة الصحابة وحدهم ، واختلفا في المبدا الذي انطلقـا منه للوصول الى الهدف ذاته !! (11) .

وبهذا الســبب ، فانا لن نعتمد على ما يدعـــي بعضهم من الاجماع لكي لا نمسك بطرف دون طرف ، ونكون مع جماعة دون أخرى ، ونعود دائما الى المنبع الصافي ، الى القرءان الكريم ، كتاب الله الخالد والى ما يؤيده من حديث متفق معه .

د ـ القيـــــاس :

وهو تطبيق حكم على حادث لم يرد عليه نـــص صريح ، ولكن له فيما مضى شبيه ، وتلحق به المصالح المرسلة والاستحسان ، تطبيقا للقاعدة العامـــة في تطور الاحكام مع تقلبات السنين والاعوام . وهو من اجل المبادىء الاصولية ، يستند فيه الى حكم اصيل من القرءان الكريم او السنة المطهرة ، وتفرع عليـــه الفروع ، وتلحق الاحداث بأحكام هــذه التفاريـــع ، تمشيا مع الزمن وتطور الاحوال والمجتمعات . ولنا في هذا الباب أسوة حسنة بالخلفاء الراشدين ، فهم ائمة الهدى في سياسة الدولة ، حيـــن كان الاسلام برعما آخذا بالتفتح للنور وللحياة ، شاديـا يدفـــع خطواته الاولى في طريق الامجاد . كما نتاسى بعباقرة المفكرين المسلمين من فقهـــاء وقضـــاة وشـــراح ومفسريـــن ... الخ .

(11) المصـــــدر السابـــــق ص 54 .

ولن نجرؤ على القول براي ندعيه ونسنده الى الاسلام ، ما لم يكن عليه نص قرآني صريح واضـــح او حديث شريف متفق معه .

* * *

لقد نظر فقهاء القانون الوضعي والمشرعون الى الجريمة من وجوه متعددة ، فشرحوهـــا تشريحـــا يوضحها ويجليها ويبين الدافع اليهـــا واثرهـــا في المجتمع وشدة وقعها فيه ... ووضعوا العقاب لكل حالة بما يناسبها . نظروا الى الباعث الدافـــع الى ارتكاب الجريمة ، فوجدوا ارتباطها بالاخلاق حتميا ، وانه لا يتجاوز حالين هما : باعث شريف ، وباعـــث دنيء . فخففوا عقاب الاول ، وشددوا على الثاني . مثال ذلك : القتل دفاعا عن النفس او العـــرض او المال ... تخفف فيه العقوبة او تعفى اعفاء ضمـــن حدود معقولة ، بترك الامر في تقريرها الى القاضـــي تطبيقا لنص قانوني . والقتل للســرقة والاعتداء على العرض والانتقام الشخصي والتآمـــر على الديـــن والشرف والدولة ... تشدد فيه العقوبة تبعا لنص قانوني كذلك .

فهل نظر الاسلام الى الجريمة من هذه الوجهة وعالجهـــا ؟ !

القتل في الاسلام مثلا محرم تحريما واضحـــا جدا ، لكن يمكن تبريره بحق المجتمع في الثار لنفس ازهقها القاتل من قبل ، او بســـبب فساد وفتنـــة يتمزق بها المجتمع . قال تعالى : « من قتـــل نفسا بغير نفس أو فســاد في الارض ، فكانما قتـــل الناس جميعا » (المائدة 33) . « اقتلت نفسا زكية بغيـــر نفس ، لقد جئت شيئا نكرا » (الكهف 74) . « وان قاتلوكم فاقتلوهم » (النســاء 191) . « وان تولـــوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » (النساء 89) . وايد ذلك الرسول صلى الله عليهم وسلـــم تطبيقـــا وعملا ، فامر بقتل المخربين والجواسيس والمفسدين على المسلمين عقيدتهم ، غير انه عفا عن حاطب بـــن ابي بلتعة حين تجسس للقرشيين على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومن شهود بـــدر ، فلـــم

يقتله كما قتل الجواسيس والعيون ، بل توقف في عقابه عند العتاب واللوم !! (12) لراي طيب رآه فيه.

والسرقة حدها معلوم واضح : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءا بما كسبا نكالا » (المائدة 38) وطبق القطع على السارقين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، ولكن عمر لم يقطع في عام المجاعة ، اذ نظر الى الباعث وهو الجوع، وتعجب لمن لا يجد طعام يومه ويبيت جائعا كيف لا يخرج على الناس بالسيف !! .

والزنى حده صريح جدا في القرءان الكريم ، غير انه فرق ما بين محصن وغير محصن شدد على الاول بالرجم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في شرحه : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وخفف عن الثاني فقال : « الزاني والزانية فاجلدوا كل منهما مائة جلدة » (النور 2) . وقصة ماعز في هذا الموضوع مشهورة جدا .

* * *

ونظر فقهاء القانون الى الجريمة من وجه آخر : فوجدوا أن الباعث قديكون شخصيا وقد يكون اجتماعيا . فالاول قد يقع بسبب اختلال عقلي او اخلاقي من طمع وطموح وانتقام ... وقد يقع بسبب حاجة تتعلق بالحياة كالجوع .

ويكون الثاني بسبب اختلال في التوازن الاجتماعي كوقوع ثورة او اضراب أو وضى أو مجاعة عامة .. او بسبب تركيب اجتماعي مختل غير متوازن ..

وقد نظر الاسلام الى كل هذه الحالات فاعفى المختل جسديا او نفسيا أو عقليا من المسؤولية كما اعفى الحيوان الاعجم و « جناية العجماء جباد » فقال : « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » (النور 61 ـ الفتح 17) . « افانت تسمع الصم او تهدي العمي » (الزخرف 40) . « ا انتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » (الفرقان 17) . « وما اضلنا الا المجرمون » (الشعراء 99) .

وفي الضلال والاضلال 206 آيات في القرءان الكريم ، يمكن بتحليلها وحدها ان نفرق بسهولة ما بين الباعث والهدف في الجريمة بمختلف صوره وانواعه .

ونظر فقهاء القانون الى الجريمة من وجه ثالث، فقرقوا ما بين العمد من جهة ، والخطا والسهو والنسيان من جهة اخرى . فهل نظر الاسلام الى هذا التفريق كذلك ؟ !

نعم ، ففي جريمة القتل مثلا ، تجد صورتين للعمد وللخطا بينتين . جاء في القرءان الكريم : « ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة » (النساء 91) . « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطا » (النساء 91) . « ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها » (النساء 92) .

---

(12) جاء في صحيح البخاري (باب الجاسوس) . قال علي : بعثني رسول الله انا والزبير والمقداد بن الاسود وقال : انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيولنا حتى انتهينا الى الروضة ، فاذا نحن بالظعينة فقلنا : اخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب . فاخرجته من عقاصها . فاتينا به رسول الله (صلعم) فاذا به من حاطب بن بلتعة الى اناس من اهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب !! ما هذا ؟ ! قال : يا رسول الله لا تعجل علي . اني كنت امرا ملصقا في قريش ، ولم اكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها اهلهم واموالهم ، فاحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي . وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله : لقد صدقكم . فقال عمر : يارسول الله : دعني اضرب عنق هذا المنافق . قال : انه قد شهد بدرا ... انظر فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري لاحمد بن علي بن حجر . مجلد 6 ، ص 143 . طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض .

وقسم فقهاء القانون الجريمة بحسب شدتها الى ثلاثة اقسام هي : جناية ، وجنحة ، ومخالفة ، فهل نظر الاسلام الى هذا التفريق ؟ !

اشار القرءان الكريم الى نوعين من الجرائم همــــا :

أ ــ جرائم شديدة الاثر في المجتمع كالقتل والزنى والسرقة والبغي وقطع الطريق ... وحد لها عقابا يتناسب وآثارها في المجتمع شدة وضعفـا . وسماها « جرائم الحدود » وقال : « تلك حدود الله فلا تقربوها » (البقرة 187) « تلك حدود الله فـلا تعتدوها » (البقرة 229) .

ب ــ جرائم اقل أثرا في المجتمع ، لا تهــزه بعنف كما تهزه جريمة القتل العمد مثلا ، أو قطـع الطريق . وسماها : « جرائم التعزير » ترك الاجتهاد في عقابها للحاكم والقاضي والمحتسب .

والملاحظ في هذا التقسيم انه يرفع بعـض الجرائم الى درجة الجنايات : ويخفض بعضهـا الى درجة الجنح . أما المخالفات البسيطة فلم يعبأ بهـا كثيرا ، وتركها لتقدير الحاكم ، أن شاء شدد فيهـا وان شاء خفف . انظر الى موضوع الحسبة ، فهو فى الاصل تطبيق للآية الكريمة « واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (الرحمن 9) وما يشابهها من الآيات الآمرة بالعدل في المبايعات ، من باب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فقد كان المحتسب الموكل بالاسواق يمتحن المكاييل والموازين والاسعار ويراقب غش السلع وصلاحها ، فاذا وجد خطـأ ، نظر ، ان كان فيه تعمد او معاودة قسا قسوة شديدة فهرق وكسر وجلد ... وان وجد الخطأ ناتجا عـن سهو او اهمال بسيط او نسيان .. اكتفى بالتأنيب ، وما بين هذا وذاك من تعزير وتشهير .

فأنت ترى ان التلاعب بالميـزان قد ترتفـع عقوبته الى جنحة شديدة ، اذا كان فيه عمـد وسوء نية . وقد تهبط الى مستوى مخالفة بسيطة اذا نتج عن نسيان أو ذهول ، وكان خاليا من سوء النية وخبث القصـــــد (13) . ✻

والجريمة العمدية ، تمر بصفحات متعـــددة ، يمكن تتبعها في الخطوات التالية :

أ ــ خطـــوات تمهيديـــة .

ب ــ خطـــوات تنفيذيـــة .

والتمهيد للجريمة يمر بثلاث صفحـات على الاقـــل هـــي :

1 ــ التفكير بارتكاب الجريمة .

2 ــ دراستها من جميع وجوهها ، ومقابلـة النجاح في استكمالها حتى نهاية التنفيذ ، بالاخفاق المتـوقـــع .

3 ــ اعـــداد الادوات التنفيذيـــة كالسم أو الاسلحة الجارحـــة أو الناريـــة او المفرقعـــة أو الحارقـــة ... الخ .

كما تمر الخطـــوات التنفيذيـــة كذلـــك في الصفحات التالية على الاقل :

1 ــ السير نحو ارتكاب الجريمة كاستئجـــار سيارة ينتقل بها الجاني الى مسرح الجريمة .

2 ــ مباشرة التنفيذ كالكمون في ركن خفـــي وتعبئة المسدس وانتظار بروز المجني عليه .

3 ــ اتمام التنفيذ باطلاق النار عليه . وينتهي التنفيذ بالنجاح اذا انطلق المسدس فـي حينـــه ، وكانت الاصابة مسددة تسديدا صحيحا واصابـت المجني عليه اصابة مباشرة ، وقد ينتهي التنفيـذ بالاخفاق ونجاة المجني عليه من الموت لسبب مـــا

---

(13) ورد ذكر الميزان في القرءان الكريم 23 مـرة . منها 11 آية تحض على وجوب الدقـة في الوزن والكيل في المعاملات التجارية والبيوع في هذه الدنيا . و12 آية في ذكر الميزان الاخروي وهـــو ميزان معنوي توزن به الحسنات والسيئات يوم القيامـــــة .

(✻) جاء في الحديث الشريف : رفع عن أمتـــي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

خارج عن ارادته : باكداء السلاح وامتناعـه عـن الانطلاق ، أو تحرك المجني عليه فجاة ، او صياحـه عليه وشعور الجاني بالخوف والتردد ، أو ظهور ناس آخرين في نفس اللحظة ، او مرور سيارة الشرطـة ... الخ .

والقانون لا يؤاخذ المجرم بشيء ما دام ضمن صفحات التمهيد الاولى ، او يؤخذه على امر آخر غير جريمة القتل او الاعداد لها كجريمة حمل السلاح من من غير ترخيص مثلا ، واذا دخلت حيز التنفيـذ ، ينظر ، اذا تمت الجريمة بنجاح وكملت ، فانه يجرم بها حتما ، واذا قصرت دون النجـاح يتـرك الامـر للقاضي ، ان شاء جرم بجرم كامل ، وان شاء جـرم بجـرم ناقص .

فهل نظر الاسلام الى الجريمة من هذه الزاوية هذه النظرة التفصيلية ؟ !

يتبـع



التشريع الإسلامي

بين الاكتفاء بالنصوص والتوسع في المصادر

للدكتور عمر الجيدي

سأتناول موضوعا احسبه جديرا بالدراسة والبحث نظرا لما ثار ويثار حوله من جدل لم يحسم الخلاف فيه بعد، وهو: الاكتفاء بالنصوص او التوسع في المصادر كما عنونته ..

المصادر الاصلية والتبعية:

(1) مصادر التشريع الاسلامي نوعان: اصلية وتبعية، فالاولى تنحصر في الكتاب والسنة والاجماع، والثانية: عد علماء المالكية منها: القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، وسد الذرائع، وعمل اهل المدينة، وقول الصحابة، والبراءة الاصلية، والاستصحاب، والاستقراء، وشرع من قبلنا، مع اختلافهم في مراعاة الخلاف (1).

(2) ولا شك ان النوع الثاني كان ميدانا فسيحا للتشريع، اعتمده الفقهاء في التخريج والاستنباط، والترجيح والتضعيف، والتخصيص والتقييد ..

(3) غير أن كثيرا من الناس يتساءلون اليوم كما تساءلوا بالامس، لماذا اللجوء الى التوسع في المصادر؟ مع أن كتاب الله وسنة رسول الله (ص) فيهما ما فيه الكفاية، بهما اكمل الله شريعته، وبين احكام دينه عبادة ومعاملة « اليوم اكمت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »، ويعتبرون أن تخطيهما الى ما سواهما، منازعة لله في احكامه، وتطاول على السيادة الالهية، اذ لا حكم الا لله، ولا سبيل الى معرفة الحق في مصالح الناس الا بالرجوع الى الخالق، فالشريعة اكتملت بوفاة رسول الله (ص)، وكشفت بالنصوص عن حكم الله في كل قضية وكل مشكلة، ولا عبرة بتبدل الزمان او المكان ..

(4) وعلى وجاهة هذا الراي، وتقديرنا لاصحابه، الا اننا نخالفهم الراي فيما يذهبون اليه، اذ من المعلوم لدى كل عاقل أن النصوص متناهية، والوقائع والنوازل غير متناهية، فالنوازل تتجدد باستمرار، وهي لا توفي بها النصوص، ومعلوم قطعا انه لم يرد في كل حادثة نص صريح، والراي السائد لدى جمهور العلماء انه لم يقدر لرسول الله (ص) ان يستوعب الا القواعد الكلية للتشريع، وجانبا من الاحكام الفقهية التي تتصل بحياة الناس وواقعهم ..

(5) وليس معنى هذا ان شريعة الاسلام قاصرة أو عاجزة عن استيعاب هذه الامور، وشمول المواضيع

(1) انظر تعداد المصادر التكميلية: شرح تنقيح الفصول للقرافي ص: 445، وشرح التحفة لابن ناظمها، مخطوط خ. م. ص: 2 رقم 9856، والموافقات للشاطبي 41/3، وترتيب المدارك لعياض 89/أ ط. المغرب، والمعيار للونشريشي 272/2، والبهجة للتسولي 133/2، ودليل الرفاق لماء العينين 35/1.

المستجدة والمعاصرة ، فشريعة الله وسعت كل شيء ، ما كان واقعا على عهد رسول الله (ص) وما حدث بعده ، وما سيحدث الى يوم القيامة ، الا انها أتت بالكليات والقواعد العامة ، وتركت التفاصيل والجزئيات الى العقل يوجهها حسبما تتطلبه المصلحة البشرية وحسب التطورات الزمانية والمكانية ، وهذا من اتمام كمالها ، ولان النبي (ص) كان يراعي في ابلاغ الحكم حاجة الناس ، ومقتضيات الظروف الزمانية « لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم » (2) ، ولم يمضي على وفاته صلى الله عليه وسلم الا زمن قصير ، حتى ظهرت حاجات جديدة لم يعرف الصحابة والتابعون لها حلا في الكتاب ، ولا فيما صح من السنة النبوية « فكان ابو بكر اذا ورد عليه خصم ينظر في كتاب الله ، فان وجد بما يقضي بينهم قضى به ، وان لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله (ص) في ذلك الامر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل الصحابة قائلا : اتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ ، فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله (ص) فيه قضايا فيقول ابو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا علم نبينا ، فان اعياه ان يجد فيه سنة عن رسول الله (ص) جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رايهم على امر قضى به » (3) ، وجاء في وصية عمر بن الخطاب للقاضي شريح « فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله (ص) ولم يتكلم فيه احد بتلك، فاختر اي الرايين شئت ، ان شئت ان تجتهد رايك لتقدم فتقدم ، وان شئت ان تتاخر فتاخر ، ولا أرى التاخر الا خيرا لك » (4) . ويؤثر عن ابن مسعود رضي الله عنه من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله ، فان لم يكن في كتاب الله ولم يقض فيه بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جاء امر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ، ولم يقضي به الصالحون فليجتهد برايه ، فان لم يحسن فليقم ولا يستحيي (5) .

(6) وهكذا نرى الفقهاء من الصحابة لجأوا الى اعمال الراي والاجتهاد منذ الايام الاولى لوفاة رسول الله (ص) في المسائل المستحدثة ، وليس اللجوء الى الاجتهاد بمختلف اشكاله الا دليلا قاطعا على ان الكتاب والسنة لم يستوعبا الوقائع المستحدثة بالحكم الخاص ، اذ لا معنى للاجتهاد وأعمال الراي فيما نص عليه الكتاب او السنة بحكم صريح ..

يقول الحفيد ان رشد : « ان الوقائع بين اشخاص الاناسي غير متناهية والنصوص والافعال والاقرارات متناهية ، ومحال ان يقابل ما لا يتناهى بما يتناهي » (6) ، والى هذا الراي يجنح ابن خلدون، فهو يرى ان الوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص ، وما كان منها غير ظاهر في النصوص ، فيحمل على المنصوص لمشابهة بينهما (7) ، وجاء في الملل والنحل للشهرستاني : ان الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بعدد كل حادثة اجتهاد (8) ، ولا يختلف راي الحافظ ابن عبد البر عن الآراء السابقة ، فهو يؤكد ان الفروع لا حد لها تنتهي اليه ابدا ، وبذلك تشعبت، فمن رام ان يحيط بآراء الرجال فقد رام ما لا سبيل اليه ، لانه لا يزال يرد عليه ما لا يسمع ولعله ان ينسى اول ذلك بآخره لكثرته ، فيحتاج الى ان يرجع الى الاستنباط (9) ولعل هذا المعنى يرشد اليه حديث رسول الله (ص) لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن فقال : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : اقضي بما في كتاب الله ، قال : فان لم يكن في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله (ص) ، قال : فان لم يكن في سنة رسول الله (ص) قال : أجتهد رايي ولا آلو ، فضرب بيده في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضاه

---

(2) المائدة : 100 .
(3) فجر الاسلام ص : 239 ودائرة المعارف لفريد وجدي : 212/3 .
(4) جامع بين العلم وفضله : 70/2 .
(5) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : 177 ط : ثانية .
(6) بداية المجتهد : 2/1 .
(7) المقدمة ص : 445 ط : التجارية .
(8) الملل والنحل : 199/1 .
(9) الابحاث السامية : 1 / 17 .

رسول الله (10) ، ولا عجب فان الاصول محدودة ، والحوادث ممدودة كما قال العلامة السرخسي (11).

(7) على أن قضية الاكتفاء بالنصوص كمصادر للتشريع أو التوسع في المصادر كانت دائما مثار اختلاف علماء الاسلام ، وانقسموا فيها فريقين : فمنهم من قال بأعمال النصوص القطعية فقط (من كتاب وسنة واجماع) على خلاف في هذا الاخير شاذ ، ومنهم من توسع في المصادر ، ورأى ان النصوص القطعية لا تكفي لاستيعاب ما يجد وما يحدث من علاقات ومشاكل واحداث ..

فالفريق الاول المكتفي بالنصوص القطعية يذهب الى أن كلام الله فيه كل شيء ، ولا داعي الى ايجاد المصادر الجديدة للاحكام ، وهذا الفريق يستدل لرأيه ببعض النصوص من الكتاب والسنة والآثار ..

فمن الآيات : قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (12) وقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » (13) ، ومن الاحاديث ما اخرجه الترمذي وغيره أن رسول الله (ص) قال : « ستكون فتن ، قيل وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » (14) ، وما روي عن أبي هريرة (ض) انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لو اغفل شيئا لاغفل الذرة والخرولة والبعوضة » (15) ..

ومن الآثار : ما اخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال : « من اراد العلم فعليه بالقرءان ، فان فيه خبر الاولين والآخرين » (16) ، وما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن مسعود (ض) قال : « انزل في القرءان كل علم وبين لنا فيه كل شيء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرءان » (17) ، وقال ابو العباس المرسي في تفسيره : « جمع القرءان علم الاولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم به ، ثم رسول الله (ص) خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة واعلامهم مثل الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل اهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حملته الصحابة والتابعون من علومه ، وسائر فنونه فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها » (18) ، وقال الامام ابن حزم : « كل أبواب الفقه ليس فيها باب الا وله أصل في الكتاب والسنة نعلمه » (19) ، ويقول الحافظ البرزلي : « واكثر الوقائع في آخر الزمان واقعة فيما قبله بل يفتقر للحفظ والفطنة من تطبيق الواقعة على ما حفظه »(20) ويقول العلامة ابن حزم : « ان رسول الله (ص) اتانا بهذا الدين وذكر انه آخر الانبياء وخاتم الرسل ، وأن دينه هو لازم لكل حين ، ولكل من يولد الى يوم القيامة في جميع الارض ، فصح انه لا معنى لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الاحوال ، وان ما ثبت فهو ثابت ابدا في كل مكان وعلى كل حال حتى ياتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر أو مكان آخر أو حال اخرى ، وكذلك ان جاء نص بوجوب حكم في زمان ما او في مكان او في حال ما ، وبين لنا ذلك في النص وجب أن لا يتعدى النص ، فلا يلزم ذلك الحكم

---

(10) اعلام الموقعين : 1 / 70 .
(11) اصول السرخسي : 1 / 10 .
(12) الانعام : 38 .
(13) النحل : 89 .
(14) الاتقان : 2 / 126 .
(15) الاكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص : 2 .
(16) الاتقان 2 / 126 .
(17) الاكليل : ص : 2 .
(18) الاتقان : 2 / 126 — 128 .
(19) الابحاث السامية : 1 / 16 .
(20) احكام البرزلي ، مخطوط خ. م. رقم : 4841 .

حينئذ في غير ذلك الزمان ولا في غير ذلك المكان، ولا في غير تلك الحال، قال تعالى: « ومـن يتعـد حدود الله فقد ظلم نفسـه » (21).

(8) فعلى هذا الراي تكون النصوص كافية،وان محاولة ايجاد المصادر التكميلية للاصلين منازعة لله في احكامه وتشريع ما لم يأذن به الله ولا يجوز التردد في تطبيق حكم من احكام الشريعة الاسلامية بدعوى مراعاة روح العصر او ظروفه، وان الشريعة هـي المعيار والحجة على كل عصر، وهي الحاكمـة على اهواء الناس، وهذه النظرة وان كانت فكرة صالحـة نشيد بقيمتها، الا انها نظرة جامدة تقف مع النـص لا تتعداه، وهي تتحمس للنصوص اكثر مما تعتمد على العقل، بل تلغي هذا الاخير، وتحـط من قـدره، متجاهلة ان الشريعة جاءت موجهة العقل الى توجيه النصوص توجيها يتماشى مع واقع الناس ومصلحتهم.

(9) والفريق الثاني نظر الى مصالح الناس، والى اوضاع المجتمعات الاسلاميـة والى الواقـع المعاش، مستخدما عقله في ادراك الاشياء وتحقيق المصلحة، وبناء الوقائع على النصوص، ولا ريب أن راي هذا الفريق يبدو أكثر وجاهة من الاول، فهـو يعتمد النصوص وينطلق منها ولا يرى في ممارسات الاجتهاد واعمال الفكر، واستنباط الاحكام، وتنوع المصادر، الا تأييدا للنصوص، واكتشاف مواضـع المصلحة، كما يرى ان الوقوف المطلق مع النصوص وتطبيقها على الواقع المتجدد منهج يصطدم بتلـك النصوص نفسها..

(10) واذا كانت الشريعة الاسلامية صالحـة لكل زمان ومكان، فان ذلك لا يتاتي مع الجمود، لان العالم كله متغير متطـور، ولعـل وجـود الناسخ والمنسوخ في القرءان الكريم والحديث النبـوي الشريف يؤيد هذا الاتجاه، فما وجد الا بسبب مـا كان في الزمان النبوي من تغيرات الاحوال، وقـد قال ابن عباس في قوله تعالى: « عليكم انفسكم » ان هذه الاية يعود العمل بها في آخر الزمان، فالدين ما اتى الا رحمة بالناس، وهو بذلك يستجيب لحاجاتهم وتحقيق مصالحهم، والمصادر التكميلية ما هـي الا استجابة لحاجات الناس، لانها واجهت مشاكلهـم، فاذا تعددت المشاكل، وتبدلت الاوضاع فلا بـد أن تتغير الاحكام وتتطور، فالكل في هذا الكون متجدد متطور لذلك وجب مسايرته...

(11) فالنصوص على كثرتها محدودة بالقياس الى المشاكل المتجددة، والسوابق التي ثبتـت في عهد النبوة وصدر الاسلام مهما تعددت، فهي بدورها محدودة العدد، بالقياس الى ما يطرا في كل يوم من مشاكل، والعالم كل يوم يزداد بالتجارب الانسانية، وبما وصلت اليـه العلـوم الحديثة في ميادين الدراسات الاجتماعية والنظم السياسية والاقتصادية والمعاملات التجارية، لا يملك ازاءها مشرع معاصر أن يسقط هذه المستجدات من حسابه، فلا بد من مسايرة التطور البشري، لا سيما والفقهاء يعرفون ان الله بين اشياء، وسكت عن اشياء وفي ذلك دعـوة للعقل لكي ينطلق، ويبحث عن وجـوه المصلحـة، واعطاء الحلول لكل ما يحدث.

(12) وايضا فالنصوص نفسها فيها عموم، وفيها مجمل، وفيها تفصيل كذلك، فما كان منها مفصـلا شاملا لا مجال للعقل لان يستدرك عليه، أو يزيد فيه، وما كان مجملا وعاما، فهذا محل اعمـال العقـل، والشريعة الاسلامية يتسع صدرها لهذا الاجتهـاد، فاصحاب المذاهب الاسلامية الذين استنبطوا الاحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس لم يستوعبوا كل شيء ولم يحيطوا بكل شيء وانما كان نظرهم في الغالب منصبا على ما حدث في عصرهـم، ولـم يضيفوا على انهم اصلوا أصولا لمن ياتي بعدهم...

يقول القاضي عياض: « لكنهم (أي الائمة) لم يتكلموا من النوازل الا في اليسير ممـا وقـع، ولا تفرعت عنهم المسائل، ولا تكلموا من الشرع الا في قواعد وواقع، وكان أكثر اشتغالهم بالعمل بما علموا، والذب عن حوزة الدين، وتوطيد شريعة المسلمين، ثم بينهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يبقى المقلد في حيرة، ويحوجه الى نظـر وتوقـف، وانما جاء التفريع والتنقيح وسط الكلام فيما يتوقع وقوعه بعدهم، فجاء التابعون فنظروا في اختلافهم، وبنوا على اصولهم، ثم جاء من بعدهم العلماء من اتباع التابعين والوقائع قد كثرت، والنوازل قد حدثـت والفتاوي في ذلك قد تشعبت، فجمعـوا اقاويـل الجميع، وحفظوا فقههم وبحثـوا عـن اختلافهـم واتفاقهم، وحذروا انتشار الامر وخروج الخلاف من

(21) الاحكـام مجلـد: 2 / 592.

الضبط ، فاجتهدوا في جمع السنن ، وضبط الاصول، وسئلوا اجابوا وبنوا القواعد ، ومهـدوا الاصول ، وفرعوا عليها النوازل ووضعوا للنـاس في ذلـك التصانيف وبوبوها ، وعمل كل واحد منهم بحسب ما فتح عليه ووفق له فانتهى اليهم عمـل الاصـول والفروع والاختلاف والاتفاق وقاسوا على ما بلغهم ما يدل عليه او يشبهه » (22) . .

(13) فالحكم الشرعي يتاثر كثيرا بالظـروف الاجتماعية التي ترافقه ، وقد تطور المجتمع الانساني من الحياة البدائية الى الحياة المتمدنـة ، وانتقـل الانسان من الصحراء والارياف الى المدن الآهلـة ، وتحولت الحياة البدائيـة البسيطـة الى الحيـاة الاجتماعية المتحضرة المعقدة ، وتغيـرت علاقـات الفرد بالكون والمجتمع ووسائل التقـدم الحضاري ، وتبعا لذلك فان التشريع الاسلامي يجب ان يلاحـق هذا التطور ، وهذه المدينة ببناء الفروع على الاصول حتى يحفظ اصالته وسلامته وثباتـه ، واتصالـه بالطبيعة البشرية الفردية والاجتماعية ، ويضمن بذلك صلاحيته للبقاء والاستمرار في الظروف الاجتماعية المتطورة (23) ولامر ما راينا اصحـاب المذاهـب الاسلامية احدثوا مقاييس للراي ، واستنبطوا معايير جديدة للاستنباط ، والوانا من الاجتهاد ، وبذلـك كانت تختلف مذاهبهم في ذلك ، فكان بعضهم يرفض وجهة نظر الآخر في الحكم ، وكان القياس اول هـذه المعايير التي استعملها ارباب المذاهب ، وتشعبـت مدارس الفقه الاسلامي ، وصيغت الافكار في صيغة علمية محددة ، حتى اصبح علم اصول الفقه صناعـة علمية لها اصولها وقواعدها ، وذلك كله يدل على عدم وفاء نصوص الكتاب والسنة بما استحدث للمسلمين بعد عصر النبوة ، وما جد لهم من حاجات على طريق التفاصيـل .

(15) ومن هنا ذهب معظم الفقهاء الى القول بأن النصوص لا تغني عن المصـادر التبعيـة ، اذ النصوص لا يمكنها ان تستوعب جميـع الجزئيـات والتفاصيل ولذلك لجاوا الى العرف والى المصلحـة والى الاستحسان وغيرها من بقية الاصول التبعية . .

(16) فالعرف لا بد من مراعاته في استنباط الاحكام وتطبيقها لان كثيرا من النصوص الآمرة بنيت عليه ، اذ قلما يخلو باب من ابواب الفقه من الاعتماد عليه ، حتى في الجرائم والعقوبات ، ففي جريمـة التعدي على الكرامة الانسانية من شتم واهانة انمـا يعتبر من الكلام فيها ما يكون في عرف الناس شتمـا واهانة للمقول فيه ، كما انه يخصص النصوص العامة، فيحمل العام على ما يقتضيه العرف ويبني عليـه ، ويكون حجة في فهم الادلة في خلق جريمة أو عقوبـة خاصة ، فالعقوبة التعزيرية التي لم يحـدد الشارع لها مقدارا ولا نوعا ، وانما فوض الامر فيهـا لرأي الحكام وانظارهم حسب المصلحة في زمان وحسبمـا تؤديه من تحقيق زجر الجاني ، انما تكـون شرعـا بالقدر الذي يعتبر كافيا للقمع والزجـر في نظـر القلاء وعرفهم بحسب درجة الجرم بحيث لا يكـون اكثر مما يستدعيه الجرم المرتكب فتصبح هي ظلمـا وجرما ، ولا اقل ، فيكون فيها تهاون في حقوق الناس، وتنتفي منها الرهبة الزاخرة ، فالتعازيـر تختلـف باختلاف البلدان والعادات ، فما قد تبيحه سلطـة تشريعية في بلد ما قد تحرمه سلطة اخرى في بلـد آخر ، وما قد تعاقب عليه سلطة تشريعية من وجـه قد تعاقب عليه سلطة اخرى من وجه آخر في بلـد آخر (24) ، لان القاعدة : ان ما رتب عليـه الشرع حكما ولم يجد فيه حدا يرجع فيه الى العرف (25) ، ومن ثم كان المجتهدون المستنبطون للاحكام مـن القواعد العلمية يتاثرون الى حد كبير بالوسط الذي كان يعيش فيه هؤلاء الناس ، والعادات التي تكتنفهم، فلو لم تتاثر الاحكام المبنية على العادات فى استنباطها ببيئة الناس ، ولو لم تكن مناسبة لظروفهم ، لشعـر الناس بالضيق والحرج ، وصارت الشريعة مجانبـة للفرض الذي بنيت عليه (26) ، وليس معنى هـذا ان العرف والظروف يتحكمان في النصوص الصريحـة فيحملان المجتهد على القول بحكم غير الذي تعطيـه النصوص ، بل معناه ان من النصوص ما هي قواعـد عامة يمكن تطبيقها حسب ظروف الناس واحوالهم ، ومنها ما هو معلل بمصالح خاصة يمكـن ان تـدور الاحكام التي تشتمل عليها مع هذه المصالـح (27) ،

(22) ترتيـب المـدارك : 61/1 .
(23) الاسـلام والحكـم ص : 276 .
(24) الفروق : 183/4 والتشريع الجنائـي الاسلامي ص : 132 .
(25) احكام الاحكام لابن دقيق العيد : 299/2 .
(26) العـرف والعـادة ص : 77 .
(27) العـرف والعـادة ص : 78 .

ولا شك ان مصالح الناس تتبدل بتبدل مظاهر المجتمع البشري ، فمهما كانت مصالح العباد أساس كل تشريع ، كان من الضروري والمنطقي ان تتبدل الاحكام وتتغير وفق تبدل الزمان وتغيره ، وتتأثر بمظاهر المحيط والبيئة الاجتماعية .

تغير الاحكام بتغير الزمان والاحوال :

(17) ومن المقرر في فقه الشريعة : ان لتغير الاوضاع والاحوال الزمانية تأثيرا قويا في كثير من الاحكام الشرعية الاجتماعية ، اذ هذه الاحكام القصد منها : اقامة العدل ، وجلب المصلحة ، ودرء المفسدة، فلها ارتباط وثيق بالاوضاع والوسائل الزمانية وبالاخلاق العامة ، فكم من حكم كان تدبيرا او علاجا ناجحا لبيئة ما في زمن معين ، فأصبح بعد جيل أو اجيال لا يفي بالفرض المنشود ، او أصبح يفضي الى عكسه بتغير الاوضاع والوسائل والاخلاق ..

وقد اهتم الفقهاء المتأخرون بهذه الحقيقة ولاحظوها في كثير من المسائل افتوا فيها بعكس ما أفتى به أئمة المذاهب القدامى ، واسسوا على هذا القاعدة الفقهية القائلة : « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان » وقد أوجب القرافي على اهل العصر تفقد مذاهبهم (28) لهذا الفرض .

وكم اصاب ابن القيم عندما لاحظ ان تغير الفتوى واختلافها تتغير بحسب تغير الأزمنة والامكنة والنيات والعوائد ، وذكر ان بسبب الجهل بهذه الحقيقة وقع غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة ، وتكليف ما لا سبيل اليه ، الشيء الذي يتنافى والشريعة التي هي في أعلى رتب المصالح (29) .

وليس ابن القيم اول من ادرك هذه الحقيقة ، بل ادركها كثير من الفقهاء قبله ، فالامام مالك قال : « تحدث للناس فتاوي بقدر ما أحدثوا » وقبلهما قال الامام العادل عمر بن عبد العزيز : « تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور » (30) .

(18) ثم ان المسائل الفقهية في حلها ثابتة عن طريق الاجتهاد والراي وكثير منها بناه المجتهد على ما كان في عرف زمانه ، ولو تأخرت به الحياة الى زمان آخر لقال بخلاف ما قاله أولا ، ولهذا اشترطوا في المجتهد أن يراعي عادات الناس ، فكثير من الاحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله ، او لحدوث ضرورة ، او لفساد اهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه اولا ، للزم المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر (31) ..

يقول القرافي : « ان أحكام الاقضية والفتاوي تتبع عوائد الزمان وعرف اهلها » (32) ، وقال المقري في القاعدة (1037) : « كل حكم مرتب على عادة فانه ينتقل بانتقالها اجماعا » (33) ، وقد حدثت أعراف كثيرة نتيجة اختلاف وسائل الحياة وجرى عمل الناس بها تبعا لتطور الزمان وتعدد النوازل ، ولا تزال الحوادث تتجدد وتتطور بتطور الزمان وتعظم كلما تقدمنا في الزمان ، فالناس اليوم سائرون مع الحضارة ويعايشون ما تاتي به من جديد كل يوم في مختلف مجالات الحياة من صناعات ، واكتشافات وعمران وتشابك المصالح مما انشأ تقاليد واعرافا جديدة تقتضي أن يوجد لها حكم مناسب يراعى فيه تحقيق المصلحة ، ولو كان هذا الحكم جاريا على القول الضعيف أو الشاذ .

مراعاة المصالح :

(19) ونعثر في كتب الفقه والنوازل على اقوال كثيرة ومسائل عديدة جرت فتاوي الفقهاء فيها على القول الشاذ والضعيف تحقيقا للمصلحة المعتبرة، وهكذا نراهم يصرحون بان : « هذا الحكم مخالف لمشهور المذهب او مخالف للنصوص ولكن أفتى المتأخرون به لمصلحة ظهرت لهم » .

---

(28) الفـروق : 2 / 109 .
(29) اعـلام الموقعيـن : 3 / 1 .
(30) انظر شرح الزرقاني للموطأ : 204/4 .
(31) انظر العرف والعمل في المذهب المالكي لكاتب هذه السطور : 133/1 .
(32) الاحكـام ص : 68 .
(33) الكليات ص : 130 مصورة استاذنا الجليل سيدي سعيد أعراب حفظه الله .

فبيع الصفقة مثلا عند المتاخرين مخالف للنصوص ، ولكن جوزوه لتحقيق مصلحة البائع الذي يريد بيع حصته ، فلو لم يبع الجميع صفقته لتضرر بفعل تماطل الشركاء وعدم استجابتهم لرغبة من يبيع حظه (34) فهم اعتمدوا في هذا على المصلحة التي تتحقق للبائع ، وكذلك فعلوا في مسالة شهادة اللفيف ،جوزوها لتحقيق المصلحة ، فلو عدم العدول لتوقفت مصالح الناس ، ولكن الفقهاء راعوا تحقيق المصالح فقبلوا شهادة عوام الناس حتى لا تتعطل مصالحهم (35) ، وكذا الشان بالنسبة لبيع المضغوط، جوزوا بيعه لما فيه من مصلحة وهو تخليص نفس المضغوط من العذاب ، وهو آكد في الاعتبار ، على الرغم من ان المشهور فيه انه لا يلزمه وان يرد اليه ما باعه بلا ثمن (36) ، وكذلك فعلوا في مسالة تضمين الرعاة ، لان تضمينهم يؤدي الى حفظ مصلحة ارباب الماشية حتى لا يفرط الرعاة بالغفلة او التعدي، فاعتبرت المصلحة في هذا وقل مثل هذا في مسالة الجزاء والجلسة ، والحكم لولي القتيل دون شاهد ، ومسالة الخماس الى غيرها من النظائر . . .

مراعاة الاستحسان :

(20) واذا كان الفقهاء اعتبروا المصلحة وبنوا عليها العديد من الاحكام ، فانهم كذلك راعوا الاستحسان كأصل من اصول الاستنباط على جهة الاستثناء والترخيص ، فاجازوا بيع السلم ودخول الحمام من غير تقدير اجرة ولا عوض عن الماء ولا تقدير مدة المكث ، لان التقدير في مثل هذا قبيح في العادات ، فاستحسنوا ترك المضايقة فيه ، مع ان ذلك لا يجوز في بيع ولا اجارة ، وكذا الامر في الاستصناع، فهو شراء معدوم ، والاصل ان لا يجوز ، ولكن أجيز استحسانا ، والقرض في الاصل ربا ، لانه مبادلة العين بالعين الى اجل ، لكنه ابيح استحسانا لما فيه من الرفق والوسعة على الناس بحيث لو بقي على اصل المنع لاصاب الناس حرج ، والاطلاع على عورات الناس في التداوي ممنوع أصلا لتحريم رؤيتها ، الا انه استحسن لرفع الضرر ، والمزارعة والمساقاة على القاعدة العامة توجب منع انعقادهما لجهالة البدل فيهما ، لكن استحسن ذلك استحسانا (37) ، والقياس الصحيح المطرد ان لا يقضي القاضي بعلمه ولا بما يسمع في مجلس نظره ، لكنهم استحسنوا خلافه كما صرح بذلك ابن سهل (38) ، الى غير ذلك من النظائر التي افتى فيها الفقهاء مراعاة لتحقيق المصلحة ، ولهم في ذلك مستند اعتمدوا عليه ، وهو الاقتداء بفعل الصحابة، فالعمل بالمصلحة عمل به الخلفاء الراشدون ، اذ حكموا في مسائل لم تكن موجودة في عهده صلى الله عليه وسلم ، فابو بكر جمع القرءان الكريم في المصحف لان المصلحة اقتضت ذلك خشية الضياع، وعمر دون الدواوين وسك العملة ، وشاطر الولاة الذين اتهمهم في اموالهم ، واراق اللبن المغشوش ، وقتل الجماعة بالواحد ، وعلى ضمن الصناع علما بان الاصل في الصانع انه امين ، والامين لا يضمن ، كما اتفقوا على حد شارب الخمر ثمانين جلدة ، ولا شك ان هؤلاء الصحابة لم يكونوا يصدرون في هذه الاحكام عن رأي مجرد او اتباعا للهوى ، وانما كانوا في ذلك مسايرين لروح النصوص حسبما هداهم اليه فهمهم السليم . والله اعلم بالصواب .

د. عمر الجيدي

---

(34) انظر تحفة الاصحاب والرفقة لميارة مخطوط خ. ع. رقم 889 د .

(35) انظر العرف والعمل في المذهب المالكي : 476/2 .

(36) نور البصر ص : 169 .

(37) انظر هذه الامثلة وبقيتها – ان شئت – في كتاب العرف والعمل في المذهب المالكي الجزء الثاني ابتداء من ص : 408 .

(38) احكام ابن سهل ص : 7 مخطوط خ. ع. بالرباط رقم 86 ق .

من قضاة الاسلام :

الماوردي

للدكتور فؤاد عبد المنعم
(القاهرة)

تمهيـــــــد :

ان قوام المجتمعات الصالحة قديما وحديثا ، اساسه العدل بين الافراد وسبيله الحكم بين الناس، وقد قيل العدل أساس الملـــك ، ويتحقـــق العدل بحسم الخصومات والمنازعات وايصال الحقـــوق الى اصحابها ، بمقتضى الاحكام الشرعية المستقاة مـــن الكتاب والسنة ، والتشريع الصادر من ولي الامـــر فيما لا يخالفهمـــا .

وقد اهتم العلماء المسلمـون ببحـث شروط القاضي وكيفية تعيينه ، وانفرد الماوردي بـدراسة التنظيم القضائي وتأسيسه ، وفي دراســـة ذلـــك التنظيم ما يصل بين حاضرنا وماضينا ، وبالمقارنـة بينه وبين الانظمة الحديثة ، يتضح لنا مدى أصالـــة شرعنا ، وعمق تفكير مفكرينا ، ومدى اسهامهـــم في رقي الانسانية واسعادها .

وفي القاء اضواء سريعة على شخصية الماوردي ما يعين على الالمام بالتنظيم القضائي وما يجـــب ان يتصف به القاضي في نظره ، وهو السياسي البارع ، والكاتب الاديب والفقيه المجتهد ، وعمدة القضاء في عصـــــره .

معالـــــم حياتـــــه :

هو ابو الحسن علـــي بن محمد بـــن حبيـــب الماوردي ، ولد بالبصرة عام : 364 هـ ــ 974 م من اسرة تنتمي الى بيع ماء الورد .

وصل الى بغداد وتعلم بها ، وعلم فيها ، واشتغل بالقضاء في البصرة ، وبغداد حتى وصل الى منصب اقصى القضاة في : سنة 429 هـ ــ 1037 م ، وقـــد نتج عن اشتغاله بالقضاء انه درس واقع حياة الناس، ومشاكلهم ، والتعمق في دراسة الاحكـــام الفقهيـــة والافادة منها في اصدار أحكامه .

كان قريبا من الخلفاء والوزراء ، وسفيرا بينهم، وبين خصومهم السياسيين ، وقد ساعدته تلك القربى على ان يكتب في السياسة كتابات كان لها اثر كبير في الفكر السياسي الاسلامي من بعده . وكان اديبا لغويا كتب كتابات ممتعة في تاريخ الادب العربـــي ، كما كتب في الاخلاق والتربية ، كما كانت له بعـــض النظرات الصائبة في بعض الاحاديث ، ووثقه فيهـــا بعض علماء الجرح والتعديل ، وكان فقيها شافعيـــا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثـــا فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة في المسالـــة ويرجح بينها ، وينتهي لراى يرى فيه وجه الحـــق والصواب ، حتى انتهت اليه زعامة الشافعيـــة في عصـــــره .

انفرد في تفسيره ببعض الاتجاهات التـــي تدل على اصالة وعمق في التفكير .

وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقي الفاظه ومعانيه ، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

وكان اخلاقيا في سيرته ومعاملاته بين الناس ، وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنـــة : 450 هـ ــ 1058 م ودفن في بغداد .

الماوردي القاضـــــي :

لم نجد في كتب التراجم العامة او الخاصـــة بالقضاة ما يفيد كثيرا عن الماوردي كقاض ، وليس امامنا الا ما كتبه الماوردي نفسه عن القاضي ومـــا يشترط فيه ، ومن خلال ما كتب يمكن ان نستشف شخصية الماوردي كقاض وصل الى درجة قاضـــي القضاة ، يتولى تعيين وعزل القضاة ، ويتفقد احوالهم ، ويراجـــع احكامهم .

شرط القاضي في نظر الماوردي :

يضع الماوردي مقاييس خاصة ، لا بد ان تنطبق على كل من يتولى القضاء :

1 ـ يقصر تلك الوظيفـة على الرجـــال دون النساء مستندا لقول الله تعالى في سورة النساء آية 34 « الرجال قوامون على النساء بمـــا فضـــل الله بعضهم على بعض » ولقـــول النبـــي صلى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولـــوا امرهـــم امراة » رواه البخاري والترمذي والنسائي ص 7 مـــن المعجـــم المفهرس لالفاظ الحديث .

2 ـ ان يتوصل بذكائه الى ايضاح ما اشكـل وفصل ما اعضل وان يكون صحيح التمييز فطنا ذكيا بعيدا عن السهو والغفلة .

3 ـ ان يكون حرا مسلما ويستدل بقول الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافريـــن على المؤمنيـــن سبيلا » (الآية : 141 من سورة النســاء) .

4 ـ ان يكون عدلا ، والعدالة معتبره في كـل ولاية فيكون صادقا امينا عفيفا عن المحارم .

5 ـ السلامة في السمع والبصر ليصح بهمــا اثبات الحقوق ، فان كان ضريرا فولايتــه القضـــاء بـــاطلـــــــــة .

6 ـ ان يكون عالما بالاحكام الشرعية وهـــي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويستدل بقـــول معاذ بن جبل حين ارسله النبي (ص) الى اليمـــن وساله : « بم تحكم ؟ » قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال : فان لم تجد؟ قال : اجتهد رايي . قال : « الحمد لله الذي وفـــق رسول الله لما يرضى الله ورسوله » . (رواه ابـــو داود واحمد : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث جـ 7 ص 266) .

ويجوز للقاضي ان ياخذ باي مذهب من المذاهب تاكيدا لمعنى الاجتهاد الذي يجب ان يكون للقاضي فى جميـــع احكامـــه .

حكم تولي القضاء بالرشوة :

ابطل الماوردي تعيين اي قاض تقـــدم لهـــذه الولاية عن طريق الرشوة . لان الباذل لها والقابـــل لها مجروحان ، وكانـــت الرشوة قـــد انتشرت في الدولة العباسية ، ويستند لقول النبي عليـــه الصلاة والسلام : « لعن الله الراشي والمرتشي والرائش » رواه ابن حبان والحاكم عن ابي هريرة ـ الترغيـــب والترهيب جـ 4 ص 231 ـ كتاب القضاء .

منع القاضي من قبول الهديـــة :

وليس لمن تقلد القضاء ان يقبل الهدية مـــن خصم ولا من احد العاملين معه . ويرى الماوردي ان الهدية اذا اخذها القاضي فعليه ان يجعـــل بدفـــع قيمتها الحقيقية لصاحبها حتى تصبح ملكـــه . وان تعذر ردها او رد قيمتها ردت لبيت مال المسلمين .

المتخصـــص في القضــــاء :

ومن تنظيمات الماوردي للقضاء ان تكون هناك محاكم خاصة لكل نوع من انواع القضاء ـ وهو مـــا يطلق عليه حديثا الاختصاص النوعـــي ـ فيقـــول : « كان يرد الى احدهما نوع من الاحكام والى الآخـــر غيره ، كرد المداينات الى احدهما والمناكح الى آخر فيجوز ذلك ، ويقتصر كل واحد منهما على الحكـــم الخاص عن البلد كله » .

ويوجه النظر ايضا الى تكوين محاكم تتمايـــز بشخصيتها ، اذا تميز من يقدم اليها بنزعاتهم الخاصة: « يجوز ان يكون تقليد القاضي مقصورا على بعـــض الاهل دونهم جميعا اذا تميزوا عن غيرهـــم » كما في المحاكم العسكرية ، كما جعل لكل جهة قاضيا خاصا بتلك الجهة ـ ويعرف حاليا بالاختصاص المكاني ـ

حتى لا يتحمل المدعي والمدعى عليه مشقة الانتقال من مكان الى آخـــر .

سرعة الفصل في القضايـــا :

ومما يلفت الانتباه اهتمام الماوردي بما نعانيه الآن في محاكمنا ، وهو عدم البت بسرعة في القضايا فيقول : « ليس للقاضي تأخير الخصوم اذا تنازعـوا اليه الا من عذر » .

استقـــــلال القضـــاء :

وجعل الماوردي للقضاء جهازا مستقلا يسمى: « ديوان قاضي القضاة » يختص بأمـــور القضـاة والعاملين معهم فاصبح للقضاء استقلاله في مواجهة الخليفة والامراء والعاملين معهم . فليس لاحدهمـــا حق عزل القاضي ، وانما العزل لقاضي القضاة عنـد ظهور الجرح او الخيانة او عدم ثبوت الكفاءة .

آثـــــــــاره :

يذكر لنا ابن تعزى بردى في كتابه : (النجـوم الزاهرة) في سنة : 450 هـ « وفيها توفي علي بن احمد بن حبيب ابو الحسن المـاوردي البصـري الامام الفاضل الفقيه الشافعي صاحب التصانيـف الحسان منها : (التفسير) وكتــاب (الحــاوي) (والاحكام السلطانية) و (قوانين الوزارة والامثال) » وولي القضاء ببلدان كثيرة وكان محترما عند الخلفاء والملـــوك .

واشتهر الماوردي في العصر الحديث بانـــه صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) وحظي بدراسات خاصة في مؤلفات المستشرقيـــن عن الحضـــارة الاسلامية ، وكتابه هذا مطبوع ومتداول .

وقمنا بتحقيق كتابـه : « قوانيـــن الوزارة » بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود الذي أسهم في مؤتمر الماوردي ببحث عنه بعنوان : (الفقيـه الاصولـــي) .

كما ان مؤلفات الماوردي السياسية : ايضـــا لتسهيل النظر وتيسير الظفر وهي محفوظة قـام بعرضهـــا الاخ العراقـــي الفاضـــل محي هـــلال السرحان ، الذي كان له شرف الحصول على رسالة الماجستير في الشريعة الاسلامية في تحقيق جـزء من كتاب الحاوي للماوردي الخاص بآداب القاضـي ، ولقد قال ابن خلكان في الحاوي : « لم يطالعه أحـد الا يشهد له بالتبحر والمعرفة التامة في المذهب » ، وقد اختصر الماوردي كتاب الحاوي في الاقنـــاع فيقول : « الماوردي بسطت الفقه في اربعـــة آلاف ورقة واختصرته في اربعين » .

يريد بالمبسوط كتاب « الحاوي وبالمختر كتاب الاقناع » الذي الفه باعتباره زعيما لجماعة الشافعية في عصره بناء على تكليف من الحاكم وقـت ذلـك القادر بالله يروي لنا ياقوت في صميم الادباء تلـك الواقعة فيقول : « تقدم القادر بالله : 336 ـ 422هـ= 947 ـ 1031 م الى اربعة من ائمة المسلميـــن في ايامه في المذاهب الاربعة ان يضيف له كل واحد منهم مختصرا على مذهبه ، فصنف له الماوردي الاقناع ، وصنف له ابو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب ابي حنيفة ، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصرا آخر، ولا ادري من صنف له مذهب احمد وعرضت عليه ، فخرج القاضي الى اقضى القضاة الماوردي وقال له: « يقول لك امير المؤمنين : (حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا) » .

وقبل ان نختم بحثنا نتعرض لذكـر بعـض الاقوال التي قيلت فيه ، قال ابن الجوزي عنــه في المنتظم : « كان وقورا متاديـــا ... وكان ثقـــة صالحـــة » .

وقال ابن كثير في البدايــة والنهايــة عـــن الماوردي : « وقد كان حليما وقورا أديبا ، لم يـــر اصحابه ذراعه يوما من الدهر من شدة تحرزه وأدبه ، ولقد وثقه الذهبي في ميزان الاعتدال فقال عنـــه : « كان صدوقا في نفسه » ؛ وقال عنـــه ابن حجـر العقلاني في لسان الميزان : « كان صدوقا في أعماله صريحا في الحق لا يحابي احد فيه » .

وقد اجمل الشيخ ابو زهرة رحمه الله صفاته فيقول : « انصف ابو الحسن بصفـــات جعلتـــه في الذورة بين رجال العلم عبر التاريخ الاسلامي ـ واولى هذه الصفات : ذاكرة واليمة وبديهة حاضرة وعقل

مستقيم ، والثانية : اتزان في القول والعمل ... والثالثة : الحلم وضبط النفس ... والرابعة : التواضع وابعاد النفس عن الغرور ... والخامسة : الاخلاص » .

الخاتمة :

ونختتم بحثنا بفتوى للماوردي تكشف عن قوة شخصيته ، واثره في العهد العباسي الذي عاش فيه. فقد افتى القضاة بجواز تسمية الوزير جلال الدولة (شا هنشاه) أى ملك الملوك ، وكان من القضاة الذين جوزوا هذه التسمية : لابو الطيب الطبري (450 هـ) ، والقاضي البيضاوي (450 هـ) ، وابو القاسم الكوفي ، وغيرهم ، ولكن لم يوافق الماوردي على تلك التسمية . واستند الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اخنع اسم عنه الله . رجل تسمى ملك الاملاك ، لا ملك الاملاك الا الله » رواه الشيخان عن ابي هريرة – الترغيب والترهيب جـ 4 ص 140 – كتاب النكاح .

وكانت توجد علاقة طيبة بينه وبين جلال الدولة ، فهو من أخص الناس قربا منه ، وكان يتردد على داره ، فامتنع عن زيارته ولزم داره . فارسل اليه جلال الدولة وقال له : قد علم كل احد انك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا . وقد خالفتهم فيما خالف هواى ، ولم تفعل ذلك الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق ، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم ، وجعلت جزاء ذلك بأن ادخلتك الى وحدك، وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودي الى ما تحب .

وتقديرا لشخصية الماوردي وما اسهمت به في مسيرة الحضارة العربية فقد احتفلت جامعة عين شمس بالقاهرة بمرور الف عام على مولده بعقد مؤتمر عربي له في الفترة من 22 الى 27 نوفمبر 1975 ، تناول فيه كبار الاساتذة والمفكرين في العالم العربي فكر الماوردي وشخصيته بالبحث والدراسة .



عُدْ إليـنا
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ

للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

عجبـا كيـف يجـرؤ الشعـراء   ان يقولـوا في مدحـه ما شـاؤوا

ويباهوا بشعرهـم ، وهـو من أثـ   ـنى عليـه الالـه والانبيـاء

وارتقى في المعراج حتـى تـراءت   سدرة المنتهى ، وطـاب اللقـاء

خاطـب الحق في عـلاه وزالـت   حجب الغيـب دونـه والغطـاء

وأحاطـت بـه الملائـك والرسـ   ـل ، وسارت في ركبه الاصفيـاء

* * *

انـا ان اجتـرىء على بـاب مـولا   ى ، فحسبـي قربـى له وانتمـاء

اخـرست آيـه لسانـي ، وراعـ   ـتني ، واعشى عيني منـه البهـاء

اخجـل الشمس ، كلمـا ازداد بعـدا   عصـره ، زاد دفـؤه والضيـاء

ما استطاعت سحائب الكفـر والالـ   ـحاد طمسا لمـا حبتـه السمـاء

بعد الف ورابـع ن مئـات السنـ   ـوات انقضـت ، توالـى العطـاء

كل يـوم في دينـه تدخـل الافـ   ـواج طوعا ، وهـم بـه سعـداء

من ذوي العلم ، والفضيلة ، والاشعـ   ـاع ، لا سوقـة ، ولا غوغـاء

يتبـارون في اكتشاف مزايـا   ه ، ومنهـم تسلـط الاضـواء

يتمنون لـو اليـه اهتـدى الخلـ   ـق جميعـا ، وعمـت الآلاء

وانتمـى للاسـلام منهـم بنوهـم   وكـذا الامهـات والآبـاء

فهو دين الخلاص من وحشه الـرو   ح ، اليـه للتائهيـن التجـاء

كلما استيقظت قلوبهمو مـن   ـن خدر الكفر للحنيفة جاؤا

تتهاوى أمام أنوارها اسـ   ـوار قصر القياصر الشماء

وتدوس الاقدام أنجمها الحمـ   ـر ، وتصدا المناجل العوجاء

وينادي المسيح ابناءه ان   قد أتى المصطفى وزال المراء

فادخلوا دينه الذي هو ديني   ليس بيني وبين صنوي عداء

وينادي موسى الكليم يهود الا   رض ، لكن آذانهم صماء

عششت في عقولهم خطط الشـ   ـر فكادوا ، واجرموا ، واساؤوا

فهمو للاسلام أقسى عدو   من قديم ، بلعنة الله باؤوا

عيرونا بأننا ننشر الاسـ   ـلام بالسيف ، يا لهم سفهاء

وهمو قاتلوا الملايين ممـ   ـن رفضوا كفرهم ، فهم شهداء

سيف هذا الاسلام منطقه النـا   صع ، فهو الجيوش وهو اللواء

سيف هذا الاسلام قرآنه الـر   ائع ، منه للواردين ارتواء

سيفه فطرة لها تطمئن النفـ   ـس لا غلظة ولا اغواء

ما فتحنا الا القلوب بحب   صادق فيه للقلوب شفاء

ما فتحنا الا العقول ، وكانت   مغلقات آذانها صماء

ما شرحنا الا الصدور للايما   ن ، فعمت ارجاءها الاضواء

فقدت دولة السلام على الار   ض ، جميع الاجناس فيها سواء

ما بنى مثلها جدود ، ولن يكتـ   ـب حتما لما بناه البقاء

بشروا القوم بالسعادة في الدنيـ   ـا ، فمالت اليهمو الدهماء

انكروا الله ، واستحبوا على القر   آن دستورهم ، فعم البلاء

كلهم في لحودهم يتلوو   ن ، ويعلو صراخهم والعواء

وينادي كبيرهم : « رب أخطأ   ت طريقي ، ولي اليك رجاء ..

وينادي في ظلمة اليأس : « يا ر   ب اغثني ! » فلا يجاب النداء

« خذ بأيدي الذين أضللتهم عنـ   ـك ، فأنت المحجة البيضاء »

« كيف أعمت عيني الضلالة والالحـ   ـاد ، والحق ساطع وضاء ؟ »

« كيف أقنعتهم بأنك لا تو   جد ، والكون شاهد والذكاء ؟ »

* * *

عد الينا ، يا خاتم الرسل ، انا   امة جاهلية جهلاء

فرقتنا أهواؤنا ، وأنانيـ   ـتنا ، والعداء ، والبغضاء

ونفوس مريضة بهواهـا   وقلوب من حقدها سوداء
وعقول لا نور فيها ، ولا منطـ   ـق ، فهي البصائر العمياء
ما فقدنا (القدس) الشريف ولا ار   ض (فلسطين) يوم ساد الاخاء
ما فقدناهما ، ولا هضبة الجـ   ـولان الا لما استتب العداء
وقضى الحكم في (الجزائر) أن تفصـ   ـل عن ارض اهلها الصحراء
فارقتنا من الدماء عليها   فوق ما فيه يغرق الاعداء
هو ادرى بصاحب الحق لكن   هي جحر للص فيه اختباء

* * *

عـد الينا عسى يعود لنا الايمـ   ـان ، والعدل ، والصفا ، والهناء
لم نعد أمة ، ولكن غدونا   اممـا بيننا تسيل الدماء
امما بينها اقتتال وكيد   يستحي من له اليها انتماء
تتغنى بوحدة الصف في كل   احتفال ، ويخطب الزعماء
وتصلي الشعوب من أجلها الـ   ـه حتى يصيبها الاعياء
وتسيل الدموع من كل عين   وتضج الارواح والاحشاء
وحدة للشعوب فيها خلاص ،   وتراص ، والفة ، واخاء
وحدة للاسلام فيها انتصار ،   وازدهار ، وعزة قعساء
وحدة للعروبة المجد فيها   ولاعدائها الردى والفناء
ما يئسنا من رحمة الله ، لكن   كل آمالنا ذراها الهواء

* * *

ما لهذي القلوب لا يشرق الايمـ   ـان فيها شغافها ظلماء ؟
غرقت في نوم التواكل لا تو   قظها ضجة ولا ضوضاء
قعدت عن كسب المعالي ولم تسمـ   ـع نداء ، فنومها اغماء
وحياة القلوب في عودة الايمـ   ـان ، فهو العلاج وهو الدواء
اى سر حجبته عن عيون الخلـ   ـق ، هذا الايمان هذا الشفاء
لو عرفناه ما رجعنا الى الخلـ   ـف ، ولا انهار مجدنا والعلاء
انه سرك الالهي لا يعطاه الا عـ   ـبادك الاتقياء
رب ارسله من سماك الينا   فقلوب الورى اليه ظماء
قد عرفناه يوم أن حبس الغيـ   ـث علينا ، وجفت الارجاء

فأتينـــا اليـــك ، يا رب ، واستـــ ـــقاك منا الضعـــاف ، والاقويـــاء
لم تكد ترقـــع الجباه ، وفي الاعـــ ـــين دمـــع ، وفي القلوب رجـــاء
لم تكـد تقلـــب الجلابيـــب حتـــى اطبق الغيـ واستجيـــب الدعـــاء
اومض البرق فيه ، وانفجـــر الرعـــ ـــد ، ودوى ، وانهلـــت الانـــواء
وهمى الغيث ، فانطفا الغضب الاســـ ـــود فينا ، وزال عنـــا العنـــاء
ذاك ايماننا ، فانت الذي قلت لنـــ ـــا : « ادعوني أستجب » يا ضيـــاء

* * *

مولد المصطفى لنـــا وقفـــة كـــ ـــبرى ، وفيه التذكيـــر والاصغـــاء
لك اهـــدي همزيتـــي يا رسول اللـــ ـــه ، يا من اهدت اليـــه السمـــاء
لم اردهـــا جزيلة اللفـــظ والمعـــ ـــنى فيشقـــى لفهمهـــا البسطـــاء
فتقبـــل منـــي ، وكن لـــي شفيعـــا يـــوم لا ينفـــع الـــورى الشفعـــاء

نظرة في شعر

عمر بهاء الدين الأميري

للدكتور عبد الحليم خلدون الكناني
(باريس)

1 ـ (أ ب) ديوان شعر جديد للاستاذ عمر بهاء الدين الاميري (1) ، وعنوان أحلى قصائده ، وقع الديوان في يدي من قريب فاستمتعت بقراءته وحفظت القصيدة .

لا شك ان كثيراً من الآباء مثلي ترنموا بهذا الديوان ، وان عدداً من المعلمين في العالم الناطق بالعربية اقرأوه تلامذتهم .

تنبهت في الحافظة حين قرأته ذكريات طفولتي البعيدة . الرازحة تحت وطأة الماضي فتحركت وتلاعبت ، وعمرت قلبي بنشوة عهد السذاجة ، وبعثت في نفسي ذلك الاحترام العميق الذي تكنه للوالدين بفضل الفطرة وفضل الاسلام ...

رايتني ـ مع أبناء الاميري ـ في مواقع الصبا، الهو واعبث واختصم : ورايته في حياتي اليوم ؛ يفصح عما في قلبي من فرحة الاب بأبنائه ، وسروره حينا بنجاحهم ، وقلقه حينا لفشلهم وامعانه في نصحهم ، واساه اذا مرضوا او ابتعدوا ، وخوفه عليهم من المستقبل الكثيف الحجاب خوفا شديدا ، لا يهدئه الا الايمان بالله والاتكال عليه ...

2 ـ لا ريب ان عمق (انسانية) الاميري ، واحساسه المرهف النبيل ، وسعة ثقافته العربية والشرقية والغربية ، وغنى تجاربه المكتسبة من طول تجواله في المشرق والمغرب ، لا ريب أن كل هذا هو الذي صير عمر بهاء الدين الاميري شاعراً عالميا ناطقا بلسان كل القلوب ... وابا لجميع الابناء ... يصف احوالهم ويحمل همومهم في قلبه الكبير :

ما لك يا قلبي على الدروب
تبحث عن كل حشا منكوب ؟

تصنع من أناته وجيبي
هل أنت ـ يا قلبي ـ أبو القلوب؟

3 ـ يحلو للشاعر وصف عبث اطفاله وصفا حيا انيقا مزخرفا بالتفاصيل المختارة :

اني اراهم اينما التفتت
نفسي ، وقد سكنوا وقد وثبوا...

في النافذات ، زجاجها حطموا
في الحائط المدهون ، قد ثقبوا!

في الباب قد كسروا مزالجه
وعليه قد رسموا ، وقد كتبوا!

(1) ولد في حلب (1917) ودرس في وطنه سورية وفي فرنسا ودرس في الجامعات العربية وسفر لبلده في باكستان والمملكة العربية السعودية . وهو من الاعلام المهتمين بقضايا السياسية والجهاد في اوطان العروبة والاسلام .

في الصحن فيه بعض ما أكلــوا
في علبة الحلوى التـي نهبــوا

ولا يتحاشى التفاصيل المضحكة المحرجة في وصف أول اولاده :

الاهـل انــت انيسهــــم
لك في قلوبهمو رحـــاب

مهما اتيــت فلا جنــاح
ولا مــلام ولا عتـــاب

كـم ذا بللـت ثيابهـــم
بل كم تخطيــت الثيــاب

فتضاحكــوا وتلائمـــوك
كأن فعلتك الصــواب ...

والتعبير عن غبطة الوالدين حين يجتمع شمل الاسرة ، وتطيب الحياة ويحلوا السمـر في هـداة الليل من ارق ما قرات في شعر الاميري :

كم ليلة كالبرق قـد سربـت
ساعاتها والبـدر مكتمـل

عشنا بها ، في متعـة ، سمـرا
عذبا ، وطرف الافـق مكتحـل

متجمعين ، وللزهور شـذى
والجو ، رغم البرد معتـدل

نتبادل الالغـاز ... نصنعهـا
نتذاكر الانفاس ... نرتجـل

وعباءتي عش لهـم ، ولكـم
مزعوا جوانبها ومـا حفلـوا ؟

صورة فريدة نفخ فيها الشاعر من روح الابوة ، وثبت فيها لحظة عابرة من حياته مع بنيه ، وخلدهـا في لوحة فنية ، فيها الوان سعيدة ضاحكة كما فيها الالوان الاخرى التي تكمل حقيقتها وواقعيتها : الوان الهموم التي لا تفارق الحياة اليوميـة والالـم الذي ينتاب النفوس السامية بعنف واطراد ، والفرق مـن المستقبل المشرب بالامل ، والطمع بالحياة الطيبة ، في هذه الدنيا وفي الآخرة ، التي وعد الله بها عباده المحسنيـــن :

هيــات يحصى ما اكابـــده
من همهم شعـر ولا زجـــل

لولا الهوى لم يحتمل جبـــل
اعباءهم ولزلــزل الجبـــل

يجد (العذوبة) في (عذابهم) وتمام (النظام) في (خللهم) وكمال السعادة في ايثارهم :

كم ذا بذلت حشاشتي لهــم
ووهبتهم روحي وما بذلـــوا

وحرمت نفسي كل مطلبهـــا
وحبوتهم كل الـذي سألــوا

فهمو العذاب ، له عذوبتـــه
وهمو النظام ، جماله الخلل (2)

وهمو الهموم تقضى مضجعنـــا
وهمو الغد المرموق والامل ..

فاذا ما آنس منهم التقصير ، عاملهم بالعفـو ، وعزة النفس المعروفة عنه ، وتمنى لهم المستقبـل الخيـــر :

اذهبوا ... ان لكم من والـــد
لم يوف الحق عفـو الابـــد

اسأل الله لكم فيـض النـدى
ولنفسي راحة الرمس الندى ...

ولا ينسى الشاعر في رسم صورته الشعرية ، بعد ان جمع فيها التفاصيل المذكرة بالماضي والعناصر الحية من الحاضر ، اتمامها بنظرة تأملية موجهة نحو المستقبل فيها حب ... وقلق ... وامل بالله :

احنو عليهم والهـا مشفقــــا
من عالم بالبغــي مسعـــور

غذوتهم روحي ، وأودعتهـــم
ربي ، وسلمـت لمقـــدوري

(2) يرى المفكر الفرنسي باشكال ان الصـورة الكاملة التي لا عيب فيها صورة هندسية تعجـز النفس الانسانية عن تذوقها كاملة . فاذا احتوت شيئا قليلا من (الخلل) زادت قيمتها (اللاانسانيـــة) وسهل الاستمتـــاع بهـــا .

4 ـ هل هذا التصوير الشعري بابعاده الثلاثة في الحاضر والماضي والمستقبل معا ، وفي الوانه الكاملة : الضحك منها والقاتم ، هو ما يأسر نفس القارىء لشعر الاميري ، ويميز اتجاهه الشعري عن غيره ؟

للجواب على هذا السؤال راجعت ما عندي من دواوين الشاعر ، واعدت قراءة : « مع الله » و « ملحمة الجهاد » و « ملحمة النصر » و « اشواق واشراق » و « الوان طيف » و « من وحي فلسطين » ... كما قرأت قصيدته حين دخل مستشفى ابن سينا بالرباط (يونيو 1975) ومجموعته الشعرية في الذكرى الالفية لابن زيدون (اكتوبر 1975) .

وجدت المزية الآنف ذكرها ظاهرة متكررة في كل قصائده وفرائده ، ووجدت فوق ذلك ان التصوير في شعر الاميري غير مقصور على الحس والشعور ووصف النزعات والعواطف ، وانما يزخر بكل ما تملكه النفس الانسانية الى كل ذلك ، من تفكير ... واعتقاد ... والتزام ... وتصور ... وخيال ... وعزم ... وسعي لتحقيق المقاصد ... وسمو الخير والمجد ... وامتزاج بالكون وانسجام مع نواميسه ...

هذا يعني ان الصورة الشعرية عند الاميري قطعة من حياته الحقيقية ، تتفاعل فيها وتتكامل كل الاجزاء التي تؤلف كيانه الحي : فيها نزعات الجسد ، واضطرام العواطف وانطلاق الخيال وقوة التفكير ، وصلابة الارادة تتعهدها شاعريته فتوفق بين عناصرها المبعثرة المتنافرة وتعرضها في صورة منسجمة رائعة (3) : ثم ترتفع بهذه الصورة الى مرحلة التألق والاشراق ... في هذه المرحلة ينفلت نفسه الشعري من قيود الزمان والمكان ، ويتنقل حرا طليقا بين الامس واليوم والغد ، بين الجسم والاهل والبلد .. والوطن .. والمهد .. واللحد .. بين (الانا) و (اللاانا) ... اسمعه يقول، وهو على سرير (العمليات) في مستشفى ابن سينا بالرباط :

اطلق عنانا يا زمان ... فقد كفى كبح الجماح
هذا الذي يتجاوز الافلاك يلتمس المراح
هو في الجناح ـ جناح طب القلب ـ مقصوص الجناح . .
قالوا : عليل ، فابتسمت ورحت امعن في المزاح
والعزم فوق ذرى النجوم ، ترووده همم صحاح
والهم ، يا للهم في قلبي له وخز الرماح
قالوا عليل ... قلت بل والله تثخنني جراح
انا في الجهاد اخوض للايمان معترك الكفاح

انا في فلسطين الطهو
ر مع « الفداء » بكل ساح

انا في صراع الدهر
اطلب للعلا ما لا يتاح

انا للصغير وللكبير
ارادة الخير الصراح ...

انا في « الرباط » مرابط
ورؤاي تغرب في النواح

انا في « الرياض » وفي « دمشق »
وليس عن « حلبي » براح

انا في امتدادات الاذان
كان في نسبي « رباح » ...

ولا تخلو بعض صوره الشعرية من سبحات غيبية واستغراقات صوفية :

في وحدتي ، والروح في
اعماقه نصب وغربه

ارسلت نفسي في فجاج
الليل ، والآفاق رحبه

فاستشعرت بالله نفح
.. سكينة في القلب عذبه

* * *

(3) يقول الشاعر الالماني هولدر لينج : ان ما نراه متنافرا في هذا العالم شبيه بخصام الاحبة خصام نهايته الى وئام ، وتنافر ينتهي الى انسجام .

في وحدتي ، ارتوت الجـوارح
.. من ندى تلك السكينـــه

واحاط بي خـدر عجيـب
.. الكنه ، لم اعرف معينـه

وكأنني فـوق الغمـام
.. اسبح في دنيـا امينـه

* * *

في وحدتي ، آمنـت ان
.. النفس بالحرمـان تصفـو

فطويت احنـاء الضلـوع
.. على جواي ورحت اغفـو

والحلم يرقـى بي معـارج
.. كلهـا ذوق ولطـف

5 — ما مقدار اتصال الصورة الشعرية بحياة الشاعر ؟ لا شك ان الشعر في حياة بعض الشعـراء طريقة للتعويض والتكميل لحياتهم العادية ... فهـو هزل ومرح ، ان كانت حياتهم اليومية تقتضي الجـد والرزانة . وهو وصف لجمال الطبيعـة ، ان كـان الشاعر حبيس المكتب والمصنع . وهـو تصعيـد وتنفيس ، ان ضاق صدر الشاعر بالحياة وتكاليفهـا وقيودها ... اما شعر الاميري فهو اكثر من ذلك انه لصيق بحياته الواقعية ... انه جزء منـه لا يجزأ ، كالقوقعة على ظهر السلحفاة ، وكالزهرة في النبـات المزهر ، وكالشدو في حياة العصافيـر ... انـه امتداد حقيقي لكيانه ... انه بعد رابع لذاتـه ... انه جزء مكمل لهويته ... ولا يتجلى شعـر الاميري بأبهى معانيه وصوره ورناته الحلوة ، الا اذا انشـده الاميري بنفسـه ، واضاف اليه صوته الرنان الجريء ، وحرارة انسانيته ، وروح الدعابـة وروح الجـد ، اللذين يتعايشان في شخصيته ، وملامح وجهه الابي ، وحركاته والتفاتاته الحذرة المتعالية ...

فاذا قرأ شعر الاميري غيره غاب عن قصائـده شيء من قوتها الحركية ورناتها الموسيقية ولامر ما كانت بعض دور التلفزة العربية ، متى قرات مختارات من شعره ، صاحبتها بنوع خاص من الموسيقى يعيد اليها بعض عناصرها المفقودة . ولامر ما نشر الشاعر ديوانه الجديد « أب » مكتوبا كله بخط يده . فشعره وخطه وصوته انما هي امتداد لذات واحدة فياضـة بالشعر والانسجام والالهام ...

سأله صديق صاحبه في زيارة (سبتة) : مالي أراك حزينا ، وهذه سبتة تضحك مياهها ، وتقبـل عليك بعيدها وغيدها ؟ فكان الجواب قصيدة منها :

يا غيد « سبتة » ما ذا العيد والغيد ؟
والتسـع من حب قلبي دونهم بيد (4)

تري على شبك العينين سيرتهـم
تترى « كفيلم » له رجع وترديـد

وللخيـال حيـاة بينهم وهـوى
وللحنين مـع الانفـاس تنهيـد

اطـوي وانشر ازمانـا وامكنـة
واستعيـد عهـودا كلهـا عيـد

ونحن نجوى ، جرت ما بيننا ملـح
في حلقة ، واشراب اللحظ والجيـد

ما ابعد الامس عن يومي واقربـه
لحن شجي له في النفس تغريـد

ترن في اذني وجـدي ومرحمتـي
بذكرياتي من « بابـا » اناشيـد

يا ويح « بابـا » ناى « بابـا » ولازمه
من هم تسعته الاحباب تسهيـد (5)

وهـم امتـه في قلـب غربتـه
رحى تدور ، ولا يثنيـه تفنيـد

على ذرى الشهب من غرس الطموح جنى
وفي كروم المنـى تزهو عنـاقيـد

وللرسالـة في عزمـي مناشـدة
وملء نفسي احـلام امـاليـد

6 — ان كان ثمة شعر يحتاج فيه القارىء الى من يعين على تفهمه وتذوقه ، فشعر الاميري خـلاف ذلك : شعر صاف كالبلور الشفاف ينضج بكل مـا فيه ، ويهبك نفسه عضوا بطلاقة وسهولة ، بـل ان

---

(4) لا تشبه القصيدة قصيدة المتنبي الا بالوزن والقافية . اما المعاني والاغراض فمختلفة .
(5) أولاده التسعـة .

الشاعر اذا خشي ان يمتنع عليك معنى أو لفظ ، شرحه لك في آخر الديوان ، وقدم لك في اول كل قصيدة موجزا للمناسبة التي ولدت فيها ، فلا يبقى بينك وبينه حاجز ، ولا بينك وبين شعره حجاب .

7 ـ ما اكثر الشعراء والادباء الذين قرظوا شعر عمر بهاء الدين الاميري واحسنوا الثناء . وقد وصفه بعضهم وصفا غاية الايجاز والجمال . قال الاستاذ العالم محمد المبارك : وجدت فيه مزيجا منسجما من صور الفن ، ووهج العاطفة ولباب الفكر وسبائك اللغة .

وقد استوقفني سؤال احدهم : لو لم يكن الاميري عربيا ؟؟ لا شك انه سؤال يطلب الجواب ، لا سيما وان طرحه على هذا الوجه متضمنا من البداية اتهاما للعرب في حق الاميري .

جواب على هذا السؤال : لو لم يكن الاميري عربيا لكان أوسع شهرة واقل اصالة ؟

في الواقع ؛ يطبع الناشرون لمشاهير شعرائنا ما يقارب خمسة آلاف نسخة من كل كتاب . فاذا نجح الكتاب وراج اعادوا طبعه مرة ومرتين بل قل عشرين مرة . أعني ان دواوين أبرز شعرائنا لا تصل الى مائة الف قارىء في عالم عربي مؤلف من مائة وخمسين مليونا انسان تقريبا فيهم كثير من الاميين فلو لم يكن الاميري عربيا لانتشرت دواوينه انتشارا أوسع في طبعات منوعة : فاخرة ومدرسية وشعبية ومصورة ، أو صدرت عنها مختارات شعرية درست فى المدارس الابتدائية (للاستظهار) والمدارس العليا (للدراسات الشعرية القديمة) ، ولسجلت قصائده في اسطوانات و (كاسيتات) وقرأتها أجهزة التلفزة في ندواتها الشعرية ، ولانشدها المتعبدون في خلواتهم وفي حالات خشوعهم وتعبدهم . اذ نحن امام شاعر لا يقل عن (اقبال) و (ابن الفارض) و (الشريف الرضي) في التعبير عن خشوعهم وعمق احساسهم الديني ومحاولة الاتصال بأسرار الكون الخفية . ويقل نظير الشاعر عمر في وصف مناسك الحج ، وتوسلات الحجاج ، وفنائهم في محبة خالقهم وتسبيحهم في جو تغمره الطهارة ، وصفاء الروح ، والبساطة في التعبد ، والايمان العميق بالله العظيم، الذي صدق وعده ونصر عبده .

لو لم يكن الاميري عربيا لوجدت شعره في كل مكان ، مترجما لجميع اللغات ولوجدت الطابعين والناشرين يستثمرون هذا الشعر الانيق الرفيع استثمارا تجاريا مطردا يدر عليهم الملايين .

لا ريب أن الاميري كان أوسع شهرة لو كان غير عربي ، ولكان في الوقت نفسه اقل اصالة لان الناشر الغربي خاضع اليوم لقيود التجارة وانظمة (التسويق) وضرورات المضاربة والمنافسة ولا تهمه في الدعاية لبضاعته ما فيها من صفحات جيدة حقيقية بقدر ما تهمه الصفات التي يريد من (المستهلكين) الاعتقاد بوجودها في بضاعته ! ولو وجد الغربي أن نوعا من شعر الاميري أروج من غيره لطلب منه الاكثار من صنعه ، والمزيد من نظمه ، والاقلال من النوع الآخر ولو كان أجود في حقيقته واقرب صلة بهوية الشاعر ، وانفع لبني الناس . فالقيمة (المصطنعة) تتغلب اليوم في اكثر البلاد المتقدمة صناعيا على القيمة الحقيقية الاصيلة . وما اقدر الصحف والكتب والاذاعة والتلفزيون وباقي أجهزة الاعلام ، في أيامنا على خلق الشاعر الكبير والسياسي اللامع والممثلة البارعة بين عشية وضحاها اذا دعت حاجات الجماهير المستهلكة الى وجودهم !!

8 ـ من حسن حظ العرب والمسلمين ان عمر بهاء الدين الاميري شاعرا عربيا مسلما ، لانه لم يتنكر لعروبته رغم ما قاساه في الوطن العربي . ولانه مسلم يتباهى باسلامه في زمن قل فيه المسلمون المعتزون باسلامهم ، المؤمنون بصلاحه الكامل لهذا العصر . ولانه شاعر مجاهد : جاهد نفسه وجاهد في وطنه ، وجاهد في فلسطين ، وما يزال يجاهد فى سبيل الدين والحقّ ونصرة الفقير والمستضعف والمسلوب الحق ، ويهيب بالناس الى حياة أسمى بشعر اسلامي على احسن مستوى من الشعر العالمي.

9 ـ ان الشاعر المجاهد عمر بهاء الدين الاميري رجل عصره لان رجل العصر الصحيح هو الذي يعرف عصره معرفة كاملة . ولا يكون هذا الا عن طريق وعيه لماضيه وتقويمه (لتليده) ، ومن (طريفه) و (تليده) يبني مستقبله حسب طاقته لحاضره معتمدا كل الاعتماد على اصالته ، انه لا ينظر الى (قديمه) كانه شيء مات وفات زمانه وانما كتراث تليد ذي قيمة خالدة يندمج مع طريف الحاضر

ويصنع معه عجينة المستقبل (6) . وكل شعر الاميري ثقة بالمستقبل واستسلام لمشيئة الله الذي وعد بالنصر عباده الصالحين (7) .

10 ـ فلننشر هذه الثروة الشعرية الفنية التي أهداها هذا الشاعر المسلم لامته مجانا ، انها غذاء روحي للشبان والشابات المؤمنين الذين اخذت تزداد اليوم اعدادهم بازدياد وعي الناس لجوهر الاسلام وسموه ، انه سلاح معنوي قوي للذين يدعون ، في هذا العالم المحموم الذي اضطربت قيمته وتناقضت اهدافه ـ الى حياة ارضى واغنى ـ في الارض وفي السماء ، حياة تخلق المستقبل الباسم وتدعو الى السلام والاخوة بين البشر :

ايها الصحب انها دورة الدهر
كفانا في تيهنا دورانا

والدنى اليوم في رحى من شقاء
ضل انسانها ، وشذوهانا

اين روح الاله فيه ؟ أما استخلف
حتى يسير الاكوانا ؟

بسداد وحكمة ، وجهاد
ضاع وبلاه ، ضيع الايمانا ...

سترى أعين العصور انبلاجا
من دياجيرنا لنور هدانا

النواميس في ركابك يا اسلام
تمضي وتستحث الزمانا

علم الكون في غد ونشيد الكـ
ـون طرا وخطنا وخطانا

ونجاة الوجود في القدر المرصود
امر يحكم القرآنا

باريس : د. عبد الحليم خلدون الكناني

---

(6) قال العقاد في شعر الاميري : انه دعاء يتكرر . ويتجدد ولا يتغير .

(7) يقول س. ج. يونغ الالماني في كتابه : انسان العصر يبحث عن روحه (الطبعة الانكليزية) رجل العصر نادر ، وفئته في مجتمعه قليلة . وكثيرا ما نرى الناس يسمون المرء الذي صبغ نفسه بصباغ الحديث دون معرفة القديم رجل عصره . وهذا غير صحيح . لان رجل العصر يعيش في حاضره وماضيه وفي مستقبله في آن واحد ، وهو يحمل هموم الانسانية جمعاء ويشعر بالمسؤولية الكبرى أمام المستقبل .



(الحلقة الأخيرة)

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ونتساءل بعد ان قطعنا جل مراحل البحث في دراسة الموسيقا الشعرية عند ابن موسى ، هل صادفنا من خلال هذه الدراسة الموسيقية نشازا في الانغام او عيبا من عيوب (1) القافية يستهجنها الذوق الموسيقي ، والتي نعثر عليها عند غيره من الشعراء قبله منذ عمرو بن كلثوم (2) والنابغة الذبياني (3) .

ان ديوان ابن موسى يكاد يخلو من العثرات الموسيقية الا ما كان من ابيات تعد على رؤوس الاصابع غشيها نشاز ، ولا أظن ذلك قد وقع الا بسبب تصحيف مطبعي او نقل ناقل او سبق قلم من الشاعر في لحظة من لحظات السهو البشري من ذلك قوله في التضرعات :

---

(1) هذه العيوب منها ما يتعلق بالروى وهي الاكفاء والاجازة والاقواء والاصراف والايطاء والتضمين ، ومنها ما يتعلق بما قبل الروى وهي سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الاشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه ، وللتفصيل راجع التنوخي (عبد الباقي) كتاب القوافي ص 48 وما بعدها ، تحقيق عمر الاسعد ومحيي الدين رمضان ، وراجع التبريزي الوافي في العروض والقوافي ص 239 وما بعدها ، وراجع كذلك الدمنهوري (محمد) الحاشية الكبرى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي ص 106 وما بعدها ـ ط. 1 (1353 هـ ـ 1934 م) .

(2) عمر بن كلثوم (... ـ نحو 40 ق. هـ ... نحو ـ 584 م) شاعر جاهلي مشهور من بني تغلب من الفرسان الشجعان ساد قومه وهو فتى ، عمر طويلا وهو صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

ومما عيب على عمرو بن كلثوم قوله في المعلقة :

كأن غضونهن متون غدر تصفقها الرياح اذا جرينا

فجمع الشاعر هنا بين الفتحة في قوافي المعلقة والضمة او الكسرة وهو ما يسمى بـ (سناد الحذو) وهو اختلاف حركة ما قبل الردف ، انظر الاصفهاني الاغاني ج 11 ص 52 ، وانظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ج 1 ص 157 وما بعدها ، وانظر التبريزي الوافي ص 245 ـ 246 .

(3) مر التعريف به ، ومما عيب عليه قوله :

امن آل مية رائح او مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

ثم قال :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغراب الاسود

فقد جمع الشاعر بين رويين في بيتين واحد مكسور والآخر مرفوع وذلك في كلمتي (مزود المكسورة والاسود المرفوعة) وهذا ما يمسى الاقواء ، انظر التبريزي الوافي ص 239 .

ويا مالك الملك العظيم ومجـــر

ى النوال العميم فى الخلائق ياكافي

فالخلل (4) واضح في صدر البيت في كلمــة (ومجرى) ولا يستقيم الا اذا تم تصحيحه هكذا :

ويا مالك الملك العظيـم ومقصــ

ـد النوال العميم فى الخلائق يا كافي

وان الحديث عن النشاز الموسيقـــي وعيــب القافية يفضي بنا الى الحديث عن موضوع آخر هــو الضرورات (5) الشعرية ، وهو وان لم يكــن مــن صميم موسيقا الشعر فانه على كل حـــال وسيلـــة يتوسل بها الشاعر للحفاظ على النغم الشعري من ان يتسرب اليه خلل يشدخ الاذن الموسيقية ، ويعنـــي ذلك ان الضرورات الشعرية رخص تتعلق بقواعـــد اللغة التي تبيح للشاعر ، دون اشتطاط ، ان يرتكب مخالفة لغوية او نحوية كي لا تختل الاوتار النغميـــة للقصيـــــدة .

ولا شك ان الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي قدركب الضرائر الشعرية مما جعل الشعراء عبــر العصور الادبية لا يرون غضاضة في ارتكابها ، وقـــد ذكر ابن جني (6) انه سال استاذه ابا علي (7) عــن الضرورة الشعرية والقياس عليها كما جـاز ذلــك للعرب فقال : (كما جاز ان تقـيس منثورنـــا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا ان نقـيس شعرنـــا على شعرهم ، فما اجازته الضرورة لهم اجازته لنا ، ومـا حظرته عليهم حظرته علينا) (8) .

وهذا ما جعل علماءنا يفردون تآليف في الضرائر نظرا لاهميتها ، ولعل اول من الف فيها المبرد (9) في كتاب سماه (ضرورة الشعر) وبعده السيرافي (10)

---

(4) البيان المفصل لهذا هو ان الشاعر استعمل عروض البيت محذوفة في الطويل ، وهذا لا يكـون في هذا البحر الا في ضربه ، والحذف هـو اسقاط سبب خفيف ورمزه (ــ 0) .

(5) انظر الحديث عن الضرورات الشعرية عند القزاز (محمد بن جعفر القيرواني) . ضرائر الشعــر تحقيق وشرح ودراسة الدكتور محمد زغلـــول سلام والدكتور مصطفى هدارة ، وعنـــد الالوسي (محمود شكري) . الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر .

(6) هو عثمان بن جنى الموصلي (ابو الفتح) (... ــ 392 هـ ... ــ 1002 م) امام من ائمة الادب والنحو ولد بالموصل ومات ببغداد ، من كتبه (من نسب الى امه من الشعراء) و (شرح ديـــوان المتنبي) وكتابه الفريد (الخصائص) ، انظـر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 2 ص 410 وما بعدها .

(7) هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي الاصل امام من ائمة العربية ، ولد في (فـــا) من اعمال فارس ، دخل بغداد وجال ما جال في كثير من البلدان ، من كتبه (التذكرة) في علم العربية ، انظر ابن خلكان . وفيات الاعيـــان ج 1 ص 361 وما بعدهـــا .

(8) انظر الخصائص باب هل يجوز لنا في الشعر الضرورة ما جاز للعرب او لا ج 1 ص 323 وما بعدها تحقيق محمد علي النجار 1371 هـ ــ 1952م.

(9) هو محمد بن يزيد الازدي المعروف بالمبرد (210 ــ 286 هـ = 826 ــ 899 م) امام في اللغـــة والادب ، ولد بالبصرة ومات ببغداد ، من كتبه (الكامل) و (المذكر والمؤنث) انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 3 ص 441 وما بعدها ، وانظر السيوطي بغية الوعاة ج 1 ص 269 وما بعدها .

(10) هو الحسن بن عبد الله السيرافي نسبة الى سيراف بفارس (284 ــ 368 هـ = 897 ــ 979 م) عالم من علماء النحو والادب ، سكن بغداد وتولى بها نيابة القضاء ومات بها ، كان معتزليا ، من كتبه (الاقناع) في النحو و (صنعة الشعر) انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 2 ص 410 وما بعدها . وانظر السيوطي بغية الوعـــاة ج 1 ص 507 وما بعدها ، وانظر ابا حيان التوحيدي (على) الامتاع والمؤانسة ج 1 ص 108 وما بعدها ، تحقيق احمد امين واحمد الزيـــن ــ ط. 2 وفيه محـــاورة السيرافي مع ابن الفرات .

وان فارس (11) وغيرهم بجانب ما تتحدث عنه كتب النحو كا (لكتاب) لسيبويه (12) .

ومن هذه الضرائر ما يشيع القلق في التركيبة الشعرية ، ومنها ما يناغم معها ، وذاك ما حفز علماء هذا الفن الى ان يقسموا الضرورة الى مقبولة ومستقبحة ، وحين نستعرض شعر ابن موسى باحثين عما ارتكبه من الضرائر فاننا لا نجده قد خرج عما ارتكبه سلفه من شعراء العربية ، ولكن ما يلفت النظر أن شاعرنا ما ارتكب ضرورة مستقبحة ، وما اكثر الالتجاء الى الرخص مما يؤكد اصالة الشاعرية لديه ، وتمكن الاداة في الانطلاق في التعبير دون الاحتياج الى ضرورة معينة في غالب الاحيان ، ومن الضرائر التي استعملها شاعرنا صرف ما لا ينصرف وهو من المقبول والمشهور عند الشعراء ــ في كلمة (بهاليل) التي زيد فيها حرف ساكن هذه الرخصة والا ظلت التفيعلية مطوية والطي (13) ــ وان كان مقبولا عند العروضيين ــ فانه في بحر البسيط لا تستريح له الاذن ، اذ يحدث شدخا في الوتر النغمي يقول شاعرنا في مولدية :

مكفولة ببهاليل غطارفة
شم العرانين من ابنائه الشرفا

البديع :

البديع عند البلاغيين هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام (14) وهو ضربان : معنوي يهتم بتحسين المعنى ، ولفظي يهتم بتحسين اللفظ ، واللفظي هذا هو الذي يدعى بالمحسنات اللفظية كالجناس (15) والموازنة وغيرها مما يشكل في العمل الشعري جرسا خاصا ويتعاون مع الايقاع الوزني على تأليف موسيقا شعرية معينة تحفز عمل الشاعر الى فرض حضوره والظفر بالقبول والحظوة.

وقد حفل شعر ابن موسى بهذه المحسنات فجنس ووازن ، واستطاع بذلك ان يبلور تجربته الشعرية ، وأن يمد ظلال المعاناة بدون تكلف واسراف على نحو ما نجده عند أبي تمام مثلا ، وحين نأخذ قوله من قصيدته في أسماء الله الحسنى :

فيها الهداية والغنى
فيها الفوائد والموائد

فيها السعادة والسيا
دة والزيادة والمقاصد

فيها المطالب والمطا
يب والطرائق والتلائد

نلحظ في الابيات جرسا جميلا بجانب ايقاعات الوزن ، بين (الفوائد والموائد) وبين (السيادة والزيادة) و (المطالب والمطايب) وهو ما يسمى في البديع بالجناس الناقص .

---

(11) هو احمد بن فارس القزويني (329 ــ 395 هـ = 941 ــ 1004 م) امام اللغة والادب ، اخذ عنه البديع الهمداني والصاحب بن عباد ، توفي بالرى ، من كتبه (فقه اللغة) و (ذم الخطأ في الشعر) انظر الثعالبي يتيمة الدهر ج 3 ص 400 وانظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 1 ص 100 وما بعدها .

(12) هو عمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (148 ــ 180 = 765 ــ 796 م) امام نحاة البصرة ولد بشيراز وتلمذ على الخليل بن احمد ورحل الى بغداد فناظر الكسائي ، وتوفي بالاهواز وهو شاب ، انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 3 ص133 وما بعدها ، وانظر الحلي (عبد الواحد بن علي) مراتب النحويين ص 65 ، تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ــ مطبعة نهضة مصر . وانظر السيرافي (الحسن) اخبار النحويين البصريين ص 37 و 38 تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ــ ط. 1 عام 1374 هـ ــ 1955 م .

(13) الطي هو حذف الرابع الساكن فى (مستفعلن) فتصير (مستعلن) انظر الدمنهوري الحاشية الكبرى ص 30 .

(14) انظر الانصاري (أبو يحيى زكريا) فتح منزل المباني بشرح اقصى الاماني في البيان والبديع والمعاني ص 92 ط. 1 ــ 1332 هـ ــ 1914 م .

(15) الجناس هو تشابه اللفظين في التلفظ منه التام والناقص ، راجع بتفصيل المصدر السابق ص 107 وما بعدها ، وراجع كذلك المنباوي (مخلوف) الحاشية على شرح الدمنهوري لمتن الاخضري المسمى بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع ص 160 ــ ط. 1372 هـ .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في الفقيه الزواقي ــ وقد مر الحديث عنها :

سجية راسخ في العلم جلى
فما يدري المحال لها مجالا

وقوله :

تعود منك نصحا مستنيرا
يصادف من مشاعره احتفالا

وحضا لا يزال حليف حظ
على الخيرات كال به وقالا

نلحظ جرسا حلوا يسري في الابيات بين (المحال ومجالا) و (حضا وحظ) وهو ما يسمى بالجناس الناقص ايضا .

وحين نأخذ قوله من قصيدته المولدية :

يعلو له في حديث الملتقى سند
فان الم به ذكر الجفا وجفا

وقوله من قصيدته نفسها :

حتى تخلص مرفوع الذرى ليد
ترعى الهدى والندى والعز والشرفا

نلحظ جرسا آخر حلوا في البيتين بين (الجفا و وجفا) وبين (الهدى والندى) .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في الخليفة السلطاني :

ان عاذ منهم بأمن منك معتصم
اطرى صنيعك مأمون ومعتصم

نلحظ جرسا لطيفا يتماوج في البيت من وجود كلمتي (معتصم ومعتصم) ، فمعتصم الاولى اسم فاعل من اعتصم ، والثانية اسم الخليفة العباسي ، وهذا ما يسمى بالجناس التام .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في مدح السلطان محمد الخامس رحمه الله :

واشرفهم في الباقيات مواقفا
وانفذهم في الصالحات أناملا

وقوله من القصيدة نفسها :

يظل بها رسم الفرائض قائما
ويسمى بها ربع النوافل آهلا

تقيم على صوت الاذان مواسما
تؤدي فروضا تستحث النوافلا

نلحظ موازنات (16) لطيفة بين (مواقف واناملا) و (قائم وآهل) و (مواسم ونوافل) وكلها تنتهي عند الفاصلتين المتساويتين مما يجعل البيت يتماوج جرسا مع ايقاعات الوزن :

وحين نأخذ قوله من القصيدة السالفة أيضا :

يوافيك فيها نافر العطف باسما
ويقفوك منها مائل الطرف باذلا

نلحظ هذه المرة مماثلة (17) لا موازنة اذ اتفق لفظ الشطرين في الوزن لا في كلمتين كما رأينا في الموازنة ، ولا شك ان هذا اضفى على البيت حركة جرسية بينة رائعة (فيها ــ نافر ــ العطف ــ باسما ــ منها ــ مائل ــ الطرف ــ باذلا) .

وهذا ما نجده كذلك في قصيدته التي يمدح بها الخليفة السلطاني بمناسبة زفافه :

فكل برج رغا من برقه شفق
وكل نهج جلا من قوسه قزحا

(16) الموازنة هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون القافية ، انظر الدمنهوري (حلية اللب المصون على جوهر المكنون ص 99 ــ ط. 2 ، 1370 هـ ــ 1950 م) .
(17) ان كان في احدى القرينتين من الالفاظ او أكثره مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن خص باسم المماثلة ، انظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

وكل صوت شدا من لحنه هزجا
وكل طبع جرت أشعاره ملحا

فالمماثلة هنا واضحة جدا تنبعث من ثناياها جرس عذب تتلاحم دغدغاته من ايقاعات بحر البسيط فتكون بذلك موسيقا شعرية آخذة آسرة .

وهكذا يضطلع البديع بدور هام في تشكيل الموسيقا الشعرية عند شاعرنا ابن موسى ، وابراز التجربة الادبية لديه في صورة محببة .

التصوير :

عندما اجعل التصوير رافدا من روافد الخصائص الفنية عند شاعرنا ابن موسى اقصد بذلك الطريقة الفنية في التعبير الشعري لديه او الصورة الشعرية التي يعتمدها في تجربته الشعرية .

وما من ريب عندي ان الصورة الشعرية لا تخرج عن كونها تشبيها واستعارة وكناية وما شئت من هذه الوسائل الجمالية التي عرفها الشاعر العربي منذ ان تفتقت لهاته بالحرف الشعري ، وبطبيعة الحال اننا سوف لا ننتظر من شاعرنا تصويرا جديدا على طريقة الرومانسيين او السرياليين او الرمزيين وغير ذلك من المذاهب الادبية التي حذا حذوها الشعر العربي الحديث ، انه غير منتظر هذا ، لان شاعرنا – كما سبق الحديث – شاعر كلاسيكي ، وليس من المنطق في شيء ان نطلب منه ما لا يملكه، وفاقد الشيء كما يقولون لا يعطيه .

اننا ، اذا ، من شاعر كلاسيكي ، ولكنه طاقة تمتلك مهارة في التصوير في غالب ما تتناوله من تجارب شعرية ، فحينما نعمد الى قصيدته في التضرع والاستغفار نجدها تحفل بالصور الشعرية الجميلة ترفدها نداوة الاحساس وشفافية الشعور كقوله متحدثا عن ارتكابه الذنب ، وما سوده هذا الذنب من صحف ، وما ضاعفه من اثم فشكل جوا من الاكدار ، وغلسا من الحزن ذاق منه الامرين ، لذلك فهو يتضرع الى مولاه في ذلة ويلتمس منه في صغار غفرانه ورضوانه ، اذ جريمة الذنب شوهت وجه المحاسن لديه وعتمت آفاقه ودنياه :

الله يغفر ذنبا سود الصحفا
وضاعف الاثم والاكدار والاسفا

الله يعفو فلا يبقى على أثر
للسيئات ولا يجزى بما سلفا

الله يستر عيبا شوهت يده
وجه المحاسن واستوحت بها تنفا

غير خاف أن ابن موسى صور لنا حالته النفسية تصويرا موفقا ، وذلك من خلال صورة الذنب وانتفاشه حين سود الصحف واثار جوا كئيبا من الاكدار ، ان شاعرنا في الحق يعتمد على التقاط الظاهرة وتفسيرها من ثنايا نفسه التي تعاني صقيعا خاصا من الشعور بجريمة الذنب ، فهو لا يقرر ، ولا ينسخ وانما يرسل الصورة الشعرية عبر ما تمليه عليه الرؤى المستكنة في الاعماق .

وعندما نعمد الى قصيدته التي يخاطب فيها صديقه الشاعر عبد الله القباج نجدها تتضمن صورا جميلة جدا كقوله ، متحدثا عن براعة صاحبه في نظم الشعر ، وابداعه في صوغ الكلمة الشعرية ، ذلك لانه يصنع من عيون الشعر احورها واجملها وانضرها، ولا يجتزىء بذلك فقط ، بل يجود علينا بالدر الثمين من الحرف المجنح ، وينشر من صنوف العطر ما ينعش ، ويتصرف في الشعر كما يشاء فلا يعبأ بما قد يصعب على زملائه من الشعراء عند لحظة المخاض الشعري :

يا فاتحا من عيون الشعر احورها (18)
وناثرا من ثمين الدر منسكبا
وباعثا من صنوف الطيب فاغمها
وفالقا من بحور الشعر ما صعبا

وليس يخفى أن ابن موسى قد صاغ لنا صورة شعرية طريفة ، وذلك حين استطاع ان يصور بعدستة الشعرية براعة صاحبه الشاعر ، فتخيل ان مقدرته راحت تلتقط ظاهرة الاحورار وتضيفها الى الشعر ، والاحورار جمال في العين نادر لا تتوافر عليه كل العيون ، كما انه صور الشعر درا ثمينا لا ينقطع انسكابه ، وصوره لجودته طيبا يرسل فوحه الجميل وروحه المنعش .

---

(18) الاحورار اشتداد بياض العين واشتداد سوادها وهو من الجمال الممدوح ، جمال العيون النادر في العيون .

وعندما نعمد الى قصيدته الغزلية التي قالها في الصحافية الامريكية – وقد مر الحديث عنها – نجده يصف الفتاة وصفا دقيقا اخاذا لا يخرج فيه عن الغزل العفيف ، ويصور جمالها تصويرا يحتوي مهارة في تقصي الجمال في تركيبته النفسية والروحية وفي مظاهره المادية المحببة غير المستهجنة :

عجبا من خواطر الانسان
في معاني فواتر الاجفان

يزدهيه شكل الملاح ويسبيـ
ـه من الحسن ما يرى بالعيان

في المحيا من اللواحظ والوجـ
ـنة والانف واللمى واللسان

ودلال ولمحة الوعد والرقـ
ـة والصد تارة والتداني

ولا ريب ان شاعرنا قد اتحفنا بصور شعرية جميلة وان لم تحظ بالق الخيال كما حظيت بها السابقة الا انها قدمت واقع الجمال في شكله البديع المحبب ، وفي تالقاته الآسرة ولمحاته الاخاذة ، فصورة الدلال ولمحة الوعد والرقة والصد والتداني تؤلف حقيقة الجمال العفيف ومدى هيمنته على النفوس .

على هذا النمط في التصوير الشعري سارت ريشة شاعرنا ابن موسى تلتقط من الواقع ما تلتقط فتحيله من خلال الرؤى ومن خلال شفافية الخيال الى صورة شعرية تبحر في اعماقها شتى ظلال التجربة واشكال اطباق الوجدان ، وليس يعني هذا ان كل شعر ابن موسى من هذا الوادي ، لا لقد مر بنا أن جمال الصورة الشعرية لديه ليست ظاهرة تسود كل اعماله بقضها وقضيضها ، وانما هي ظاهرة تهيمن على الجل منه ، ولسنا نعدم في أحايين صورا شعرية تخلو من الطلاوة ومن خصائص الجمال المطلوبة .

تلك هي رحلتنا مع ابن موسى في حياته منذ نعومة اظفاره الى يوم مماته وجولتنا مع شعره في شتى موضوعاته واغراضه ، وفيما ميزها من شيات وملامح ، وخصائص فنية حددتها في الموسيقا والتصوير ، وبذلك اكون قد أسهمت بنصيبي في خدمة الادب المغربي ، والكشف عن معطيات شاعر مغربي يعتبر خاتمة الشعراء الكلاسيكيين ، الممتازين ويكاد يكون مغمورا لدى الكثير من الناس ، والآن وقد جاء الاوان لاعطاء هذا الشاعر حقه من الاهتمام والاعتبار ، ارجو ان تكون هذه الدراسة قد انصفته واولته ما يستحق ، وان تكون قد وفقت فيه بعون الله وفضله في ازاحة الستار عن جمال اللغة الشريفة ، لغة القرءان الكريم ، في كثير من انماط تعابيرها ومختلف اساليبها ، والله الموفق الى ما فيه الخير والسلام .

نرجس

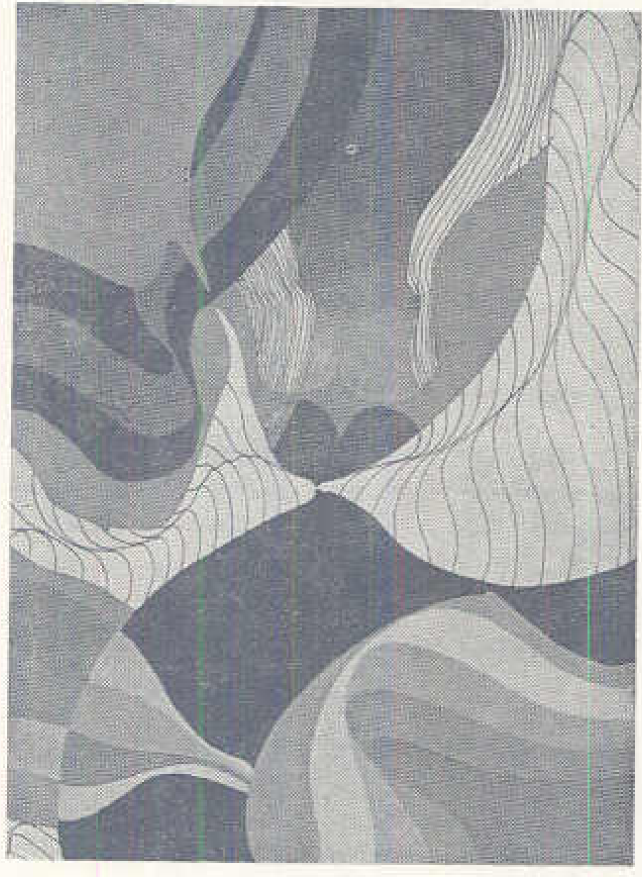
ترجمة : الاستاذ مصطفى القصري
عرض : الاستاذ احمد لسوكي

للاديب والديبلوماسي ورجل الاعلام والصحافي المقتدر الاستاذ مصطفى القصري ، رابطة قوية وحميمة بالشعر الفرنسي ، تمكنت منه وتمكن منها ؛ فهو منقطع الى هذا الشعر منذ سنوات بعيدة قراءة ودرسا وفهما واستيعابا وترجمة ، وهو مستغرق فيه استغراق الناسك المتعبد في صلواته وابتهالاته الحارة ، وهو فارغ جهده وطاقته الى ذلك الشعر والى أعلامه الافذاذ النابهين الذين ارتقوا بشعرهم الى ذروة التعبير الفني الانساني الرفيع الذي يسمو بمشاعر الانسان واحساسه وتفكيره وتأمله الى قمة عالية من قمم الحب والتفاني والذوبان في حقائق الكون ودقائق الحياة وصفحات المطلق واللانهاية .

وقد بادر الاستاذ الاديب مصطفى القصري ــ مدفوعا بذلك العشق الصافي والصوفي معا للشعر الفرنسي ــ الى دراسة شعر شارل بودلير فترجم ديوانه الشهير « أزهار الشر » ، ثم الى شعر سان جون بيرس فنقل مجموعته « الفلك ضيقة » التي نشرت في تونس منذ بضع سنوات . ولم يقف عند هذا وذاك من شعراء فرنسا النابغين اللامعين ، بل اقتحم كذلك عالم شاعر فرنسي آخر هو بول فاليري ، فترجم مؤخرا رائعته الذائعة الصيت « نرجس » ، واخرجها للناس في حلة موشاة بالرقة والصفاء والنصاعة ، تلائم ما يكسو ذلك القصيد العبقري الخالد من رقة وصفاء وجمال ونصاعة ، جعلته مفخرة زاهية ليس فحسب بالنسبة للادب الفرنسي وحده ، بل وللادب العالمي ايضا .

ولعل أول ما يتبادر الى الفكر ، ونحن امام هذا العمل الشعري المترجم بدقة مكينة ، تلك القولة الشهيرة الشائعة التي باتت مقولة أدبية سائرة على السنة واقلام الكتاب والادباء والشعراء والمترجمين العرب ، والتي اطلقها الجاحظ في القرن الثالث الهجري عن ترجمة الشعر في عصره الذي ازدهرت فيه حركة النقل من اللغات الفارسية واليونانية والسريانية والهندية وسواها الى اللسان العربي ، فقال مما قال عن ترجمة الشعر : « والشعر لا يستطاع ان يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى

بول فاليري
نرجس
ترجمة : مصطفى القصري



حول تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب ، لا كالكلام المنثور » .

واحسب ان حكم الجاحظ في نقل الشعر ورأيه في ترجمته ، قد تغيرا بعض الشيء لصالح ذلك النقل ولفائدة هذه الترجمة ، بعد المران الطويل الذي خضع له الناقلون منذ عصر الجاحظ الى اليوم ، وبعد الدربة المديدة التي اصطنعها وثابر عليها المترجمون منذ ذلك العصر الى عصرنا الحديث .

فاللغات الانسانية قد تقاربت وتدانت بحكم حلقات الفهم المتبادل والادراك الحصيف والاستكشاف النزيه ، والمفاهيم البشرية في الحضارة والتمدن والتقدم والرقي قد اختلطت وتمازجت وتلاقحت بفضل التفاهم والتواصل والتفاعل والحوار بين الانسان واخيه الانسان من جهة ، وبين الحضارات

التي تنشأ وتنمو وتزدهر في هذا الشعب أو ذاك من شعوب الارض من جهة اخرى .

بيد انه بالرغم من ذلك كله ، فان راي الجاحظ في ترجمة الشعر ـ هذا الفن الانساني الساحر ـ لا تزال فيه بقية حية قوية من الدقة وصواب الحكم ونفاذ النظر ، تجعل المترجم مستثار الذهن والقريحة والفكر والاحساس حين يريد ان يتخطى الصعاب والعقاب التي تواجهه خلال الترجمة وفي اثناء النقل، ولا سيما حين يكون الشعر موغلا في الرمز والايحاء ، غائر الروح بعيد الرؤية ، شديد النزوع الى التجريد الذي يحيل الكلمة الى نغم موسيقي يتفجر بالمعاني والدلالات الغامضة المبهمة ، ويتدفق بالجيشان الثائر الفائر الذي يموج العواطف والاحساسات والهواجس المختلجة في اعمق اعماق النفس البشرية . فهاهنا ، تتعقد أمام المترجم مسالك التعبير ومعالمه ، وتتشعب دروبه وخطوطه ، مما يجعل خطواته الوئيدة تتعثر وتضطرب وهي تطرق سبيلا من اشق واصعب سبل البيان والتعبير .

وبعد ، فكيف يكون حال ناقل شعر بول فاليري الى العربية وهو الشاعر الذي اعيى ابناء لغته وأرهقهم ولا يزال الى يومنا هذا يعييهم ويرهقهم حين يقراون شعره وحين يحاولون فهمه واستشفاف مكنونه وجوهره والوصول الى مقاصد الشاعر ومراميه فيما يكتب ؟

وليس الامر مجرد ميل ورغبة من الشاعر في الايغال في الرمز والايحاء حتى يعجز ابناء لغته وحتى يرهقهم بعنف وشدة ، بل ان ذلك العياء وذاك الارهاق اللذين يصيبان قارىء بول فاليري في شعره كله وفي بعض نثره ، هما نتاج خالص محض لحياة عقلية وفكرية ونفسية خصيبة ، ليست يسيرة كلها وليست معقدة كلها ، بل هي حياة عاشها بول فاليري وعانى فيها صراعا قويا وعنيفا بين ذهنه المتوقد وفكره الطموح وبين احساسه الحاد وشعوره المرهف وعاطفته المتوهجة ، مما جعل انتاج بول فاليري يتوزع بين قطبين متباعدين متناقضين ومتنافرين ، كانا يشدانه باستمرار والحاح ، وكانا يجذبانه بقوة وشدة وحدة ، وبالرغم من ذلك استطاع هذا الشاعر الفرنسي الذي سمي عند قومه بشاعر الذكاء الحاد ، استطاع ان يمزج وان يوفق بين ذينك الدافعين العنيفين الحادين اللذين تملكاه طوال حياته الفكرية ، وهما دافع العقل والحكمة الطامع في امتلاك المطلق والحقيقة ، ودافع العاطفة والوجدان الطامح الى احتواء السكينة وتشرب الصفاء اللانهائي والى الفناء في ملكوت الوجود .

وقصة بول فاليري مع الشعر قصة طريفة وغريبة ، وهي مع طرافتها وغرابتها قصة صراع وانفعال ، وقصة جذب وانطلاق . فقد بدأ هذا الشاعر الفرنسي الفذ حياته الادبية شاعرا يترسم خطى استاذه مالارميه ، وانتهى حين القى مراسيه على ضفاف العقل والفكر والتامل الخالص ؛ أي انه بدا جذوة من العاطفة التي تحترق وتتوهج ، وانتهى شعلة من الذكاء الحاد الذي يضيء وينير ولا يعترف بسلطان العقل المطلق والفكر المجرد . وبين تلك البداية وهذه النهاية ، عانى بول فاليري معاناة شديدة فيما كتب من شعر ومن نثر على السواء ، وساح في حدائق وغابات الفكر والاحساس ، وطوف في عوالم فسيحة عريضة واسعة الارجاء من التأمل والتفكير والاستبطان النفسي العميق ، فاخرج كتاباته الشعرية والنثرية لتدل على تلك المعاناة الطويلة الاصيلة التي عبرت عن قلقه الذي ظل يلازمه وهو يكتب الشعر ويكتب عن الشعر وفي الشعر .

واذا جاز لنا ان نلخص مذهب بول فاليري في الشعر ، استحضرنا كلمته التي قالها في احد كتبه ، وهي أن الشعر لا يصدر عن الافكار بل عن الجسد ، أو بعبارة اخرى عن الاحساسات . وهذه الكلمة القصيرة المختصرة ، تقدم لنا مع قصرها واختصارها، مذهب بول فاليري في الشعر ، وخصوصا في شعره هو بالذات . ومن هذا المذهب ، نستطيع أن نستخلص المنحى الجوهري الخاص الذي كان بول فاليري ينحو اليه في شعره وفي فنه . ومن هنا فان قصيدة « نرجس » بمقاطعها الثلاث التي ترجمها لنا الاستاذ الاديب مصطفى القصري ، تمثل لنا ذلك المنحى الجوهري الخاص تمثلا صادقا ورائعا وحيا في نفس الوقت .

فلقد كان الشاعر بول فاليري يقول انه ليس هناك اجمل مما لا وجود له . وفي هذا القول تصريح مباشر الى موضوع الاسطورة التي تجسد العالم الخفي في حياة الانسان ، والى طاقتها الرمزية الكثيفة التي تكمن فيها وفي مضمونها ، من حيث علاقة الاسطورة بوظيفة الشعر ودوره في الفن والحياة على السواء .

ولقد كان الشاعر بول فاليري يقول كذلك ان بيت الشعر ليس سوى توازن معجز وشديد الحساسية ، يوفق بين الطاقة الحسية والطاقة العقلية للغة .

فمن عالم الاسطورة اذن ، نبعت قصيدة بول فاليري الرائعة « نرجس » ، ومن قدرة بول فاليري على تحقيق التوازن المعجز والشديد الحساسية استقى الشاعر عبقريته الفذة في الحوار الرمزي والتصوير النفسي الدقيق والشفافية الروحية العالية التي تتجسد جميعها في قصيدة « نرجس ».

ففي هذه القصيدة التي تتركب من ثلاثة مقاطع ، يوظف بول فاليري اسطورة « نرجس » ، ذلك الشاب اليوناني الذي عشق صورة ذاته المنعكسة في صفحة الماء ، توظيفا شعريا وفلسفيا تامليا في اطار من الحوار الداخلي الذي يرتفع صوته حتى يصبح اشبه بهدير الشلال ، ويشف ايقاعه حتى يغدو اشبه برفيف ورق الورد في فجر احد ايام الربيع الندية .

ولقد وفق الاستاذ الاديب مصطفى القصري في نقل اصوات ذلك الحوار الداخلي الشفاف الذي يجري بين نرجس الحقيقة ، ونرجس الصورة والحلم توفيقا دقيقا ، تدل عليه العبارة الناصعة ، والكلمة المنتقاة ، والحس الشعري الاصيل . وهو توفيق لا احتاج الى التمثيل به والبرهنة عليه ، ولكنني احيل القارىء على نص الترجمة ليستمتع بتلك النصاعة في التعبير والانتقاء في الالفاظ التي تستحيل في قلم المترجم الى انغام تضفي على ذلك الحوار الذي يدور بين نرجس وبين صورته وخياله وظيفه موسيقى تشيع في القلب والنفس والوجدان والعقل معا ما يشيعه الشعر الصادق الاصيل من تأثير وانعكاس ، يحببان الشعر الى الناس ويقربهم اليه ليقراوه وليدرسوه وليفهموه ، ان كان لا زال الناس يرغبون في قراءة الشعر ودراسته وفهمه حقا .

ويتجلى حرص المترجم على نقل الروح الشعرية في « نرجس » في دقته البالغة في اختيار اللفظ المعبر وانتقاء الكلمة المصقولة ، دون ان يضطر الى تكرار اللفظة الواحدة ليعبر بها عن المعنى الواحد . والابيات التالية تشهد على تلك الدقة وعلى ذلك الحرص الشديد في اصطفاء الكلمة وايرادها في السياق الذي يحسن بها البيان والتعبير لا بغيرها :

« ايها النبع انت نبعي ؟ ايها المعين الذي لا يريم»
يا منهلا عذبا يروي الانعام ، وينعم على النفوس بصرف الزلال ،
فتجذب منحدرة الى المنية !
ايها الغدير ! كل في عينيك حلم وخيال ،
يا اخا المصير الذي لا يحول ، » .

فالقارىء يرى المترجم وقد عبر بالنبع والمعين والمنهل والغدير والماء في ابيات معدودة من المقطوعة الثانية من نرجس ، وذلك حتى يوفر للترجمة الشعرية جرسا موسيقيا خاليا من الرتابة والملل ، وحتى يجعل البيت الشعري منطبعا في الذهن بجميع صوره واخيلته ومعانيه وابعاده ، وحتى كان هذا البيت من الشعر انغام موسيقية منسجمة توقعها وتعزفها الة واحدة على نسق جميل متسق ، يجعل تلك الانغام تسري في الاذن وتقع عليها دون مشقة او عنت ودون تكلف او افتعال في اساليب الاداء والتعبير والبيان .

ومما لا شك فيه ، ان قصيدة نرجس شانها شان القصائد الرمزية ، لا يمكن ان تلخص او يختزل موضوعها ومضمونها حتى في المقالات الطوال ، دون ان يخل ذلك بروح المعنى الذي اراده الشاعر ، ولربما الى هذا ذهب الجاحظ مذهبه الذي اشرنا اليه في صدر هذه الكلمة من استحالة ترجمة الشعر ونقله من لغة الى اخرى دون ان يتقطع نظمه ويبطل وزنه ويذهب حسنه على حد تعبير الجاحظ نفسه . ولا احد يستطيع ان يزعم انه قادر على ان يجمل او يفصل نرجس وغير نرجس من القصائد والمقطوعات التي كتبها شعراء المدرسة الرمزية ، ولا سيما منهم بول فاليري الذي كان يعتبر الكلمة وبعدها عالما شعريا قائما بذاته ، وبناء حسيا وعقليا له كيانه ومحتواه ، وله قاعدته التي يقوم عليها واساسه الذي لا ينبني الا عليه .

ومن هنا ، يتبدى الجهد الخاص الذي بذله الاستاذ مصطفى القصري في ترجمة نرجس الى اللغة العربية ، ذلك الجهد الذي يرتفع به الى ذروة ما يعانيه الشعراء انفسهم حين يكتبون شعرهم ؛ فالجملة الشعرية طالت او قصرت تشكل في يد

المترجم دنيا واسعة عريضة الارجاء تتفرد بأسلوبها التعبيري الخاص وبصورها وبأخيلتها المتميزة والمعنى الذي يريد الشاعر أن يصل اليه وان يوصله الى ذهن القارىء والى احساسه وشعوره . وقد راعى الاستاذ مصطفى القصري ان يمتلك جميع ما تتطلب الترجمة من أدوات حسية ولفظية وعقلية وذوقية وهو يقبل على ترجمة نرجس بمقاطعها الثلاث ، فدقق في انتقاء الكلمة الملائمة وفي اختيار اللفظة المناسبة ، وشدد على نفسه في تكثيف الصورة الشعرية تكثيفا بديعا جميلا ، وفي محاولة احتواء الرمز الشعري بكل ما ينطوي عليه من غموض وتعقيد ، وذلك حتى ينقل القارىء الى الجو الشعري والفكري الباهر الذي حلق فيه بول فاليري بقصيدته الرائعة نرجس ، وحتى يشرك القارىء في ذلك الحوار الشعري الساحر الذي كان يجريه نرجس مع نفسه وخياله ومع صورته وطيفه ومع الكون والحياة من خلال انعكاس صورة شخصه في صفحة الماء ، نرجس ذلك العاشق المعشوق الذي شغف حبا بذاته وكلف بها كلفا شديدا حتى لم يعد يرى نفسه الا في نفسه كما يقول بول فاليري نفسه :

« ولكني انا نرجس المعشوق
لا اتطلع الا الى جوهري الفرد
غيري ليس اكثر في نفسي من نفس مجهولة
غيري ليس سوى غيب وعدم » .

لقد قدم الاستاذ مصطفى القصري بترجمته لنرجس رائعة بول فاليري ، عملا شعريا نفيسا يتلألأ بالقوة والنصاعة والنعومة وثراء الرمز والايحاء ويشف عن السمو الحسي والفكري والعقلي الذي جعل لذلك القصيد مكان الجوهرة الفريدة في عقد الشعر الفرنسي الحديث ، واستطاع المترجم بحسه الشعري الصافي وبقدرته الشفافة على استكناه روح النص الاصلي ، وبالجهد الذي بذله في استقطاب الحرارة اللاهبة التي تنفجر من النص ، وباللغة الرقيقة والاسلوب الرمزي اللذين استخدمهما ووظفهما في عملية الترجمة بدقة واتقان واحكام ، استطاع بذلك كله أن يخلق نرجس من جديد بلبوس عربي شفاف ، يقطر نعومة وعذوبة ، ويفيض صفاء وجمالا وبهاء ، مما يجعل ذلك النرجس الفرنسي المتعالي والمترفع بالكبرياء والجمال الحسي السامق ، يتحدث عن غروره وترفعه واستعلائه وجنونه بذاته ، بنفس عربي يعلو به الى صدارة الروائع الشعرية الرفيعة التي لا يفتر سعي الشعراء الانسانيين الافذاذ عن اثراء حقولها واخصاب ترابها بكل جديد وجميل من الافكار السامية والاحساسات الانسانية النبيلة .

الرباط : أحمد تسوكي

- **التقوى حصن حصين ، وهي مفتاح الفلاح ، وثوب النقد أشرف الملابس .**
- **الحكمة شجرة تنبت في القلوب وتثمر على اللسان .**
- **ظن العاقل أصح من يقين الجاهل .**

أدب وطني انساني

للأستاذ محمد حمادي العزيز

الادب ، كما نعرفه جميعا ، انتاج عقلي انساني ، يعالج ظروف حياة الانسان في مختلف حقائقها ، ووقائعها ، ومظاهرها الاجتماعية والحضارية .

وهو حسب هذا يعتبر — عندما يكون صادقا واصيلا . نسخة وطنية وانسانية حية من الصورة الانسانية الاجتماعية الواقعية السائدة في المجتمع الوطني ، في اية فترة من فترات الزمن .

وبحكم التجاوبات والوان التعاون الواقعة بين ابناء الانسان ، في كل مكان من كوكبنا الارضي ، فان الحدود المكانية للمجتمع الوطني لا ينبغي ، بأي حال من الاحوال ان تكون حدودا عقلية لادبه .

ان اتصاف الادب الوطني بصفتيه العقلية والانسانية يفرض عليه ان يكون ادبا انسانيا حقا ، اى عالميا ، يعبر حدوده مكانيا ويتجاوزها ليصل الى كل مكان في كرتنا الارضية .

وهو حسب هذا المفهوم يصبح ادبا وطنيا ذا رسالة ادبية انسانية عالمية ، تتجاوب مع جميع رسالات الاداب الانسانية العالمية في كوكبنا الارضي، وتتعاون معها ، وتتفاعل وتتكامل .

وهو ، عندما يصل الى هذا المستوى يتجاوز في عطاءاته الموضوعية والغائية التعبير عن الالتزامات والتطلعات الوطنية الصرفة ، ويبدأ مهمته المكملة للتعبير عن الالتزامات والتطلعات الانسانية فيما وراء حدود المجتمع الوطني ليكون رسالة للتعارف والتقارب والتجاوب والالتقاء في اسباب التعاون لما فيه خير الانسان .

عندئذ يكون ادبا مقروءا ، ومسموعا ، ومشاهدا — في حالات تمثيلية على خشبة المسرح وعلى شاشتي السينما والتلفزة — يحسب له حسابه ، ويؤخذ ماخذ الجد ، ويعتبر اعتبارا ، ويقدر تقديرا ، ويقف على قدم المساواة مع الآداب الانسانية الاخرى في كل مجتمع من مجتمعات كوكبنا الارضي .

وعندئذ يرتفع الانسان الاديب فوق خصوصياته الوطنية ، ويشمخ بافكاره وعواطفه كانسان له هوية انسانية شاملة على مستوى كوكبنا الارضي لانه يكتب لكل انسان رغم الصعاب التي تعترض سبيله في مقصده في عالم متعدد المشارب ، والميول ، والنزعات ، والتقاليد والعادات ، والنظر الى الوجود والحياة !

وهو في حالته هذه يكون انسانا في الطور الراقي من انسانيته ، اذ يتجاوز ابعاد المكان ، والزمان ، والموانع ، والحواجز ، ليعيش فكريا واقعا غائبا يدعوه للنضال من اجل تحقيقه ليغدو واقعا معاشا لتاكيده الجوهر الانساني الحق لكل انسان اينما كان وحيثما كان .

انه في هذه الحالة ، يعد بحق أديبـــا وطنيـــا انسانيا وعالميا وقد يكون داعية مسموعا بكل انتبـاه اذا هو استلهم غائية حقة وصادقة .

وهذه حاسمة المطاف بالنسبة للاديب الـــذي يسمو ، ويبدع ويجيد ، ويخلص بنضاله لخير الانسان قاصدا تحريره ، وتكريمه ، وتوجيـــه الى الســعـــادة الصافية الخالية من شوائب الضلال والزيغ .

* * *

والادب ، منذ كان ادبا ، في كل زمان وفي كـــل مكان ، هو الاديب ، اذ بدونه لا يوجد ادب ولا يكون .

فما رأي الانسان الاديب المواطـــن ، اذن ، في رسالة انسانية عالمية للادب الوطني ؟

ان الخروج بالادب الوطني من قوقعة الحـدود المكانية لمجتمعنا الى آفاق الفضاء يتطلـــب ، دون شك ، ارادة ، وجهودا ، ووعيا ، وادراكا صادقا لفهم جديد لروح الحياة الانسانية العالمية السائدة اليوم في عصرنا هـــذا .

فنحن بالرغم منا ، وبالرغم من امكانياتنا العلمية والاقتصادية نعيش في عصر الفضاء ، فـلا بـــد ان يكون مستوى أدبنا الوطني موازيا لمستويات الآداب الانسانية العالمية المعاصرة له ، ومساويـــا لهـــا ، ويسايرها خطوة خطوة !

والادب ، رغم صفته العقلية ، هو في الحقيقـــة امره صورة وجدانية « ميتافيزيقيـــة » واضحـــة او رمزية لاعماق الانسان المفكرة الشاعرة في حاليتهـــا الواعية واللاوعية ، بمختلف آلامه ومسراته وبمتنوع آماله ورغباته ، وبتعدد مواقفه الجدية والهزليـــة ، وبشموخ تطلعاته الانسانية التواقـــة الى الارتقـــاء للمستويات العليا في محاولاته المقدامة لتخطي حدود المكان والزمان ، والانفلات من كل قيد او مانع يشد به الى اوتاد الركون والركود والسكون المميت .

وهو ، بهذا المفهوم ، يعتبـــر صـــورة حيـــة وحقيقية لارادة الانسان الاديب المواطن المعبر بصدق واصالة عن الارادة الشاملة لمجتمعه الوطني .

والانسان الاديب المواطن يعرف ، وبكل يقين ، ان ادبه صورة حية صادقة للارادة الشاملة لمجتمعـه الوطنـــــي .

هكذا يقراه القارىء ، ويفهمه ، ويحلله ، وهكذا ينقد في الخارج فيما وراء التراب الوطني .

ويكون هذا القارىء من خلال قراءته ، وفهمه ، وتحليله ، ونقده فكرة تصويرية وجدانية ميتافيزيقية (عقلية ونفسية) ، وواقعية (اجتماعية وحضارية) عنه كانسان مواطن ، وعن حياته الانسانية الاجتماعية والثقافية ، بجميع جوانبها في المجتمع الوطني .

ولهذا تعتبر معرفة هـذه الحقيقـــة الشرط الاساسي لتحمل اعباء مسؤولية الرسالة الانسانيـــة العالمية للادب الوطني بالنسبة للمواطـن الاديـــب ، وبالنسبة للمجتمع الوطني .

ان معرفة هذه الحقيقة هي نقطـــة الانطـــلاق للادب الوطني الانساني العالمي الذي يبدأ في عصـــر الفضاء خطواته الموازية لخطوات غيــــره من الآداب الانسانية العالمية في كل مكان من كوكبنا الارضـــي، والمساوية لها قدما بقدم .

وخلاصة هذا ، اذن ، هي ان ارادة المواطـــن الاديب يجب ان توازي ، بعبارة اخرى ، ارادة كـــل اديب في كل مكان من كوكبنا الارضي وتساويها .

وهذا هو المطلـــوب موضوعيـــا ، وغائيـــا ، ووجدانيا ، وميتافزيقيا ، وواقعيـــا ، واجتماعيـــا ، وانسانيـــــا .

فعلى قدر هذه الارادة يكون الادب الوطني ادبا انسانيا وعالميا .

وبفقد انها يظل في اية منزلة اخرى دونها مكانيا وزمانيا ، تقييميا وتقديريا ، ولا حق لـــه في ان يتبوأ المكانة المرموقة التي تتسلقها الآداب العملاقة .

وهنا ترتبط ازمة الادب الوطني ، عندما تكـــون موجودة ، بازمة الارادة عند المواطن الاديب ، وتتحول بالتالي تحولات اخلاقية ونفسية اخرى لتصبح ازمة وجـــــــدان .

ان امكانيات النشر والطبع والتوزيع يجب ان توازي وتواكب هي الاخرى بدورها امكانيات النشر والطبع والتوزيع في المجتمعات المعاصرة، وتضاهيها، وتماثلها، وتنافسها منافسة هادفة الى ان تساويها حتى تتمكن من اداء مهامها في ايصال ادبنا الوطني في طوره الراقي كادب انساني عالمي الى كل مكان في كوكبنا الارضي.

فهذه الامكانيات تجعل من ادبنا الوطني انتاجا عقليا قابلا للتسويق الى جميع أسواق الآداب الانسانية العالمية، وملء خزاناتها، ومكتباتها بما تصدره مطابعنا الوطنية من كتب ومجلات وجرائد ونشرات وغيرها.

واذا كان ادبنا الوطني في حاضرنا غير منتشر الانتشار الذي ترتضيه له ليتبوا المكانة اللائقة به بين الآداب الانسانية العالمية المعاصرة كادب وطني انساني عالمي فما ذلك الا لان امكانيات النشر والطبع والتوزيع لا تقوم باداء دورها في المسار المرجو.

بالنشر والطبع والتوزيع يمكننا ان نبلغ رسالتنا الادبية الانسانية العالمية الى كل مكان في الكوكب الارضي، بالاضافة الى تحقيق الاكتفاء الذاتي، في ميدان القراءات الادبية واشباع اشواق القراء من المواطنين اشباعا ادبيا وثقافيا اولا.

وبدونها فان ادبنا الوطني يظل ادبا وطنيا محليا، فاقدا لكل انفتاح انساني عالمي، ويعتبر قاصرا بالنسبة للمستويات الانفتاحية للآداب العالمية التي تغزو الحياة اينما كانت، وهو في هذه الحالة لا يقوم برسالته الادبية الانسانية خير قيام.

وعندئذ يفوته الركب المتفوق الذي يقود قافلة الآداب الانسانية العالمية العملاقة الى الامام ويبقى هو يتعثر في مسيرته البطيئة، يجر خطواته جرا ثقيلا.

ان امكانيات النشر والطبع والتوزيع تخضع بدورها للارادة.

واعتقد ان الارادة الوطنية يجب ان تبذل ما تستطيع بذله من جهود كي تتمكن امكانياتنا للنشر والطبع والتوزيع ومن تلبية متطلبات الرسالة الانسانية العالمية لادبنا الوطني.

وقد حان وقت انفتاحها، ونموها، واشعاعها، وازدهارها.

وما ينبغي لادبنا الوطني ان يظل غائبا عن حضور المنتديات العالمية التي تحضرها آداب المجتمعات الانسانية المعاصر.

فاذا كنا نريد ان يكون ادبنا الوطني ادبا انسانيا عالميا فيجب ان تكون امكانياتنا الوطنية للنشر والطبع والتوزيع موازية لنظيرتها في المجتمعات المعاصرة ومماثلة لها في الانتاج ومساوية لها تقييما وتقديرا.

وللانتاج الادبي قيم كثيرة، منها:

— قيمة عقلية، ثقافية حضارية، انسانية عالمية.

— قيمة تجارية تصديرية تسويقية تدر ارباحا تكاد تعادل ارباح البضائع المصدرة ذات المردود المرتفع.

— قيمة اعلامية واعلانية تفيد سمعة الوطن، وتخدم سياسته وترفع من شانه.

— قيمة سيادية تقوي صيت الوطن معنويا، وتدعمه في كل مكان يصل اليه.

— قيمة تراثية تزيد الرصيد الحضاري والثقافي الوطني ثراء.

وادبنا الوطني، كما لا يخفى علينا، يعاني الامرين من مشكلة امكانياتنا الوطنية للنشر والطبع والتوزيع التي تمنعه من الاضطلاع باعباء مسؤوليات رسالته الانسانية العالمية كادب وطني انساني عالمي، وتعوقه من الوصول الى كل مكان في كوكبنا الارضي.

ثم بعد هذا لكي يكون ادبنا الوطني الانساني العالمي رائجا في أسواق الآداب الانسانية العالمية يجدر بمواطننا الاديب ان يقدم ابداعا وجودة في انتاجه الادبي موضوعيا وغائيا.

فكيف ينبغي ان تكون عطاءات مواطننا الاديب لادبنا الوطني الانساني العالمي في عصر الفضاء؟

انه سؤال يجمل بكل مواطن اديب في وطننا ان يفكر فيه جيدا ليسهم في تدعيم الصرح المشيد لادبنا الوطني الانساني العالمي.

والجواب عليه متروك لصدق اعتزازه بمواطنته وحبه القوي لادبه الوطني الانساني العالمي..

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ السيد :

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1311 - 1357هـ) (1893 - 1938م)

(7)

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

أشرنا في المقال السابق الى اهم النقط التي تطرق اليها الفقيه الكانوني رحمه الله في كتابه الموسوم بآسفي وما اليه قديما وحديثا وسنشرع الآن في تفصيل الحديث عن ذلك .

من المعلوم ان المؤلف قد مهد لموضوعه الرئيسي بتمهيد تاريخي وجغرافي مفيد تحدث فيه عن حدود المغرب وعن سكانه وقبائله وعن العلاقة السلالية الرابطة بين البربر والعرب .

ولقد اتخذ في تحليله وجهة تتلاءم مع الابعاد الوطنية وتهدف الى نسف الاتجاه الاستعماري الذي كانت فرنسا تسعى من ورائه الى احداث الفرقة بين المواطنين والى خلق عداوات بين الاخوة المتساكنين .

وفي هذا التمهيد نقل نصوصا مختلفة تتعلق بهذا الموضوع وبين ان البربر ينقسمون الى قسمين : برانس وبتر وقال : « اختلف الناس هل هما لاب واحد وهو ما نقله ابن حزم عن أيوب بن ابي يزيد او لغير اب وهو قول اكابر نسابة البربر كسابق بن سليمان المطماطي وهانىء ابن يكور الضريسي وكهلان ابن ابي لؤي وغيرهم من نسابة البربر ، ونقلوه ايضا عن أيوب بن ابي يزيد قائلين : ان البرانس من ولد مازيغ ابن كنعان بن حام ، والبتر من ذرية بر بن قيس بن عيلان بن مضر من ذرية سام » (1) .

وهذا القول الاخير هو القول الذي يؤيده المؤلف ويراه صحيحا معتمدا في ذلك على راي المثبتين الذين هم من اشهر النسابين واقواهم معرفة ، وفي هذا الصدد قال :

« وقد انتقد ابن حزم وابو عمر وابن خلدون كون قيس كان له ابن يسمى برا ونحن نقول ازاءه انه لا يعنينا كثيرا هذا النقد بعد ما اثبت علماء التاريخ والانساب وجوده ، فهؤلاء علماء النسب من البربر وغيرهم مثل الطبري والبكري صرحوا بوجوده ، وهذا العلامة ابن أبي زرع في قرطاسه نقل وجوده عن علماء التاريخ والانساب وايام الناس وهو من الثقة والمعرفة بالمكان الذي اثنى عليه به ابن خلدون بل ان هذا القول بلغ من الشهرة الحد الذي تغنى به شعراء الفريقين في أشعارهم مدحا ورثاء ، فما علينا بعد هذا الا ان نقول ان المنكرين لوجوده لم يعلموه فصرحوا منكرين لعدم علمهم ، وان المثبتين علموه فصرحوا بوجوده وزادوا القضية ايضاحا ببيان سبب خروجه من بين اهله ، وغاية ما يقال في مثل هذا ان من علم حجة على من لم يعلم ، ومن اثبت

(1) آسفي وما اليه صفحة 7 بعد تصويب بعض الاخطاء .

مقدم على من نفى ، فاستبان من هـذا التحقيـق والتمحيص ان البتر عرب مضر (2) .

ومن المعلوم ان شعوب البتر تجمعها اصـول أربعة هي اداسة ونفوسة وضريسة وبنو لو الاكبر ، وقد ذكرها المؤلف في كتابه زيادة في التوضيـح وضمـا لشتات الموضوع .

وبعد ان بين عروبة البتر وانهم من مضر انتقل الى الحديث عن البرانس وذكر أن عددا منهم ينتمي الى عرب اليمن القحطانية مثل قبيلة صنهاجة وقبيلة كتامـــة .

واثناء حديثه عن البرانس تعرض لذكر اصولهم السبعة التي هي ازداجة والمصامدة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة واوريغـة .

وجعل ذلك سبيلا الى الحديث عـن المصامدة بتفصيـل لعلاقتهـم بـالارض التـي سيـؤرخ لها فقال : « المصامدة من البرانس نسبة الى مصمود ابن يونس وهم من اكثر قبائل البربر وأوفرهم عددا كان لهم التقدم والدولة قبل الاسلام وبعده ولم تزل مواطنهم بجنوب المغرب الاقصى منـذ الاحقـاب المتطاولـــة » (3) .

ونقل حدودهم من كتاب المعجـب للمراكشي فقال : « تحد المصامدة كما للمراكشي في المعجب عرضا من النهر الاعظم ام الربيع وآخر بلادهم الصحراء وطولا من جبـل درن (الاطـلس) الـى البحـر المحيــط .. » (4) .

وهذه الاشارة للحدود كانت موجزة جدا فقد اختصر فيها كلام المراكشي اختصارا كاد يفـوت الفائدة على الناس وهو اختصار لا يغني عن مراجعة الاصل ولا يقوم مقامه ما يراجع ففيه وصف دقيـق لهاته الحدود وذكر لكثير من القبائل التي تنتمي الى المصامـدة .

وعند حديثه عن المصامدة قال انهم ينقسمون الى مصامدة السهل وهم ما دون جبل الاطـلس الى المحيط حيث آسفي على شاطئه وسط قبائل دكالة ومصامدة الجبل وهم سكان جبل الاطلس .

ثم فصل الحديث عنهما معا مبتدئا بالحديث عن مواطن مصامدة السهل وهنا تحدث عن دكالة وعـن بيوتاتها فقال : « تحد دكالة شمالا بوادي ام الربيـع وجنوبا بوادي تانسيفيت وشرقا بمـراكش وغربـا بالمحيط الذي عليه مرسى آسفي » .

اما البيوتات فذكـر منهـم بيت بني أمغـار الحسنيين ووصف هذا البيت بالعلم والصلاح ، ولقد سبق لنا التحدث عن الكتاب الذي الفه فيهم وهـو الكتاب الموسوم بتنوير بصائر الابرار بتاريخ زاوية تيط وآل ابي عبد الله امغار . وقال ان فروع هـذا البيت امتدت حوالي القرن التاسـع الى هنتيفـة وتامصلوحت وغيرها من آفاق المغرب وحواضره .

ثم انتقل بعد ذلك الى الحديـث عـن بيـت البوعنانيين الحسنيين وذكر ان فروع هذا البيـت انتقلت الى فاس ومراكش وآسفي وغيرها وانهم تولوا المناصب الكبرى في القضاء والتدريس .

ثم انتقل الى الحديث عن بيت المشترائييـن وهو قد اختار هذه التسمية التي تجعلهم بالشيـن والتاء والراء المهملة في حين ان كثيرا من النسابين يسمونهم بالمشنزائيين بالنون والزاي عوض التـاء والراء ، وعلى التسمية الاخيرة استقر راي الاستاذ عبد الوهاب بن منصور (5) .

والى هذا البيت ينسب المجاهد المشهور ابو الفداء اسماعيل بن سعيد القاسمي ، كما تنسب اليه اسر اشتهرت بالعلم والصلاح انتقلت الى مختلـف المدن المغربية ومن بينها فرع من اولاد ابن ابراهيم بفـاس .

---

(2) نـفس المصـدر صفحة 8 .

(3) نـفس المصـدر صفحة 14 .

(4) نـفس المصـدر صفحة 14 .

(5) يقول الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة في أحد تعليقاته الموجودة بالجزء الاول من كتابه اعلام المغرب العربي : « صحف اسم هـذه القبيلة فصار في بعض الكتب مشترائية بسبب ميـل نقطة الزاي الى جهة نقطة النون فصارت الزاي راء والنون تاء وبداوا ينسبون الى الاسم مصحفا فيقولون المشترائي بدل المشنزائي » .

ثم تحدث بعد ذلك عن بيت صنهاجة بدكالة فقال عنه : « انه بيت نبيه المكانة جليل القدر نبغ فيه عدة رجال في العلم والسياسة » وتعرض لذكر بعض اعلامه وعلى راسهم الفقيه الصالح سيدي عبد الرحمن المليلي الذي انتقل الى مدينة فاس في اواخر عصر الموحدين .

ثم تحدث عن بيت بني دغوغ الذين كانوا يعنون بالعلم والتصوف وذكر عددا من رجالاتهم في القرن السادس الهجري .

ثم انتقل الى الحديث عن بيت رجراجة وجره البحث الى ذكر اوائل هاته القبيلة والى مواقفها الجليلة في نصرة الاسلام .

ومن المعلوم أن بعض المؤرخين يذكرون أن رجالا سبعة من هاته القبيلة كانوا صحابة لرسول الله وانهم أبلوا البلاء الحسن في نشر الدين وفي الدعوة لمبادئه ، هؤلاء السبعة هم كما ذكرهم الكانوني رحمه الله : السيد واسمين دفين جبل الحديد والسيد ابو بكر اشماس بزاوية فرمود بسفيح الجبل من جهة البحر وولده السيد صالح بن ابي بكر ببلاد حويرة على مقربة من والده والسيد عبد الله ادناس على مقربة من وادي تانسيفت والسيد بوخابية على وادي تانسيفت ايضا والسيد سعيد بن يبقي المدعو السابق بموضع تمزت والسيد يعلى دفين رباط شاكر .

وانكر بعض المؤرخين كونهم صحابة للرسول لانهم يقولون ما عهد ان صحابيا دخل الى المغرب وان الاسلام لم ينقل الى هاته البلاد الا على يد عقبة بن نافع رضي الله عنه .

والمؤلف هنا على عادته يستخدم المنطق ويحاول ربط الوقائع بملابساتها فلم يجد الخبر قابلا للاثبات المحض ولا للنفي المحض لذلك قال : « والذي يظهر لي بعد التروي في المسألة ان اثبات الصحبة يحتاج لادلة امتن واصح من الادلة التي اقامها المرغيثي وغيره لان الشهرة المذكورة ليست بقديمة العهد حسبما يظهر من كون العلماء القائلين بصحبتهم انما هم من أهل القرن الثامن فما بعده كما ان هذا القول بالصحبة لا يهمل ولا يطرح بل يحفظ ويذكر مع بيان رتبته عسى ان يوجد ما يعضده ، فان الذين الفوا في الصحابة لم يتوعبوهم بل لم يذكروا عشر معشارهم » (6) .

ولا شك ان هذا الراي راي سديد بعيد عن التعصب لا يتنافى مع طرق البحث ولا يتعارض مع اهدافه .

ثم انتقل بعد ذلك الى التحدث عن بيت بني ماكر وهو البيت الذي أنجب الشيخ ابا محمد صالح الماكري صاحب رباط آسفي الشهير المتوفى سنة 661 هـ .

ولهذا البيت قيمة كبرى في خلق التواصل بين المسلمين وفي تسهيل طريق الحج اليهم ، وقد تحدث عنهم باعجاب واشار الى محاسنهم والى شهرتهم في مختلف الآفاق ونقل في كتابه أبياتا شعرية نظمها البوصيري في مدحهم وفي الاشادة بفضائلهم .

قال البوصيري :

وما انا من دكالة غير انني
نسبت اليهم نسبة الصدق في الحب

كنسبة سلمان لبيت نبيه
وما كان في قبيل منهم ولا شعب

جزى الله خيرا ملة اخرجتهم
من الناس اخراج الحبوب من اللب

وقال المؤلف أثناء حديثه عن دكالة ما ياتي : « ثم ان دكالة لما دخلها العرب من موجة الهلاليين واحلافهم حوالي السادس والسابع من الهجرة انقسمت الى قسمين : دكالة الحمراء وهي عبدة الجنوبية التي تحيط بآسفي وتبلغ وادي تانسيفت جنوبا ، ودكالة البيضاء وهي الشمالية التي تحفظ اسم دكالة . تمتد رقعتها من وادي ام الربيع الى مقربة من آسفي ، وهؤلاء العرب قد لبسوا جلدة القبيلة القديمة وحلوا محلها وانتسبوا نسبتها حيث انها كانت اواسط القرن الخامس الهجري قد تعصبت للدولة اللمتونية فلم تعط مقادا للدولة الموحدية التي اغتصبت عرش الدولة اللمتونية وقوضت اركانه على حين شبابه لذلك اجتهد السلطان عبد المومن

(6) آسفي وما اليه صفحة 24 .

الموحدي وابناؤه في تجهيز الجيوش لهاـ فقاتلـوه وهزموه ثم كانت له ولاولاده من بعده عليهم الكـرة فاجتهدوا في ابادتها تارة بالسيف وتاره بتعريقها في آفاق المغرب » (7) .

وهذه الملاحظة من المؤلف دقيقة تصور لنـا حالة هذا الاقليم وتبرز الاسباب السياسية التـي دفعت الى تعريبه كما تبين لنا الرؤيا الفكرية التـي تنبعث من الكانوني ازاء وقف الموحدين من الدولـة المرابطية ، فهو يرى ان الموحدين اغتصبوا عـرش المرابطين وانهم تسلطوا عليه وهو في قوتـه .

وهذه الرؤيا اصبحت الآن سائدة عند كثير من الباحثين الذين يؤرخون لهذه الحقبة لانهـم يرون أن ما بدا من ازدهار حضاري في عصر الموحدين انمـا كان مرجعه الى العناية التي اولاها المرابطون للعلـم واهلـــه .

وبعد الانتهاء من الحديث عن دكالة ورجراجـة انتقل المؤلف للحديث عن حاحة ثم عـن جزولـة وهشتوكة بسوس ثم عن القبائل المحيطة بمراكش كهزميرة وهيلانة وهزرجة ومتوكة وسكتانة ومسفيوة وغيرهـا .

ومن يتتبع تاريخ هاته القبائل في كتب الانساب فسيرى ان المؤرخين لا يتفقون جميعا على نسبتهـا لمصمودة ولا يرون ما رآه الكانوني رحمه الله ، فهذا ابن منصور مثلا ذكر في كتابه قبائل المغرب ما ياتي :

« ون القبائل المضافة الى المصامدة وليست منهم قبائل هسكورة وجزولة ولمطة ، فهذه معدودة من شعب صنهاجة نسبا ولكن لما كانـت مواطنهـم باقليم سوس وناحية درعة مجاورة لمواطن المصامدة بجبل درن وكانت بعض الاحداث التاريخية نظمتهـم جميعا في سلك واحد فان المؤرخين من عدهم مـع مصمودة مع تنبيهه الى انهم في النسب ليسوا منهم ومن هؤلاء المؤرخين صاحب (كتـاب الانساب في معرفة الاصحاب) اصحاب المهـدي بن تومـرت واضطرب ابن خلدون فعدهم مرة مع صنهاجة ومرة مع المصامدة ، أما نحن فى هذا الترتيب السلالي الذي نتبعه في هذا الكتاب فنذكرهم مع شعبهم الصنهاجي لان الاستقرار بموطن من المواطن والتشيع لدعوة من الدعوات لا يرقيان الى مرتبة العلاقة السلالية عنـد قبائـل المغرب » (8) .

وتعليق ابن منصور هذا وجيه وهـو يصحـح كثيرا من المفاهيم ولا ضير على الكانوني فيمـا سار عليه لان حدود المعرفة ووسائل البحث الحديثـة المتيسرة الآن هي اقوى من الوسائل التـي كانـت متوفرة في عهد الكانوني رحمه الله .

وبعد ان انهى الحديث عن مصامـدة السهـل انتقل الى الحديث عن مصامدة الجبل فذكر منهـم هسكورة (9) وهرغة وهي قبيلة المهدي بن تومـرت وتينمل وهي قبيلة اصحاب المهـدي بن تومـرت وهنتاتة بالتاء بعد المد لا بالنـون (10) وكدميـوة وسكسيوة وورِيكـة .

وعلى كل حال فان الاهتمام بدراسة قبائـل المغرب لمما يدل على العناية التي كان يوليها الفقيه الكانوني لبحثه ، فهو لم يقبل عليه الا بعـد تحديـد الموقع الذي يدرسه وتحديد سكانه وحصر القبائل التي ينتسبون اليها ، الشيء الذي يدلنا على ان هذا المؤرخ كان دقيق التصوير ، عميق البحث ، عارفـا بابعـاد موضوعـه .

ولم يكتف بذلك بل اضاف الى تمهيده ذكـرا للمدن والمراسي الموجودة بهذا القطر المصمودي .

وكان الكانوني رحمه الله يـرى ان التاريـخ المخصص لمدينة آسفي لا يتم الا بوضـع تمهيـد تاريخي وجغرافي للاراضي المصمودية عامة ولهـذا وجه عنايته الى وضع هذا التمهيد في صورة دقيقة تيسر للمطلع عليه أن يتمثل حقيقة الموضـوع وان يتمكن من تحديد كثير من جوانبه .

---

(7) نـفـس المصـــدر صفحة 22 .

(8) قبائل المغرب لعبد الوهاب ابن منصور صفحة 327 .

(9) لقد تقدم ان ابن منصور يرى أنها تنسب الـى صنهاجة لا الى مصمودة .

(10) كتبت خطأ عند الطبع بالنون . انظر الصفحة التاسعة والعشرين من الكتاب .

وفيما يلي ذكر لهاته المدن والمراسي وفق الترتيب الذي سار عليه المؤلف في كتابه .

اولا ــ مدينة قنط (11) (كنتان) وكانت توجد شمال آسفي على بعد اربعة وثلاثين كلومترا بشاطىء البحر وهي من المدن القديمة التي اختلف المؤرخون في تاريخ بنائها .

ولقد حاول الكانوني ان يتعرض لهذا الخلاف وان ينقل راي المؤرخين في ذلك فاستدل براي الحسن الوزان الفاسي الذي يقول عنه دائما بانه ابن الوزان الغرناطي كما استدل براي مرمول .

فابن الوزان يذكر انها من بناء الافارقة الاقدمين كما ينص على قول آخر يذكر انها من بناء القوط وهذا القول الثاني هو الذي رواه مرمول حين اشار الى ان القوط بنوها اثناء استيلائهم على مدينة طنجة .

وكانت هذه المدينة ذات شأن في الحضارة المغربية وكان اهلها اشداء في مقاومة البرتغاليين ، ولقد علمتهم المقاومة الصدق والاخلاص واعانتهم على التحلي بالشجاعة والاتصاف بمكارم الاخلاق .

ذكر الكانوني أن هذه المدينة كانت مندثرة في عهده وذكر انه يوجد في مكانها منارة كبيرة بنيت في عهد الدولة اليوسفية ، وانها من أعظم منائر المغرب .

ثانيا قصبة اير (12) وتوجد شمال آسفي ايضا على شاطىء البحر وهي من المحارس البحرية الكبرى التي احتلها البرتغاليون وجعلوها مركزا استراتيجيا مهما كانوا يعتمدون عليه في محاربة المسلمين وظلوا بها الى أن اخرجهم منها الشريف أبو عبد الله محمد السعدي سنة 922 هـ موافق 1517 م فاستردها المسلمون حينئذ وجعلوها مركزا من مراكز مقاومتهم وذكر الكانوني رحمه الله ان قوما من صنهاجة وقوما من غيرهم يسكنونها في وقته ، وانهم كانوا محل اجلال من ملوك المسلمين نظرا لمواقفهم المشرفة في حماية البلاد بسبب حراستهم البحرية الدائمة .

ثالثا : قصبة الوليدية (13) وهي ايضا على شاطىء البحر وتوجد على مقربة من قصبة أير وتنسب الى الوليد بن زيدان السعدي .

هذه النسبة يرجعها المؤرخون الى بناء الوليد لها وقد نقل في ذلك قولا للزياني من كتابه الترجمان المعرب ، ولكنه يرى أن هذا البناء لا يتصور ان يكون اوليا لان هاته المدينة كانت موجودة قبل الوليد ، ولهذا لا يعقل ذلك الا اذا كانت النسبة مرتبطة ببنائها على الشكل الحالي .

وهي من المدن التي سقطت ايضا في يد البرتغاليين ولم تسلم من التخريب اثناء تحريرها ولهذا ظلت مخربة الى ان اعاد بناءها الوليد حسبما تقدم .

يقول الكانوني عن الذين يسكنونها في عهده انهم قوم من دكالة من بينهم عائلة سملالية من سوس الاقصى ربما كان اصلهم تسرب اليها في عهد الدولة السعدية النابعة من سوس فكان انصارهم من سوس ايضا .

وهكذا نلاحظ ايضا ان الكانوني يحاول دائما ذكر اولية تاريخ المدن التي يتحدث عنها ثم يتتبع ذلك عبر التاريخ ويذكر الملابسات المتصلة بها سواء كانت حضارية أو سياسية ، وسيتبين لنا ذلك أيضا فيما ياتي .

رابعا ــ مدينة الغربية (14) وهي قريبة من الوليدية تبعد عنها بنحو عشرين كلومترا فقط .

اعتمد في الحديث عنها على عدد من المصادر التاريخية المعروفة وذكر انها من المدن القديمة التي اثرت فيها الاحداث فلم تبق منها الا اسوارا واطلالا عادية .

(11) آسفي وما اليه الصفحة 39 .
(12) نفس المصدر صفحة 40 .
(13) نفس المصدر صفحة 41 .
(14) نفس المصدر صفحة 42 .

ورغم ذلك فقد اشار الى جزئيات يستانس بها في تاريخ هذه المدينة نذكر منها ما ياتي :

اولا ـ كون هذه المدينة بنيت في بعض حقبها الاسلامية على الشكل الهندسي لمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ثانيا ـ كونها كانت مدينة مقاومة وجهاد ، ولهذا كانت عرضة للهدم والتخريب من حين لآخر .

ثالثا ـ انها من المدن التي شاهدت نهاية الموحدين حيث توفي فيها الواثق المعروف بابي دبوس آخر ملوك الموحدين سنة ست وستين وستمائة (15) .

رابعا ـ انه أثناء الحديث عنها سماها بمشتراءة ايضا نسبة الى قبيلة مشتراية وقال انها كانت تسمى باسمهم واستند في ذلك على كتاب سلسلة الذهب المنقود في ذكر اعلام من الاسلاف والجدود لابي العباس أحمد بن ابراهيم المشترائي ، فقد ذكر ان هذه المدينة بنيت حينما ضاق المسلمون من مقاومة الافرنج فاحترسوا بها وجعلوها مركزا يحميهم من الانقياد والاستسلام .

وعند التعرض لقبيلة مشتراية اكد الكانوني رحمه الله انها بالشين والتاء والراء لا بالشين والنون والزاي مخالفا في ذلك ما صوبه سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله ، ولقد سبقت الاشارة الى ذلك وبينا آنذاك ان بعض المؤرخين المعاصرين يؤيدون الكتاني ولا يؤيدون الكانوني ، ومن هؤلاء الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور .

المدينة الخامسة ـ تيط ، وتوجد بجنوب ثغر الجديدة على مقربة منها ، وهي احدى المراسي العتيقة كان شانها عظيما في مختلف العصور وبها كانت اقامة الشرفاء الامغاريين منيت بالاستعمار البرتغالي اثناء استيلائه على عدد من الشواطىء المغربية ، ولقد عمل الوطاسيون على تحريرها ونقلوا عددا من سكانها الى نواحي مدينة فاس وتلاشت عمارتها بعد ذلك ولم يبق منها الا آثار قليلة ، ولقد ولقد حاول بعض زعماء دكالة ان ينعشوها اقتصاديا في بعض الحقب التي استبدوا بها ولكنهم لم يستطيعوا ، يقول الكانوني رحمه الله ولم يبق منها الآن الا صومعتها البارزه والبرج المشيد في واجهة البحر مع القبب المشيدة على عظماء هذا البيت كالشيخ أبي الفداء اسماعيل والشيخ ابي عبد الله امغار والشيخ ابي يوسف يعقوب بن ابي عبد الله امغار وغيرهم .

سادسا ـ مدينة ثغر الجديدة (16) وتوجد على بعد مائة وخمسين كلومترا من مدينة آسفي وهي من المدن المغربية الساحلية التي احتلها البرتغاليون وحصنوها وبنوا سورها في غفلة من الناس نظرا لاضطراب امر المغرب اثناء احتلالهم لبعض اراضيه ، ولقد ابدعوا في هندستها الدقيقة ابداعا جعلهم يحكمونها وهم آمنون .

واستمر حكمهم من سنة 911 هـ الى سنة 1182 هـ .

ففي هذه السنة الاخيرة احس البرتغاليون بان نية التحرير قوية وان المقاومة المغربية عتيدة خصوصا بعدما شاهدوا حرص السلطان محمد بن عبد الله العلوي على اتمام ما بداه المولى اسماعيل رحمه الله وعلى متابعة عمله التحريري الهادف الى تطهير محارس الوطن من الاحتلال الاجنبي .

فلما راوا صدق نيته وقوة عزيمته لم يجدوا بدا من اخلاء المدينة التي كانت تعرف انذاك بالبريجة فغادروها ولكنهم تركوها ملغمة وتركوا فيها من يشعل هذه الالغام .

وفي لحظة من لحظات النصر حينما كان المسلمون مبتهجين باخراج العدو اصيبت المدينة بالهلع الشديد فصارت اشلاؤها متطايرة وبناياتها متناثرة واصبح المسلمون بها في فاجعة كبرى ، فكم

---

(15) المعروف في تاريخ الموحدين ان الواثق ليس هو آخر ملوكهم وانه قتل سنة ثمان وستين وستمائة ، لا سنة ست وستين ، ولينظر تفصيل ذلك بالاستقصا الجزء الثالث من طبعة دار الكتاب صفحة 26 فيما بعد .

(16) آسفي وما اليه صفحة 46 .

من قتيل بريء وكم من جريح يئن بصوت متقطع وكم من أجسام دفنت تحت الردم ، ولكن رغم ذلك فان عزيمة المغرب كانت قوية ، وان همة محمد بن عبد الله اعادت بناءها من جديد فسميت الجديدة . يقول الكانوني رحمه الله : وقد دخلتها عدة اصلاحات في دولتي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وولده المولى الحسن غالبها في دولة الثاني بواسطة عامليها القائد الانجد ابي عبد الله محمد بن ادريس والقائد محمد بن الحمدونية .

ومن عادة المؤلف في كتابه انه كلما وجد ظاهرة اجتماعية تستحق الذكر الا وسجلها خصوصا اذا كانت تتعلق بالاصلاح الاجتماعي او بالاهتمام الفكري من ذلك مثلا قوله وهو يتحدث عن الجديده . « وكان بها من الآثار الخيرية للقائد ابن الحمدونية محل لايواء الغرباء المتقطعين يقوم بمؤونتهم ويزودهم لبلادهم أو حيث يريدون » .

وانا ارى هاته الظاهرة كانت تمثل الروح الاصلاحية التي يتحلى بها الكانوني ، فهو كان يريد بواسطة الايحاء التاريخي رفع مستوى المواطن المغربي واحياء جذور الفضيلة في نفسه ، وتلك مهمة كان يراها ضرورية في تعليم التاريخ ، فهو لم يكن في الذين يومنون بتسجيل التاريخ بعيدا عن الاصلاح الاجتماعي والاصلاح الاخلاقي ، لانه يرى ان هذه العلوم متكاملة في أهدافها الانسانية ، اذ لا فائدة منها اذا لم تكن في خدمة الفرد والجماعة وفي خدمة الحاضر والمستقبل .

سابعا ــ مدينة ازمور (17) : وهي على ضفة وادي أم الربيع تبعد عن الجديدة بنحو سبعة عشر كلومترا ، تعتبر من المدن العتيقة في المغرب ، وكان لها شأن في العهد الاسلامي ، آلا انها قد ركد ازدهارها في العصر الحاضر بسبب نشاط مدينة الدار البيضاء ومدينة الجديدة .

أصيبت هي ايضا بالاحتلال البرتغالي في اوائل القرن العاشر ، ولكن المقاومة المغربية استطاعت أن تحررها في سنة 944 هـ الا أن العادة جرت عند البرتغاليين انهم اذا ما احسوا بالانهزام عمدوا الى المدن التي يحتلونها فدمروها وخربوها ومحوا كثيرا من آثارها وهذا هو السبب الذي دعا الفقيه الكانوني رحمه الله الى الاشارة الى مدرسة من مدارسها المندثرة فقال : « كانت بها مدرسة للسلطان ابي الحسن المريني اواسط القرن الثامن الهجري وهي مما اباده البرتغاليين » .

وعلى كل حال فان المسلمين كانوا يحاولون ارجاع الازدهار الى بعض المدن التي يغادرها البرتغاليون ، والدليل على ذلك أن المساجد الموجودة بأزمور كلها من البنايات التي وجدت بعد طرد البرتغاليين ، وكأن الكانوني كان يقصد الى هذه الاشارة قصدا حينما قال ان المساجد الموجودة بأزمور كلها أسست بعد انجلاء البرتغال فما بعده .

ثامنا ــ قصبة أبي الاعوان (18) : وهي ذات شأن في تاريخ المغرب حيث أنها توجد في الضفة الجنوبية من وادي أم الربيع من قبيلة دكالة ، بناها عبد المومن بن علي ، وكانت لها عناية بالفلاحة وتربية الماشية .

ومن أهم المشاريع الاجتماعية التي ذكرها الكانوني حول هاته المدينة أنها كانت تشتمل على دار للضيافة تكرم الوافدين ويتكفل بالانفاق عليهم صندوق موحد تشترك فيه الجماعة كلها ، وهذا مظهر من مظاهر الاحسان المنظم الذي يدل على روح التواصل بين المغاربة وعلى اريحتهم ، ويدل ايضا على أن سكان هذه القصبة كانوا واعين لقيمة المسؤولية المشتركة .

ولقد منيت هي ايضا بالاحتلال البرتغالي ، فلما حررها المغاربة اهملت بسبب تخريبها الى أن بناها المولى اسماعيل وجعلها تكنة لعساكره ، ونظرا لقيمتها العسكرية فلقد سكن فيها المولى عبد الله سنة كاملة اثناء بعض حروبه الداخلية .

تاسعا ــ الصويرة (19) : التي على وادي تانسيفت وهي في جنوب آسفي قريبة منه ، وليست هي الصويرة الجديدة الموجودة الآن ، وهي من

---

(17) نفس المصدر صفحة 50 .
(18) نفس المصدر صفحة 52 .
(19) نفس المصدر صفحة 52 .

المراكز التي كانت تحت يد البرتغاليين اثناء احتلالهم لنواحي دكالة في القرن العاشر .

عاشرا ـ قصبة ابن حميدوش (20) : وهي على مقربة من الصويرة المذكورة سابقا .

ومن ابرز السمات التي نجدها عند المؤلف عدم ادعائه ما لا يعرف ، فهو يقول لست على علم من مؤسسها الا انها كان يسكنها عمال الشياضمة من اولاد ابن حميدوش الذي بقربها ، ثم تحدث فيما بعد عن اندثارها وتلاشيها .

المركز الحادي عشر ـ الصويرة الجديدة (21): وهي على بعد نحو 130 كلو مترا من آسفي ، اسسها السلطان محمد بن عبد الله ، ونقل اليها عددا من الفقهاء والعدول والصناع والمدرسين من مدينة فاس.

وقد يسر عمارتها بجلب التجار لها من مختلف الآفاق واسقط عن الوافدين عليها رسوم الجمارك وعطل من اجلها مرسى اكادير ومرسى آسفي فكانت هذه القرارات الاقتصادية ذات مفعول قوي في ازدهار هاته المدينة وفي تيسير اسباب التجارة الداخلية والخارجية على السواء .

المركز الثاني عشر ـ الصويرة القديمة (22) : وهي تبعد عن الصويرة الجديدة بنحو 17 كلو مترا وموقعها على الضفة الشمالية من وادي حاحة ، ولقد كانت مركزا كبيرا لمعامل السكر وزراعة قصبه .

وذكر اثناء حديثه عن هاته المدينة انها كانت مقرا للوقعة الشهيرة التي واجهت فيها قبائل حاحة التدخل الاجنبي بقيادة القائد عبد الرحمن انفلوس سنة 1330 هجرية .

وكانه في كتابه حين ذكره لمثل هاته الوقائع يعيد حمية المغاربة ويذكرهم بمدى الجهود التي بذلوها من اجل محافظتهم على الاستقلال ليكون لهم ذلك حافزا على مواصلة الكفاح .

المركز الثالث عشر ـ مرسى اكادير (23) : وهي تبعد عن الصويرة بنحو 175 كلو مترا ، ولقد منيت هي ايضا بالاحتلال البرتغالي في اوائل القرن العاشر ، ولكن السلطان ابا عبد الله الشيخ كان قد حررها سنة 947 هـ موافق 1542 م وحصنها بعد هذا التحرير.

وكان هذا المركز مرسى تجاريا مهما ، لكن السلطان محمد بن عبد الله ارتأى اضعافه لاسباب سياسية محضة ، فعوضه بمرسى الصويرة حسب ما تقدم ، ولقد كانت هاته الخطة الاقتصادية من اقوى الاسباب التي جعلت المولى محمد يوفق في تسيير شؤون الدولة وينجح في القضاء على اعدائها .

المركز الرابع عشر ـ حصن فونتي (24) : وهو قريب من اكادير وهو حصن بناه البرتغاليون وجعلوه منطلقا لتجارتهم مع اهل سوس ، ولقد اخرجوا منه سنة 947 هـ اثناء الحملة الوطنية التي كانت قائمة بالبلاد لتحرير حدودها ومحارسها .

المركز الخامس عشر ـ تيزنيت (25) : وفي حديثه عن هاته المدينة ذكر ان المولى الحسن الاول مر بها سنة 1304 هـ اثناء رجوعه عن جولته السوسية وانه امر بتسويرها ؛ ولكن الذين كلفوا بهذا العمل لم ينفقوا جميع ما قدم لهم فخانوا الامانة .

وهنا تجلت اريحية المؤلف وانطلقت عواطفه من كبتها ليصب جام غضبه على الخائنين في كل مكان فصاح قائلا بعد ذكر ما سبق فقبح الله الخائنين وقبح صنيعهم حيث انهم عرقلة في كل اصلاح .

وعبارة من المؤلف تتحدث عن الخونة بهذا الاسلوب في تاريخ تاليف هذا الكتاب تدل على قوة مواجهته للذين كانوا في عصره يتلكؤون عن الاصلاح

---

(20) نفس المصدر صفحة 53 .
(21) آسفي وما اليه صفحة 54 .
(22) نفس المصدر صفحة 55 .
(23) نفس المصدر صفحة 56 .
(24) نفس المصدر صفحة 56 .
(25) نفس المصدر صفحة 57 .

او يبتعدون عن الحركة الوطنية آنذاك ، وهي صيحة لها قيمتها في ابانها ، وتبقى لها تلك القيمة في هـذا العصر ايضا تحذيرا من الخيانة وانذارا بالاخطار التي تلحق البلاد بسبب استغلال الاموال استغلالا غير شرعي من طرف بعض العملاء الذين لا يابهون بالمصلحة العليا والذين لا ينفقون المال في مرافقه البناءة .

المركز السادس عشر – تارودانت (26) : وهي مدينة قديمة بنيت قبل الاسلام وبلغ اليها عقبة بن نافع اثناء الفتح الاسلامي للمغرب ، والغالب انها اندثرت ثم بناها السلطان محمد الشيخ السعدي ثانيا ، قال المؤلف : وعلى مقربة منها يوجد معمل النحاس بجبل تيوت .

المركز السابع عشر – مدينة مراكش (27) : وتحدث عن تأسيسها ايام المرابطين وعن تاريخها ايام الموحدين ، وقال انها قد اضطرب امرها بعد موت احمد المنصور السعدي ، ولم يعد لها ازدهارها الا في عهد محمد بن عبد الله حينما اعاد اليها كرسي الملك .

وعند حديثه عن مدارسها قال : « يوجد بها الآن ستة مدارس اعظمها واعجبها مدرسة جامع علي ابن يوسف ، وهي من حسنات السلطان ابي الحسن المريني ، وقد جددها السلطان الغالب السعدي وكتب اسمه على جدرانها وهو تلبيس وقلب للحقيقة التاريخية من فاعله » (28) .

وملاحظة المؤلف هاته تدل على تحريه النزيه وعلى عدم الرضا بالتدليس ، والتدليس لما في ذلك من قلب الحقائق ومن الزور والبهتان .

واستغل حديثه عن هاته المدارس ليحث المواطنين على العلم والمعرفة خصوصا حينما تطرق الى المدارس العصرية والمكاتب الوطنية ، ولقد اشاد في هذه المناسبة برواد التربية أمثال المختار السوسي رحمه الله .

---

(26) نفس المصدر صفحة 57 .

(27) نفس المصدر صفحة 59 .

(28) نفس المصدر صفحة 63 .

وبذكر مدينة مراكش انهى حديثه عن المدن والمراسي .

ونحن نلاحظ ان عرضه لم يكن جغرافيا محضا ولا تاريخيا محضا ولكنه كان ممزوجا بذاتيته وبآرائه الوطنية العامة ويتجلى ذلك فيما يأتي :

- **اولا** – في غيرته من اجل الدفاع عن الحق كلما وجد لذلك سبيلا .
- **ثانيا** – في الاكثار من الحديث عن سبل التحرير الوطني ليقتدي معاصروه بذلك .
- **ثالثا** – في اهتماماته الاقتصادية الشيء الذي دفعه الى التحدث عن معامل السكر وعن بعض المعادن الموجودة بالمغرب .
- **رابعا** – في تعرضه لكثير من المظاهر الاحسانية الدالة على اريحية سكان المغرب وعلى حسن اخلاقهم .
- **خامسا** – في مقاومته لكل مظاهر الخيانة سواء كانت في الاطار الوطني أو في الاطار العلمي .

وهكذا يمكننا ان نقول ان سمة الذاتية تغلب على اسلوب الكانوني رحمه الله رغم ما يبذله من جهد في المجال العلمي ، وان ذاتيته متكاملة مع الموضوعية وليست متناقضة معها ، وبطريقته هاته يصبح العلم هادفا وتصير الدراسات ملتزمة .

وبعد انتهائه من هذا التمهيد انتقل الى التحدث عن تاريخ آسفي المقصود بالذات وسنتحدث في مقال آخر عن الطريقة التي سار فيها لتحقيق غرضه فالى اللقاء ان شاء الله .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

يتكون من طابقين خصص القسم العلوي للصلاة . السيد غزالي الشاي والحلويات ، ورحبت السيده

مشاهداتي في أندونيسيا :

حفلة زفاف
من مدينة أسمرنك بأندونيسيا

للأستاذ عبد القادر العافية

في مستهل شهر شعبان سنة 1401 ذهب وفد من علماء المغرب الى جاكرتا من اجل المشاركة في انجاح الدورة التدريبية التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي لارشاد الائمة والوعاظ الشباب في اندونيسيا .

وكانت مساهمة الوفد المغربي في هذه الدورة التدريبية مساهمة ايجابية خلفت في نفوس المتدربين، وفي نفوس المشرفين على التدريب آثارا حميدة وشعورا فياضا بعواطف المحبة والاخوة والمودة ... والى جانب هذا الشعور الاخوي الفياض تميز عمل الاخوان المغاربة بالجدية والمثابرة والفعالية ...

وكان من شان ذلك ان اصبح وجود الوفد المغربي في الدورة التدريبية وجودا ملحوظا له قيمته وفعاليته .

ورات لجنة التسيير ان تبعث باعضاء الوفد المغربي المشاركين في الدورة الى بعض الاقاليم والجهات خارج العاصمة جاكرتا قصد الاتصال بشباب بعض المعاهد والجامعات الاسلامية .

فمن اخواننا من ذهب الى (باندونج) ومنهم الى (سورابايا) وبعضهم الى (مالانج) ... وكان من نصيبي ان اذهب الى مدينة (اسمرنك) بجاوا الوسطى ، وكان البرنامج بالنسبة لهذه الرحلة القاء محاضرتين ، احداهما على اعضاء جمعية توعية الاسرة ومعظمهم من طلاب وطالبات الجامعة . والثانية بمسجد الميتم التابع للجمعية الاسلامية باسمرنك .

امتطيت الطائرة (كارودا) من مطار الخطوط الداخلية بجاكرتا الى مدينة (اسمرنك) التي تبعد عن العاصمة باكثر من : 500 كلم . وهذه المدينة هي عاصمة جاوا الوسطى ، واهل (اسمرنك) يعتقدون ان مدينتهم اجمل مدينة في جاوا .

تقع المدينة على ساحل البحر ومبانيها تشغل سفح هضبة تتدرج في الارتفاع من الساحل الى قمة تل مرتفع . ويشرف الجزء العلوي من المدينة على البحر من جهة ، وعلى حقول الارز والمزارع الخضراء من جهة اخرى .

رافقني في هذه الرحلة الاستاذ باعلوي السقاف .. وهو من سكان هذه المنطقة ، درس بجاوا الوسطى اولا ثم تابع دراسته بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الى ان حصل على الاجازة من شعبة الشريعة الاسلامية ، وهو يتحدث اللغتين العربية والاندونيسية بطلاقة تامة .

في مطار اسمرنك وجدنا ثلاثة شبان من جمعية توعية الاسرة في انتظارنا فرحبوا بنا وركبنا معهم سيارتهم ، وتوجهنا الى المدينة ، نزلنا بحرم مسجد

بيت الرحمن بوسط المدينة ، ودخلنا المسجد الذي يتكون من طابقين خصص القسم العلوي للصلاة .

اما القسم الاسفل فبه اماكن للوضوء وقاعات للمحاضرات ، والمسجد بكامله يقع وسط حديقة مزينة بالاشجار والازهار .

دخلنا احدى القاعات المعدة لالقاء المحاضرات فوجدنا بها واعظا منهمكا في القاء وعظه وامامه مكبر الصوت والناس من حوله على الكراسي ، النساء في جهة والرجال في جهة اخرى يفصلهما ممر ضيق .

كانت الساعة في هذا الوقت تشير الى العاشرة صباحا ، واليوم يوم احد والناس يفدون افواجا على المسجد ، لان اليوم يوم عطلة رسمية — لسماع الوعظ والارشاد الذي يستمر وبخصوص يوم الاحد من الصباح الباكر الى الزوال .

اغلب المستمعين من النساء اللائي يصحبن معهن اطفالهن وهن في حلة نظيفة وانيقة ، ويستمر بعض المستمعين في الانصات الى نهاية الموضوع المعد من طرف الواعظ . في حين ان بعضهم الآخر لا يلبث الا قليلا .

ويجلس بعض الناس في حديقة المسجد ، وترى بعض النساء في الساحات حول المسجد ومعهن اطفالهن ، وعلامة الاحتفال بهذا اليوم بادية في اللباس وفي مظاهر اخرى ، منها : تجول فرقة من الكشافة مكونة من الذكور والاناث في طابور طويل ، يتقدمها جوق موسيقي يعزف انغاما حماسية تتحرك المجموعة على نغماتها ، وتطوف الشوارع والساحات الرئيسية بالمدينة ، وهي في تطوافها هذا تمر بحرم بعض المساجد وبعض الكنائس مخترقة اهم شوارع المدينة ، ولا تنتهي من تطوافها الا عند الزوال .

بعد التعرف على مرافق مسجد بيت الرحمن ، ومشاهدة بعض زواره ، قصدنا بيت مدير المسجد السيد (جو سدي غزالي) الذي كان في الانتظار حسب الاتفاق معه من طرف المشرفين على الدورة بالعاصمة ، لم نجد السيد غزالي لان اليوم يوم احد، ولمدير المسجد ارتباطات كثيرة واعمال متعددة .

فتحت السيدة الباب واشارت الينا بالدخول وذكرت ان زوجها مشغول في حفل زفاف .

وفي غرفة الضيوف احضرت لنا احدى بنات السيد غزالي الشاي والحلويات ، ورحبت السيدة من بعيد ، ثم كلمت زوجها بالهاتف وذكرت أن زوجها يدعونا الى مكان الحفل .

بعد خروجنا من بيت السيد جوسدي غزالي توجه بنا الاخوان الى البيت الذي تقام به حفلة الزفاف . طرق المدينة مزينة بالاشجار اليانعة ، معظم المنازل يتوفر على حديقة مزينة بالاشجار والزهور .

وبعد لحظات يسيرة وقفت السيارة بباب مكان الحفل الذي هو منزل والد العروس يقع هذا المنزل وسط حديقة واسعة محاطة بسور مرتفع ، وعند ما فتح الباب ظهرت صفوف الكراسي بالحديقة وقد صفت في مساحة مسقوفة مزينة بالزهور وبالثريات المتخذة من اغصان الاشجار في فنية وبراعة ، وفي الممر الذي يفصل بين صفوف الكراسي تتدلى بعض الثريات المصنوعة من ورق الاشجار وزهورها في اشكال مختلفة ، وبنفس الطريقة زينت بعض جوانب قاعة الحفل .

وفي مدخل الحديقة جلس شخص حول منضدة مهمته فحص الاستدعاءات وامامه دفتر كبير ذو ورق صقيل ، فعلى المدعو ان يظهر بطاقته اولا ثم يكتب بالدفتر اسمه ، وعنوانه ، ومهنته ، ثم عبارة التهنئة فالامضاء . وسائر المدعوين والمدعوات يقومون بهذه العملية .

لم تكن عندنا نحن الاربعة استدعاءات لحضور الحفل ، الا ان السيد (جوسدي غزالي) مدير مسجد بيت الرحمن كان في انتظارنا فلما وصلنا اقبل علينا بحفاوة ، رحب واشار علينا بالوقوف ازاء المنضدة وبكامل السرعة احضر الاستدعاءات فاظهرناها لصاحب الدفتر ، ثم كتبنا اسماءنا وما جادت به القريحة من عبارات التهاني ، ووقعنا بالدفتر الشرفي ، ودخلنا مكان الحفل يتقدمنا السيد غزالي الذي وصل بنا الى الصف الامامي ازاء المنصة الشرفية ، واجلسني بجوار والد العروس وهو رجل نحيف يميل الى الطول يلبس بذلة اوربية ممتازة ، رحب بي بالغ الترحيب ، فهنأته ودعوت بالسعادة والذرية الصالحة ، فامن وفرح ... وطلب مني أن اجلس في المنصة الشرفية . الا انني اعتذرت بأني

لا اعرف تقاليد اهل البلد ، وخير لي أن اجلس بمجلسي هذا حتي الاحظ وأتعرف على ما يجري . فقبل عذري .

وفي هذه الاثناء كانت الموسيقى تصدح بالانغام الموسيقية الاندونيسية في نعومة ولطف .

وبعد وقت قصير من جلوسنا أعلنت مقدمة الحفل – وهي فتاة تلبس حلة زاهية ، تقف عند منضدة وضع عليها مكبر الصوت ، في مكان تشرف منه على جميع الحاضرين ، اعلنت انه قد حان وقت اجراء مراسيم الخطبة .

وبعد لحظة يسيرة تشكلت هيئة الخطبة : تسعة افراد من اهل العريس ، وتسعة من اهل العروس ، اصطفت كل مجموعة على حدة في كل مجموعة ثلاثة صفوف يتقدمهم مفوض ، وتفصل المجموعتين مسافة نحو خمسة امتار .

تقابلت المجموعتان ، واصبح المفوضان – مفوض العريس ، ومفوض العروس – وجها لوجه .

وبعد ما اخذت كل مجموعة وضعها في الممر بين الحاضرين اعلنت مقدمة الحفل عن بداية الخطبة، وسكتت الموسيقى والتفت الحاضرون نحو المجموعتين اللتين يلبس افرادهما لباسا تقليديا خاصا يتكون من قطعتين من قماش فاخر ذي لون بني غامق ، احذية سوداء لامعة تغطي نصف القدم ، احزمة حريرية واسعة في لون بني مزركش بالاصفر ، وبين الحزام والبذلة من جهة الخلف ، وضع خنجر ذو مقبض ابنسي لامع ، وعلى راس كل فرد من المجموعتين قبعة في شكل عمامة هندية صغيرة قماشها من نفس لون قماش الحزام الحريري .

بدأ مفوض العريس بالكلام فقال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته – وهذه التحية الاسلامية شائعة بين المسلمين في اندونيسيا – أجابه مفوض العروس : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد هذه الاجابة على التحية شرع مفوض العريس في الخطبة باللغة الاندونيسية الجاوية ، ومما قاله في كلمته :

« ان اسرة السيد فلان – والد العروس – اسرة كريمة معروفة بالمروءة والادب والكرم ، وان ابننا (فلان) الشاب المهندس جاء طالبا منكم كريمتكم لتصبح زوجة له على سنة الله ورسوله ، واننا نلتمس منكم قبول خطبتنا هذه ، حتى نسعد بالمصاهرة معكم ، وان ابننا هذا سيصبح ابنكم ، وواحدا من اسرتكم فاقبلوا خطبتنا التي القصد منها ربط اواصر المحبة مع اسره كريمة » ... وينهي كلمته بالاطراء والثناء في ادب جم وعبارات رائعة .

ويجيبه مفوض والد العروس ويبدأ كلامه بالتحية الاسلامية ، ومما جاء في كلامه قوله :

« نحن نرحب بخطبتكم الميمونة ، ونرحب بابنكم واسرتكم نظرا لما تتصفون به من مروءة واخلاق كريمة ولما يتصف به ابنكم من نبل واخلاق عالية . وها نحن قد قبلنا خطبتكم ، وجعلنا بنتنا واحدة من اسرتكم الكريمة ، ونحن نتشرف بهذه المصاهرة التي هي على الطريقة الشرعية ، وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسوله (ص) » .

وبعد الاستماع الى الخطبتين تتقدم المجموعتان بخطوات وئيدة نحو بعضهما ويتصافح المفوضان ثم باقي افراد المجموعتين ، ويمتزج بعضهما ببعض وتتشكل منهما مجموعة واحدة يتقدمها العريس في هذه المرة . اما المفوضان فيخرجان من المجموعة وياخذان مقعدهما في المنصة الشرفية .

العريس يحيط به ثلاثة شبان يحملون هداياه ، واحد منهم امامه يحمل صحنا كبيرا من الفضة بداخله هدية مغطاة بقماش حريري اسود مطرز بخيوط الذهب ، الشابان الآخران يحملان هدايا أخرى زينت بالزهور في شكل محابق كبيرة ينوء بهما حملاهما .

تسير المجموعة بخطى وئيدة تحت انغام الموسيقى الى ان تقترب من المنصة الشرفية التي يكون قد جلس حولها نائب القاضي وشاهدان عدلان، والمقرىء ، والمفوضان ، ومدير المسجد ، ويطاف الى هؤلاء العريس الذي ياخد مكانه في وسط المنصة الشرفية بعد ان ترك المجموعة هيئة الخطبة واقفة في مكانها .

تعلن مقدمة الحفل عن بداية عقد الزواج وترجى من الحاضرين الاستماع الى الآيات البينات التي ستفتتح بها عملية العقد .

يرفع المقرىء صوته بالقراءة ، وهو شاب اسمر نحيف يلبس قميصا ومعطفا ، يأتزر بالازار الاندونيسي ذي الالوان الزاهية . وبصوت رخيم يشبه صوت عبد الباسط عبد الصمد تلى قوله تعالى :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ... » .

وآيات اخرى مثل قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف ... »

التلاوة جيدة ، المقرىء يقرا بدون مصحف ، الجميع ينصت في خشوع . وبعد نهاية التلاوة خطب فضيلة نائب القاضي خطبة مؤثرة للغاية كان موضوعها الحث على الزواج ، وبيان منافعه وفوائده ، وما لحياة الاسرة السعيدة من اثر على المجتمع مقتبسا من الآيات القرآنية الكريمة ، ومن الاحاديث النبوية الشريفة ما ناسب موضوعه ، وبعد ذلك قال : لقد طلب الشاب فلان ابن فلان الآنسة فلانة كريمة السيد فلان بن فلان ، وقد وقع الرضى والقبول بحضور الولي ، أما الصداق فهو نسخة من المصحف الكريم »» وبالفعل وضعت على المنضدة نسخة من كتاب الله العزيز ملفوفة في نسيج حريري فاخر ولم يذكر غير هذا في الصداق .

ومن عادة المسلمين باندونيسيا انهم يتساهلون في المهر تساهلا كبيرا ، وقضية المهر ليست عندهم مشكلة ابدا . بل هم يتساهلون فيه الى أقصى الحدود . وغالبا ما يكون مصحفا شريفا لا أقل ولا اكثر ، ولا يذكر عادة غيره في عقد الزواج .

والهدايا الاخرى لا تذكر مهما كانت قيمتها ، وهي غير مشروطة وانما هي على حسب الاستطاعة ، ومع الامكان .

وبعد كلمة نائب القاضي تعطى الكلمة للعريس فيتعهد امام الحاضرين انه سيعاشر زوجه بالحسنى والمعروف طبق تعاليم الاسلام الحنيف ، ويطلب من الله تعالى ان يوفقه هو وزوجه الى الخير وان يرزقهما السعادة في حياتهما ...

كلمة العريس في هذا المشهد كلمة مؤثرة حقا، ثم يأخذ نائب القاضي الكلمة من جديد فيبارك ويدعو وبعد الانتهاء من دعواته تصدح الموسيقى . وهنا تبدأ حركة داخل البيت حيث تستعد العروس لمقابلة العريس على باب المنزل الذي تقف على جانبيه سيدتان احداهما تحمل منديلا كبيرا مطويا طيا مستطيلا ، وبداخله بيضة نيئة تضعه على عتبة البيت، وتحمل الاخرى طست نحاسيا اصفر لامعا بداخله ماء ممزوج بالورد والزهور .

ينهض العريس من المنصة ويحيط به حاملو الهدايا ويتقدم في تؤدة نحو باب المنزل ، ويتحرك موكب العروس من الداخل ويلتقي العروسان عند عتبة البيت ويخلع كل منهما نعله اليمنى فيضعان قدميهما معا دفعة واحدة على المنديل ويكسران البيضة بداخله ، اشارة الى انكسار الحواجز والعوائق ، ويقفان وجها لوجه في حياء . وفي ابهى حلة من الزينة .

لقد زينت العروس بطريقة يابانية تقريبا من حيث تصفيف الشعر ولبس عقود الجواهر ، والاقراط الفاخرة ، وأساور الذهب ، كل هذا مع لباس فاخر أنيق .

وفي انحناءة شرقية معبرة تجثو العروس على ركبتيها ، وتدخل يدها في الطست المملوءة بالماء الممزوج بالورد والزهر وتغسل رجل العريس ، وتنشفه بمنديل خاص لهذه الغاية ، وتقف بعد ذلك لتتأبط يده اليسرى وتقف مع عريسها جنبا الى جنب .

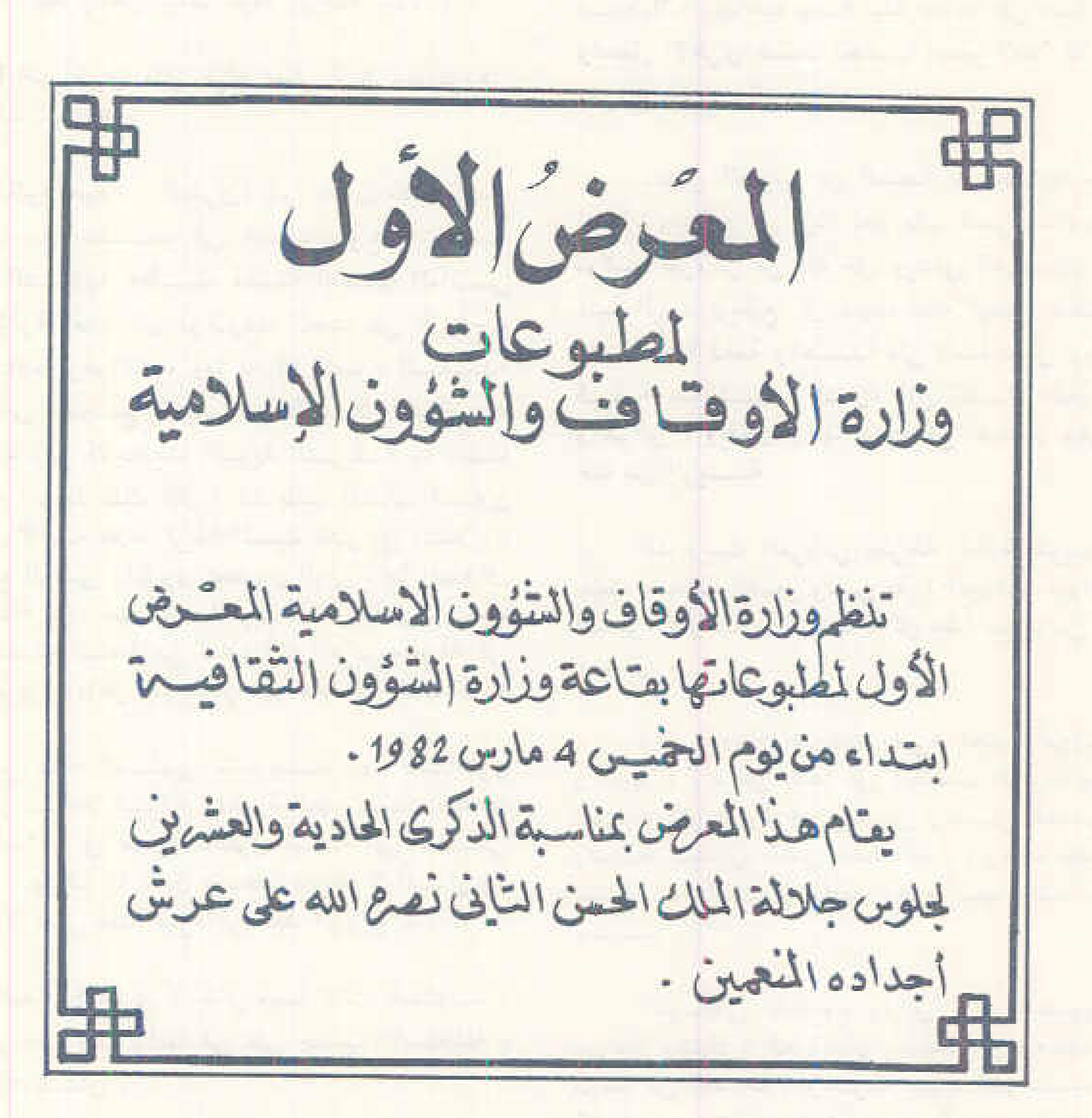
الموسيقى تصدح ، وبريق آلات التصوير يلمع من هنا وهناك ، العروسان يسيران وخلفهما موكب من الفتيات ، وبسرعة يغيب الموكب عن الانظار ، وتبدأ عملية توزيع الشاي والحلويات والمشروبات على المدعوين ، ثم يقدم لهم بعد ذلك طعام الغداء .

وكان مما اثار انتباهي في هذا المشهد غسل العروس رجل عريسها ، ولما سألت عن ذلك قيل لي انه عادة قديمة متوارثة ، وذلك عندهم دليل على طاعة الزوجة لزوجها .

العروس في نحو الخامسة والعشرين من عمرها ، نحيفة سمراء تميل الى الطول ، وهي حاصلة على الماجستير في العلوم الاقتصادية . وهي ابنة احد اغنياء المدينة .

العريس شاب مهندس في نحو الثلاثين من عمره مكتمل القامة جميل الطلعة يميل الى البياض وتعلو وجهه حمرة الشباب ومسحة من الحزم والرصانة .

والعادة في اندونيسيا ان العريس يدخل على عروسه في بيت والدها ويمكث مع اصهاره مدة من الزمن ، قد تطول أحيانا الى شهر ، وقد تكون ثلاثة ايام ، ثم بعد ذلك ينتقل العروسان الى منزلهما الجديد .



الاسلام وايديولوجيات الفكر المعاصر

تأليف : علال الخياري
عرض : الاستاذ علال البوزيدي

● صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب الاستاذ علال الهاشمي الخياري يقع في 280 صفحة من الحجم المتوسط .

كلمة لا بد منها

● سوف لا اكون مجاملا اذا صافحت بحرارة مؤلف الكتاب مهنئا اياه عن ما وفق اليه من طرح صريح لجملة من القضايا التي تهم الساعة الراهنة التي يعيشها العالم وبصفة خاصة العالم الاسلامي ، انها قضايا تمس العقيدة وتؤثر في جوهر وصميم المجتمعات الانسانية ممارسة واسلوبا وسلوكا اخلاقيا وسياسيا ، اجتماعيا واقتصاديا .

● ذلك ان هذا الكتاب عزز المكتبة المغربية العربية لكونه يعتبر بحق من الكتب المهمة التي ينبغي تدارسها بامعان والاطلاع عليها وهضم محتواها بتأمل واستيعاب ، ليس فقط لاستئثاره بموضوع حيوي ، ولكن لميزة التحرر الفكري والموضوعية والصراحة التي تناول بها المؤلف الاحداث وحلل على ضوئها الوقائع والمواقف ، كما ان الاسلوب المنهجي الذي استنبط به البصمات التي تتركها الايديولوجيات في تاريخ الفكر المعاصر للعالم الحديث ، وهذا يدفعنا بكيفية منطقية لا فضولية الى محاولة تقييم المجهود المشكور الذي بذله المؤلف في مناقشته لبعض القضايا ذات الاتجاه الايديولوجي ومعالجته للبعض الآخر كمحاولة منه للمقارنة وتباين وجهات النظر وتحليل المعطيات السلبية والايجابية لهذه الايديولوجية او تلك ، وكذا لاستجلاء براعة المؤلف في البحث عن مضامن التباين الانعكاسي وابرازه لمختلف الجوانب المتصلة بالموضوع في نسق ممنهج ظهرت تجلياته في تبويب الكتاب وتحديد اقسامه وفصوله وتمهيده لعرض المواقف وتحليل الوقائع والتنصيص على موقف الاسلام من التيارات الحديثة المصاحبة للتصورات الايديولوجية المتصارعة، وكل ذلك يشير الى العمق والى الدقة والمرونة والاعتكاف من اجل اعطاء البحث قيمته العلمية وحجمه ومستواه الفكري الناضج ، كما ان المراجع

الهامة التي اعتمدها المؤلف في اعداد بحثه القيم جديرة بالتنويه لكونها تعد من امهات الكتب النفيسة التي تعرضت لهذا المجال وتناولت بعض الجوانب المتصلة به بشيء من الاقتضاب مما جعل هذا البحث الجديد يتميز بالشمولية ، حيث جاء لتسليط الاضواء الكاشفة واماطة اللثام بشجاعة عن مواقف الاسلام الواضحة المبنية عن الحجة والبرهان ، والكتاب في حد ذاته جولة في الآفاق المتالقة من شانها ان تفيد الفكر المعاصر وتضيف اليه وتقوم ما لحق به من تمويه نتيجة الخلط وعدم الاستناد الى الحقائق المنطقية ، وجاء هذا الكتاب كذلك ليضع النقط على الحروف ويكشف عن الوجه المقنع لبعض المذاهب الايديولوجية التي تتسلل بكيفية متسترة تحت شعارات براقة ومغرية ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر ... ! والكتاب بالتالي يشيد القارىء لكونه يتطرق الى واقع حيوي معاش على مستوى الفكر المعاصر والاجيال الصاعدة وبالاخص الشباب الذي يعاني الحيرة القاتلة في خضم المد الاديولوجي ، كما ان هذا الكتاب يعتبر في تصوري المتواضع من المتع الروحية فضلا على كونه حافلا بما يزخر به الفكر الاسلامي من تراث وامجاد علمية وحضارية ، ولهذا الميزة فان هذا البحث قمين به ان يرقى الى مكانة البحوث والدراسات المنهجية الجادة والذي زاد من اهمية الكتاب هو كونه يعالج قضايا طالما احاط بها الغموض والابهام وخاصة فيما يخص توضيح موقف الفكر الاسلامي منها . فجاءت هذه الدراسة التحليلية لتساعد الانسان المعاصر على تحديد نظرته الى عالم الايديولوجيات واستيعاب معطياتها وذلك على اساس حكم الاسلام عليها وتحديد موقفه منها ، ومن هنا نستطيع وبدون مجاملة كما سبق ان قلت في بداية هذه الكلمة ان نزكي ونثني على المجهود الذي بذله المؤلف والذي من خلاله خاض غمار البحث في موضوع شائك وتصديه بشجاعة فكرية وادبية لتعرية بعض التيارات التي تثيرها وترمز اليها اهتمامات المحافظين والمتحررين على حد سواء ، كما تؤثر في الواقع المعاصر اقتصاديا وفكريا واجتماعيا للمجتمع الانساني الحديث على وجه العموم ، وبدون ان اطيل في محاولتي لتقديم هذا البحث القيم يجدر بي ان اتفحص ورقة ورقة ابواب واقسام وفصول الكتاب مستخلصا للقارىء الكريم فكرة ولو مختصرة عن هذا العمل الفكري الهام ...

جولة عبر صفحات الكتاب

● تصدرت البحث مقدمة حلل فيها المؤلف اثر الدراسات المقارنة على الفكر الانساني ، كما تطرق الى مفاهيم التفاعلات الحضارية وانتهى الى ان خلاصة ذلك تكمن في :

1) قيام الاحداث وسرعة تطورها مع حتمية مجاراتها او توجهها .

2) استعداد المسلمين العقلي والنفسي لعملية التأثير المتبادل ، وفي نفس الوقت جعل من المقدمة توطئة وتمهيدا لاستيعاب الهدف العام الذي يرمي اليه البحث والفلك الذي تدور حوله موضوعات الكتاب .

● وجاء بعد المقدمة تمهيد تناول فيه شرح كلمة الاسلام لغة وشريعة ، وبين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي واعتمد في ذلك على الآيات القرآنية الكريمة وبعض المراجع والنصوص الهامة . ومجمل القول ان التمهيد جاء بمثابة مدخل لقراءة الكتاب .

● اما القسم الاول فقد تناول بعمق بحث موضوع الاسلام من خلال المنهج الرباني ، كما حلل علاقة هذا المنهج الرباني بالثقافة العقلية ، وكذا علاقته بالعلوم الكونية والتجريبية منطلقا من البعثة المحمدية مستعرضا نبذة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشأته الطاهرة وعصر الخلفاء الى عصر بنو امية والخلافة العباسية وعصر الانحطاط .

● وخصص الفصل الاول من القسم الاول الى الحديث عن ما هو الفكر الاسلامي ، الفكر الاسلامي والفلسفة اليونانية .

● بينما تناول في الفصل الثاني موضوع المدرسة الاولى : المنهج الفلسفي على ضوء اجتهاد ابو نصر الفارابي وابو الوليد ابن رشد ، وعن المدرسة الثانية والمنهج الاسلامي وفي بحثه لهذه المدرسة توقف وقفات عند اجتهادات ابن تيمية وموقفه من الفكر الاغريقي وكذا موقفه من الفقهاء ، وتعرض كذلك الى الشخصية العلمية لابن خلدون وعلاقة الفكر الاسلامي بفلسفة ابن خلدون ، وذهب في ذلك الى توضيح بعض المفاهيم والمبهمات المتواجدة بين المنهج الاسلامي والمناهج الفلسفية .

● وفي القسم الثاني تناول مضمون البحث الذي هو ايديولوجيات الفكر المعاصر ، وحدد لذلك مدخلا اسماه اصل الايديولوجيات وتطور مدلولها ، وحلل منهجية التصور الاسلامي كعقيدة ومذهب .

● وخصص الفصل الاول من القسم الثاني للحديث عن الفكر الاوروبي وأثر الفكر اليوناني على العقلية الاوربية عبر مسيراتها التاريخية الى اليوم والفكر الروماني قبل المسيحية وبعدها ، وحلل الجانب الديني في الفكر الاوربي والمسيحية في اوربا والرهبانية والتبشير واليهودية ثم اليهودية والحزب الشيوعي والجانب الاجتماعي في الفكر الاروبي .

● وجعل الفصل الثاني خاصا بالحديث عن الراسمالية ونشأتها ونص على مبادىء الشورى في الاسلام وعملية التصويت في النظام الراسمالي وحرية العقيدة والحرية الشخصية ثم حرية الملكية الاقتصادية والفكر الراسمالي والازمة الاقتصادية الراهنة وافلاس النظام الراسمالي والانفاق العسكري كحل للافلاس الاقتصادي .

● ونصل في مطالعتنا لهذا الكتاب الى الفصل الثالث الذي خصصه للحديث عن الشيوعية وظروف نشأتها وكذا تطور المنهج والمفهوم الاشتراكي والشيوعي وتساءل عن ما هي الشيوعية ثم حلل المنهج الماركسي والتصور الماركسي وحلل المفهوم التطبيقي للاشتراكية الشيوعية على الصعيد الواقعي بين الشيوعية والاشتراكية الجديدة مع ملامح الاشتراكية الجديدة .

● وجاء بعد ذلك القسم الثالث وفيه يتحدث عن الاتجاهات الفكرية في العالم الاسلامي والسلفية في مصر ، السلفية في الاقطار الاسلامية ، دعاة التجديد، كيف نشأت حركة التجديد ، التأزم الفكري عند دعاة التجديد . وخصص الفصل الثاني الذي جاء في نهاية الكتاب قبل الخاتمة وتحدث فيه عن القومية العربية وجعل له مدخلا تحت عنوان : (العالم الاسلامي والظروف الدولية ، أسباب انتشار القومية ، ما هي القومية الاسلامية والقومية العربية) واخيرا خاتمة الكتاب وفيها يستعرض المؤلف الاحداث والوثائع ، ويستخلص ان الحضارة المعاصرة لها واجهتان : تحكي اجتهادات الانسان ، وتحدد الاطار الذي يجعل فيه الفكر الاسلامي المحور الاساسي المتحرك الذي تدور حوله كل الصراعات الفكرية والايديولوجيات .

● وخلاصة القول ان هذا الكتاب يعتبر من الممارسات الفكرية المنهجية الجادة في عالم البحث والتاليف ، ولذلك فهو جدير بالاستقراء والاستيعاب للاستفادة من ما تضمنه من آراء ومواقف واستدراك بعض أوجه المعرفة العرفانية والمقارنات العقلانية .

● وفي النهاية اود أن اجمل قولا على قول محاولا استنتاج ولو بصيص من الحقيقة بخصوص الايديولوجيات واثرها في الفكر المعاصر وانتهى الى انها مجرد مراحل في تاريخ الفكر الانساني تنطبق عليها تلك القولة العلمية : « ما يفرقه الانسان تجمعه الحياة » .

سلا : علال البوزيدي

الشريعة الإسلامية
مصدر الأهداف العليا لصيانة المجتمع الإسلامي

للأستاذ المختار أحمد الكمال العمراني

انطلاقا من هذا العنوان نتبرك بقوله تعالى :
« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، فهذه الآية الكريمة تبين لنا ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان اى الرجل والمراة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وبطبيعة الحال فقد نشأت علاقات تربط الرجل بالمراة ، وبطبيعة الحال ايضا ان تنجم عن هذه العلاقات مشاكل ؛ لان الله سبحانه وتعالى خلق في الانسان الغرائز والحاجات العضوية وجميعها تثار وتحتاج الى اشباع وتتفاوت آثارها قوة وضعفا، والعمل الدائب للانسان هو اشباع هذه الغرائز ، ونتيجة لمحاولة الاشباع تبدا المشاكل ، فيبدا الانسان يسعى لحلها ، ولكنه توقف في هذا الحل من أين يوتي به ، هل من الشرع أم يوتي به من العقل ، واذا فكرنا قليلا نجد ان الشرع الاسلامي امر بتنظيم اشباع الغرائز لا بتعطيلها ولا بحرمانها ولا باحداث فوضى لاشباعها ولا باشباع بعضها على حساب البعض الآخر ، فجاءت الشريعة الاسلامية وانشأت اهدافا لصيانة المجتمع الاسلامي وركزت اعمدتها الثمانية ليقوم عليها هيكل هذا المجتمع بحيث اذا فقد أحد الاعمدة سقط الهيكل برمته ، وهذه الاهداف ليست من وضع الانسان ، بل هي من اوامر الله ونواهيه ، قال تعالى : « ما ءاتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وهذه الاعمدة ثابتة لا تتغير ، فللمحافظة على نسل الانسان فرض الله حد الزنا ، وللمحافظة على العقل فرض حد شرب الخمر ، والمحافظة على كرامة الانسان فرض حد القذف ، وللمحافظة على نفس الانسان فرض حد القصاص ، وللمحافظة على الملكية الفردية فرض حد السرقة ، وللمحافظة على الامن والاستقرار فرض حد قطاع الطريق ، وللمحافظة على صيانة الدولة فرض حد اهل البغي ووضع الاسلام للمحافظة عليها عقوبات صارمة ، كما جعل الاسلام المحافظة على هذه الاهداف واجبة لانها اوامر ونواه من الله سبحانه لا على اساس انها تحقق فيما فيها مادية ، كما ان الاسلام عني بالفرد باعتباره جزءا من الجماعة البشرية ، وعني في نفس الوقت بالجماعة لا بوصفها كلا ليس له اجزاء بل بوصفها كلا مكونا من اجزاء هم الافراد ، قال صلى الله عليه وسلم : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها مكان فكما ان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا نصيبنا خرقا لم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) .

وقد شرع الحق سبحانه وتعالى العقوبات زواجر وجوابر ، اما الزواجر فلزجر الناس عن ارتكاب الجرائم ، واما الجوابر فلكي تجبر عن المسلم عذاب الله يوم القيامة ، وكون العقوبات زواجر ثابت بنص القرءان ، قال تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب » ، فتشريع القصاص في الحياة

معناه ان ايقاع القصاص هو الذي ابقى الحياة ، فمن وقع عليه القصاص لا شك ان في القصاص موته لا حياته ، والمقصود حياة من شاهد القصاص وهذه العقوبات لا يجوز ان توقع الا بمن ثبتت جريمته وادين ، وقد بينت الشريعة الاسلامية ان على هذه الجرائم عقوبات في الآخرة والدنيا ، اما عقوبة الآخرة فالله تعالى هو الذي يتولاها ويعاقب بها المجرم فيعذبه يوم القيامة ، قال تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام » ، وقال عز من قائل : « ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم » . ومع هذا فان امر المذنبين موكول اليه سبحانه ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ، قال تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، وتوبتهم مقبولة لعموم الادلة ، اما عقوبة الدنيا فهي مبينة في القرءان الكريم والحديث الشريف مجملة ومفصلة وجعل الدولة هي التي تقوم بها ، فانزال العقوبة بالمجرم في الدنيا يقوم بها الامام او نائبه ، وهذه العقوبات في الدنيا تسقط عن الذنب عقوبة الآخرة وتجبرها فتكون بذلك العقوبات زواجر وجوابر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تبايعونني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب شيئا فستره الله فأمره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه) . والمتعمق في الآيات والاحاديث المتقدمة يرى ما فرضه من موقف حازم وعقوبات زاجرة لوقاية المجتمع وسد الطريق على البغاة الطامعين الذين يعمدون الى اثارة الحسد والحقد والدسائس بشتى الوسائل لتكون لهم منها العدة القوية في انهاك المجتمع وتفريق صفوفه وفتح الثغرات لينفذوا منها الى شهواتهم واغراضهم الفاسدة ان استغلال الفرص لتأمين المنافع الخاصة على حساب المجتمع وضرره وعدم التضامن مع المسلمين في الازمات والنضال والتشويش على القائمين بالمصالح العامة يعد من الجرائم التي تستحق العقوبة الدنيوية فضلا عن عذاب الله الاخروي ، وان اقلاق امن المسلمين والعدوان على اموالهم ودمائهم واعراضهم والتمرد على اوامر الله ورسوله وتعطيلها هي أيضا من الجرائم التي تستحق العقوبة في الدنيا فضلا عن عذاب الله الاخروي ، وان تطبيق هذه الاحكام يرجع الى القضاء الاسلامي لان القضاء في الدولة هو المرجع في الجرائم يستمد احكامه واساليبه من القراءن والسنة ، قال تعالى : « فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول » وقال عز من قائل : « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم » وقال سبحانه : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » . فالمسلمون مأمورون من الله ان يحكموا في الخلاف الذي ينشأ بينهم بما انزل الله ، لهذا فجميع الدول الاسلامية التي عاشت على وجه الارض كانت تجعل حكاما في كل مدينة او قبيلة يحكمون بين الناس بما انزل الله : هؤلاء الحكام هم القضاة ، فالقاضي هو الحاكم الذي يحكم بين الخصمين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامانة هذا الحكم في عنق الحاكم ، قال الله عز وجل: « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال سبحانه: « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . فليتق الله المسلمون في انفسهم وفي اوطانهم وفي دينهم ويرجعوا الى كتاب الله وسنة رسوله في اقضيتهم وسائر معاملتهم ان ارادوا النصر على الاعداء ، قال عليه الصلاة والسلام : (لا زلتم منصورين على اعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي ، فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من اعدائكم من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودا الى سنتي) ، ففي هذا النص النبوي الكريم تحديد لمصدر القوة بالسنة النبوية ، الا اننا معشر المسلمين — وبكل اسف — نرى انفسنا قد انخدعنا بالمدنية الزائفة وانحرفنا عن كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام في احكامنا ومعاملتنا وانتهجنا نهج القوانين الوضعية صيغت من طرف المجتمعات البشرية التي لا تعرف مصالح نفسها فضلا عن مصالح غيرها ، والله ادرى لمصالح عباده ، فما عذر المسلمين عند الله يوم القيامة وما حجتهم عنده في هذا الموقف العظيم الذي يقصه علينا القرءان الذي انحرفنا عنه في قوله تعالى : « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا » وفي مكان آخر « واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار » وفي آية اخرى : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا » ، ولذلك يقول الاتباع وهم في جهنم ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت

اقدامنا ليكونا من الاسفلين على عكس ما كانوا في الدنيا ، ثم ياتي دور الشيطان المتربص فيقول في مثل هذا المقال .

وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم .

هكذا تكون نكسة التابع والمتبوع أمام الحق سبحانه ، ومن هنا يعلم ان الاتباع غير معذورين في اتباع الزعماء المضلين ، الا ترى انهم حين قالوا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا ، قال لكل ضعف ولم يستجب لهم لان الله خلقهم بشرا فرضوا لانفسهم ان يكونوا بقرا ، والنتيجة من هذا ان المسلمين ان لم يرجعوا الى دستورهم القرءاني والسنة النبوية فسيحصدون ما زرعته الصهيونية من عنف وحقد ودمار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر قدوة للبشرية عامة ، فعن طريقه انشأ الله الامة الاسلامية التي يقول فيها سبحانه وتعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » . وفقنا الله جميعا الى التمسك بالحق والسير على الكتاب والسنة انه سميع مجيب والسلام .

المختار احمد الخمال العمراني

أقصوصة تاريخية :

عروس في الدماء

للأستاذ قدور الورطاسي

بين مساكن قبيلة « بني بوزكو » يبدو قصر قيادتها بارزا بروزا لشمس في رابعة النهار . القصر ـ كما الفت العقول والاحاسيس تصوره في عالم المدر ، وفي الوقت ذاته ، مأوى قيادة كبرى ضاربة الجذور بين تربة التاريخ ـ هو ذو بناية شامخة ، ومرافق متنوعة ، ذو أبواب شفعية المصارع ، وبوابون وحراس قعود بعضهم امامها.وبعضهم فى جياة وذهاب. وغدو ورواح . كلهم ءاذان في انتظار اوامر القيادة المقتضبة : افعل كذا او لا تفعل كذا . فلا مراجعة ولا تلكؤ ، ولا تثاقل ولا نسيان ، انما هي اوامر القائد حمادة البوزكاوي ، أو اوامر ابنه « محمد » القائد الرسمي الاصغر . فلا مناقشة ولا جدل .

بينما القبيلة في خدمة قيادتها الكبرى والصغرى التي تشارك القبيلة آراءها ومشاعرها ، تسر لسرورها ، وتتألم لالامها فكانما القيادة في مركز الابوة في اقصى سموها ، والقبيلة في مركز البنوة في اقصى طاعتها الفطرية .

سيما والقيادة حرة الى حد بعيد من « عرقلة التسلسل الاداري » المعاصر ، فمرسوم التعيين يعتمد ـ اساسيا ـ على ما للمرشح للقيادة من نفوذ متغلغل بين أحاسيس القبيلة ومشاعرها . وهذه لا تسود الا من يجوع لتشبع قبيلته ، ويعرى لتلبس قبيلته . ويذل لتعز قبيلته ، وكل انحراف عن هذا « الدستور » يهوى بالقيادة الى الدرك الاسفل ، ويصبح القائد في خبر كان ، ثم تتحول القيادة الى من هو أجدر بأمانة « دستور » القبيلة ، واذا بالسلطة المركزية تبارك للقيادة الجديدة ما وهبها الله من مشاعر وآراء تتفاعل مع أعضاء القبيلة فتصدر لها مرسوما تعتمد عليه الى المحافظة على امانة الدستر في اصدار اوامرها وتعاليمها باسم السلطة العليا للبلاد .

في مثل هذا « المناخ » تترعرع شجرة الحرية وتتلون أفنانها ومجالاتها ، وتخيم الهيبة على ءافاقها . وتنمو البطولة نموا سريعا في عرائنها وتتساند العزة في أبطالها ، وتتفتح براعم الجمال كما شاءت لها اهواؤها وامنياتها .

فلا تكاد الفتاة تتجاوز العقد الاول من عمرها حتى تبدو كأنها ابدع سطر خطته يد القدرة الالهية في لوح الوجود .

ولا يكاد صنوها يشرف على العقد الثاني من عمره حتى يبدو شبلا يسابق والده في مجالات البطولة والاقدام والراي السليم .

ذلك ان المناخ ، هو مناخ الانسجام التام بين الحاكم والمحكوم بصفة عامة وبين الحاكم ورؤساء الفصائل والبطون بصفة خاصة ، فالامن والثقة المتبادلة في أوج تكاملهما .

وحينما يخيم الامن وتتبادل الثقة الى حنكة خوض المعارك الهجومية والمضادة للخصوم والاعداء فان عزة النفس لا تستكمل قوتها فحسب ، ولكنها تتحفز باستمرار للذود عن حماها بمختلف الوسائل الكفيلة بالظفر والانتصار .

وهنالك عنصر آخر ضاعف من هـذه العـزة العجيبة بين « البوزكاويين » عموما وفي نفس القيادة رائدتهـم خصوصـا .

« فالبوزكاويون » يرفعون رؤوسهم عزة وفخرا بصهرهم مع المولى الحسن الاول بصفـة عامـة ، والقيادة اشد اعتزازا وفخرا بان فلذة كبدها مباشرة بين احضان الحسن الاول رضي الله عنـه بصفـة خاصـة .

واية قبيلة في شرق المغرب ــ حظيت بشرف الصهر الى عظيم من عظماء ملوك الشجرة العلويـة المباركة ، التي حازت قصب السبق على جميع من تقدمها من الاسر المالكة ! فما في هـذه من ملـك زمانيا وروحانيا ، مثل ما ملكت تلك ولما تزل ! ؟ .

فالقائد : « حمادة » البوزكاوي . وهبـه الله سلطة ممتدة الجذور ، فارعة الفروع الى مواهـب فطرية واخرى مناخية الى جاه المصاهرة الملكيـة ، فمن الصعب القريب من الاستحالة ان حوم احد حول حماه ، واحرى ان يعبث بحماه .

ولكنها الاقدار الالهية ابت الا ان تعجم عوده وتبلور مخبره وحنكته وتجس نبض رباطة جاشه وتمتحنـه باخطر صدمة في حياته ليعلم معاصروه من جديـد ــ اهو .. هو القائد « حمادة » البوزكاوي في احرج المواقف واوسعها سواء ، ام هو كما قيل أسد علي وفي الحروب نعامة ؟

نحن الآن في ظروف محنة قائدنـا البوزكاوي البطل في عام 1325 هـ وعلى مقربة ــ قبل او بعد ــ من سنة 1907 م و « أبو حمارة » يصول ويجول في شرق المغرب عامة ، وبانتصاره في معركة « ماجـن بخته » بني يزناسن على الجيش الحكومي برغم بطولة القائد الناجم الاخصاصي بصفة خاصة . واذا بالغرور يتملك « ابا حمارة » فيرسل الى قائدنـا حمـادة البوزكاوي البطل : « ان زوجني احدي بناتك » .

نزلت هذه الكلمات بقوة عاصفـة كبـرى على قائدنا البطل فما استطاع ان تسكن نفسه الى مكـان ما ، بفعل مفاعيل هذه الصاعقة التي لم يكن يتصورها خياله ! وكأني به وهو يخاطب نفسه ، ويل للشيطان المارد ، ابعد أن صرت صهرا لبطل من ابطال الملوك العلويين ، أصير صهرا لهذا العميل الخبيث الذي ما استأسد هنا الا بعامل مؤازرة الدخيل الاجنبي لـه ، حيث ربط نفسه قبل شق العصا في القطر الجزائري وبعامل انهيار الجيش الحكومي بترك الحبـل على الغارب من طرف الوزارة او الوزارات المسؤولة عنه مباشرة وتجاوز الجيش الحكومي حدود اختصاصه الذي افقده عامل القوات المتطوعه .

ويفكر القائد البطل .. ويفكر .. ويستشيـر ابنه القائد محمد وكل من حضره من مستشاريه عن راي سديد يواجه به هذه الكارثة ، ثم كأني به ــ وقد خفت ــ اثارا لصدمة وهو يخاطب نفسه . : « ان البطولة لا تكمن في امتشاق السلاح في وجه العدو ، والعزة ليست في انتفاخ الاوداج والخطب المسهبة بين الجدران الامنة ، ولا في كيل السباب والشتائم، ولكنها في اتخاذ القرارات الملائمة للمواقف الفجائية على الخصوص » . أن « أبا حمارة » صار صاحـب السلطة المطلقة في شرق المغرب ، حيث ساعدتـه الرياح ليتعنتر بين سفينة خيانته ، والعامل الاقليمي « الباشا بن كروم » فر من قصر سلطته امام قـوة الخائن « أبو حمارة » والجيش الحكومي في شغـل شاغل بنفسه ، فضلا عن أن ينجده في محنته ، فلقد بلغ الجوع من الجيش ، ان صار يتقوت بالحلـزون والقبائل ساخطة على الجيش الحكومي ، فيعثوه فيها، نفرها منه ، لا بعدم مساعدته فحسب ، بل بمقاتلته ، الامر الذي ضاعف من قوة الخائن الخبيث ! اذن .. لم يبق أمام قائدنا البطل الا ان يرضخ لامر الخائن حتى تهب الرياح المساعدة على تغيير الموقف .

فقرر ان يزوجه احدى بناته ، وما كاد يراهـا الملعون حتى نبهته حاشيته الى أن في بنات القائـد محمد ابن القائد حمادة من هـي في منتهـى روعة الحسن والبهاء ، واذا به يردها اي العـروس الى والدها ذليلة مقهورة وهي من سيدات قبيلتها الشهيرة في العز والبطولة ، ووالدها هو .. هو .. ، وحسـب اقليم شرق المغرب ان يذكر اسم القائـد حمـادة البوزكاوي فتنحني الاذقان ، ثم يزيد الخائن فيقـول له ــ بواسطة رسله ــ « انه يريد بنت ابنـه محمد الجميلة ، فكيف تزوجون السلطـان مولاي الحسن ما يحب ، وتزوجونه هو ما يكره » ؟ !

آه كم تمنيت أن اكون حاضرا مع هذا القائـد البطل ، لاتبين في وجهه المهاب وقامته الضخمـة ءايات الغضب في منتهى ثوراته وهـو يرى بنتـه

كسيرة ذايلة ، والخائن يفرض عليه الزواج بابنة ابنه محمد .

الحقيقة : ان لا احد يستطيع ان يتصور ما انتاب قائدنا من غضب لعزته وكرامته ، وكأني اسمعه يصيح في غضب متناه وهو يقول : ما ذا تؤل اليه شهرتي في شرق المغرب اذا ما رضخت الى امر هذا اللعين ؟ لا ريب ان لا يبقى لحمادة البطل وا اسفاه الا هيكل اجدر بالسخرية والاهانة ، وان يتردد اسمه بين الالسنة مقرونا باللعنات والشتائم ، ثم يصيح لا .. والف لا ، الموت افضل من هذه الحياة الذليلة ، انني لما أزل احتفظ ببطولتي وعزتي وعلى مستوى مواهبي الفطرية والمكتسبة ، ومعي ابطال طالما خضت بهم المعارك الحمراء والمغامرات الخطيرة .. لا .. والف لا .. والله ان ارضخ لهذا الخبيث ابدا .

اخذت محطات مواهب قائدنا البطل تفرز الافكار والخواطر الملونة لمجابهة هذه الكارثة الاولى من نوعها في حياته ، وفي سرعة عجيبة ، بدا البطل يضحك تارة ، ويتجهم اخرى ، واذا به يقول لنفسه هذا هو الحق ... لا يفل الحديد الا الحديد ، لقد عشت عزيزا ، فيجب ان استمر كذلك ، او اتجرع كاس الحمام دهاقا ، واتركها مأثرة للاجيال ...

لكن خاطرا مغايرا لكل خواطره هتف فيه : قائلا : هل تذكر انك سيد قومك ؟ هل تذكر انك ملتزم بدستور تقليدي في قومك ؟ اياك ، والف اياك ان تكون غير قومك ، فتتدخل لنفسك ما يكون على حساب قومك ، ان اي قرار انتقامي يجب ان يدخل قومك في حسابه ، هزته هذه الخواطر هزا عنيفا،حتى كادت نفسه ان تنهار ، فاخذ يعبر بيته جيئة وذهابا ، وهو يحلل تصميمه الخطير تحليلا دقيقا حتى لا تبقى فيه اية ثغرة تهوى بكرامته ولو الى دركة واحدة .

لك الله ايها القائد البطل في هذه الكارثة النازلة بك دون سابق تجربة بمثلها ، وعليك بالتعقل على غير حساب عزتك ، فان امثالك ما سادوا الا بقوة رباطة جاشهم عند الصدمة الاولى ، هكذا كان خاطر آخر من احدى زوايا قلبه يناجيه .

فاضطرب البطل اضطرابا غير معهود فيه وانتفض انتفاضة غريبة وبعد هنيهة صاح قائلا :

لزاما ان انفذ تصميمي ولكن بانذار مستشاري حتى لا اتخلى ولو قيد انملة عن كرامة قومي الذين ما تخلوا عني .. ولا تخليت عنهم في احلك الظروف .. واحرج المواقف .

وفي الحين ارسل الى الخبيث (أبي حمارة) قائلا : ان مولاي الحسن ارسل من عريفاته ووزرائه من اختار له ، فارسل انت من يختار لك من عريفاتك مع وزرائك .

الخبيث في نشوة الانتصار تتحكم فيه كيف شاءت ولم يكن يعرف ان ظروف نشوة الانتصار اخطر على صاحبها من الدنيا كلها لو كانت له عدوة للدود! . انه منذ عقلت الانسانية ونشوة الانتصار تتسبب في كوارث مختلفة الاشباه والالوان .

لو كان السفاك اللئيم في مستوى عقلاء الثوار لقلب الامر على جميع وجوهه قبل ان يتخذ اية خطوة للاقتراب من اي « موتور » على الاقل ، فضلا عن ان يقترب من صهر بطل ملوك التاريخ ، ولكن متى اراد الله امرا هيا له اسبابه ، ومتى نزل القدر بطل الحذر، وما هو بأول ضحايا الغرور في الاولين .

على ان تلبية « امره » اولا من طرف القائد البطل كان لها وزن كبير الاسترسال في العبث بكرامات البطولات وعزتها دون ان يشعر بالمثل : « ما كل يوم تسلم الجرة » بل انه كان يعد مصاهرته لبطلنا تنازلا منه وتكرما ، فهو بانتصاره في معركة « ماجن بختة » تفتحت أمامه آفاق .. وآفاق .. واولها انه اصبح على قاب قوسين من مقاعد الملوك .

وفعلا ارسل رسله الى اهالي تازا – مع الاموال وعشرات الرؤوس معلنا لهم قرب يوم الاحتفال « بتاج العرش » .

فما كان يدغدغه من أحلام نسج بينه وبين التبصر الف حجاب وحجاب .

وتلك سنة الله في المساقين الى الخزي والعار منذ غابر الاحقاب ولن يزالوا كذلك الى ابد الآبدين ، ودهر الداهرين .

كان بطل المعارك ونجم المواقف الخالدة في مدلهم الحوالك .. القائد الناجم الاخصاصي لما يزل مع زملائه نخبة البطولة المغربية مع الجيش الحكومي

في مدينة « ابن عطية » فأرسل اليهم بطلنا ان يبعثوا اليه مائة من البغال ومعها من يقوم بشأنها ومعهم جميع ما يحتاجون اليه من مرافق .

لو كانت « لنجم المواقف الخالدة » طاقات في المستوى لنصرة بطلنا ، لما تردد لحظة واحدة في ان يحيط قصر القائد البوزكاوي بجحافل من قوته فرسانا وركبانا لتلافي اي خطر يأتيه من « ملعون الله والتاريخ » ، فالمسافة بين وجدة وبين قصر بطلنا تستطيع القوة ان تقطعها في يوم وليلة ، وهنالك قد يفتح الله بين فريق النضال الحق والفريق المتهالك على العتو والفساد والله خير الفاتحين .

ومن اين لبطل المعارك ونجم المواقف الخالدة في مدلهم الحوالك بالقوة في مستوى الاحداث ، وهو وزملاؤه وجيشهم قد اهملوا كل الاهمال من طرف المسؤولين رؤسائهم ، حتى البستهم معركة « ماجن بختتة » لباس هزيمة لم يتقدم اشنع منها على الجيش الحكومي أثناء اشتباكه مع عصابة ملعون الله والتاريخ، بل ان الجيش الحكومي اثر هذه الهزيمة اخذ يقتات بالحلزون على حد رواية القائد الناجم ، لذلك ما وسع قادة الجيش الحكومي الا ان يلبوا مطالب قائدنا البوزكاوي البطل سيما وقد كان قادة الجيش في حاجة ماسة الى ان يكون بطلنا من بين ظهرانهم حيث القالات متواصلة عن احتمال الغزو الفرنسي لشرق المغرب كبداية للغزو العام للمغرب الاقصى .

ان قائدنا البطل كان متيقنا من تلبية الجيش الحكومي لمطالبه في اليوم المعين من جهة ، ومتيقنا من ان « الخبيث » سيرسل « خطابه » على عجل من جهة ثانية ، ولذلك جمع اليه ابطالا من قومه ، واعطى لهم تعاليم مضبوطة حينما تدق ساعة تنفيذ « تصميمه » . واعلان الاشعار بالشروع في تنفيذ تصميمه يكون بطلقات نارية .

وفي الموعد المضبوط ، وصل الى القصر القيادي سبعون رجلا من كبار قواد جيش الصهر الجديد ، والقائد حمادة البوزكاوي كأمثاله من ابطال المواقف الخطيرة اعتاد الابتسامات المشرقة في احرج الاحيان كابتساماته في أوقات السلام والامن والامان ، ولعل البطولة الانسانية وهبها الله هذه الخصلة ليضفي عليها غموضا يدعم أسرار القيادة والبطولة في مختلف مراحلها ، فالغموض في ذوي المواهب الخاصة يلبسهم اردية المهابة التي هي من اخص ضروريات قيادة القبائل والشعوب ، والامم .

فما ان استقبل السبعين رجلا « حتى لمعت ابتسامات الترحاب والرضى » ، والسبعون رجلا كانوا « كسيدهم » لا يحفظون بيت المتنبي :

« اذا رايت نيوب الليث باسمة
فلا تظنن ان الليث يبتسم »

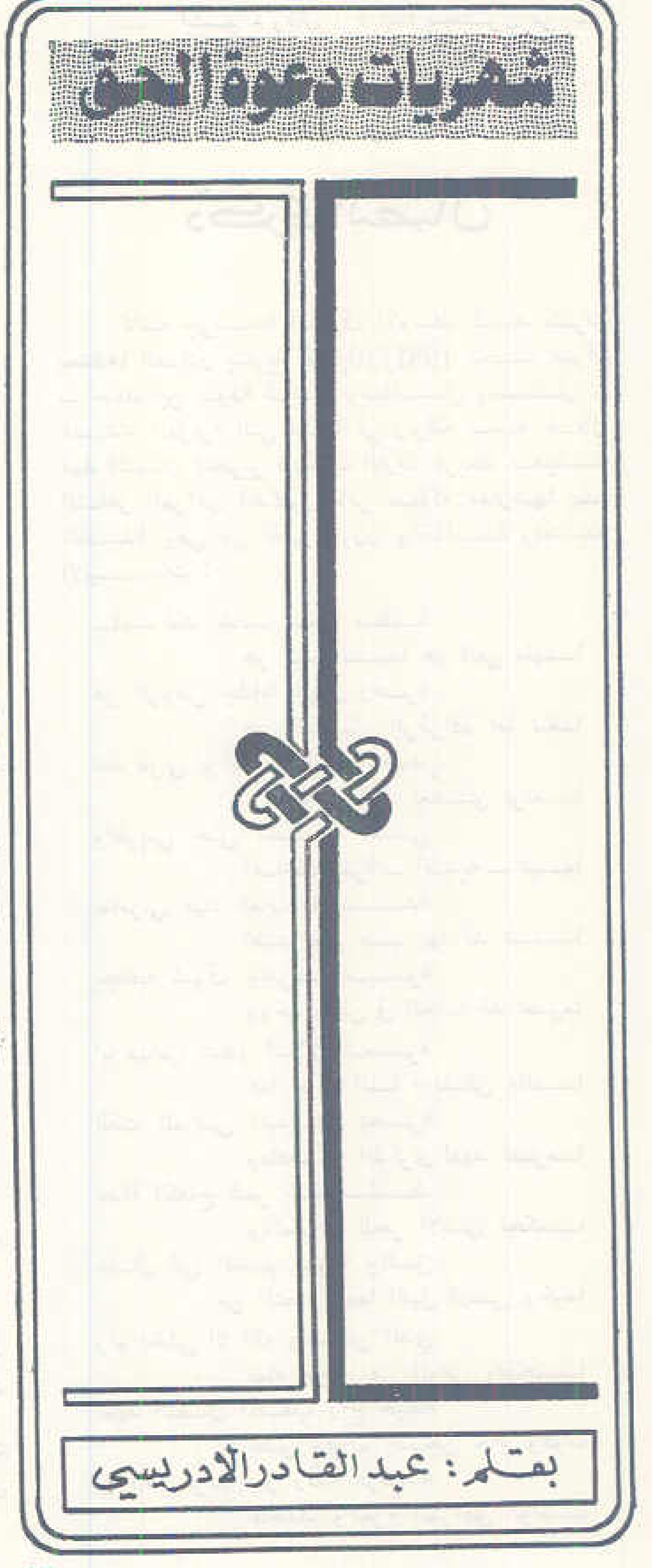
وكانوا كسيدهم يجهلون ابتسامة وترحاب الرشيد لجعفر البرمكي في الساعة الاخيرة من ايام حياته .

فالرجال السبعون كانوا في زهو واختيال سرورا بتادية هذه المهمة لسيدهم « القزم » « فادخل بطلنا كبار القواد » الى منزله الخاص ، وفرق غيرهم على اخوانه بعدما حاز منهم الاسلحة التي كانت بأيديهم ، وفي المساء اخرج لكل واحد من القواد كسوة تامة اكراما لسيادتهم وقال لهم : ليدخل كل واحد الى الحمام ثم يلبس الكسوة وهو نظيف ، وهيا جماعة من عبيده داخل الحمام . فكل من دخل ذبحوه .

وبعد فراغه من كبار القواد بارسالهم الى نهاية مصير الحياة شفع ذلك بطلقات نارية فذبح اخوانه سائر من بقي من السبعين رجلا ، الا اثنين منهم تحصنوا بما بقي لهما من ايام في هذه الحياة .

وبين السكون المطبق على القصر وما حوله ، تلفع قائدنا البطل برداء الليل البهيم وولى وجهته شطر عاصمة « ابن عطية » منقذا حريمه من الاهانة بعد أن عاشت العروس في ليلة مليئة بالدماء ، فتطايرت انباء القصة بين ءافاق شرق المغرب فاصبحت حديث المجالس ، بينما تعرض البطل عيسى اليزناسني الوريمشي التكاوي في جماعة لرسل الملعون الى تازا ، فقتلوا منهم بضعة اشخاص ، وهرب من هرب ، وتحرر الاسارى والرؤوس ، وغنمت الاموال ، فجن جنون الخائن ، فقام بحماقات ادت به الى نقل قوته الى « سلوان » وهنالك كان له بالمرصاد بطل الريف الاول سيدي محمد أمزيان فتطهرت عاصمة ابن عطية وما حولها من أدرانه ، فبقيت الاحداث في صدر التاريخ الى ان حان أوان بروزها ، ولله في خلقه شؤون .

قدور الورطاسي



من شعر الكفاح الوطني

●● اسهم الادباء والشعراء المغاربة بحظ وافر في المعركة الوطنية الكبرى دفاعا عن حرية واستقلال المغرب . وكان معظم قادة هذه المعركة شعراء وكتابا وعلماء لهم عطاؤهم المتميز وحضورهم الادبي والعلمي الذي لا ينكر .

وقد أجرت الصفحة الادبية بجريدة (الشرق الاوسط) حديثا مع الاستاذ احمد بن سودة مستشار صاحب الجلالة أورد فيه قصيدة من عيون الشعر المغربي ابان عهود الكفاح الوطني .

وقد قدم الاستاذ ابن سودة قصيدته بكلمة قال فيها :

« كانت كل الاوقات التي قضيتها في العمل الوطني ، دافعا وحافزا لان اعبر عن مشاعري تارة بالمقال وتارة بالشعر ... ولئن كنت بدات الشعر وسني لا يتجاوز 13 سنة ، فانني توقفت عن قول الشعر عندما وصلت الى سن العشرين ... ذلك انني عندما كنت في السجن وانقطعت اخباري عن اسرتي ، ماتت امي كمدا فنظمت قصيدة سميتها : « وادي الموت » والتزمت الا اقول شعرا ، وقلت : لندع الاشعار الآن ، ولنكافح حتى نحقق الاستقلال .

قبل العشرين حكم علي بالسجن وكانت ليلة مقمرة ، ودخل القمر الى زنزانتي .. فقلت هذه الابيات :

مضت جنة الايام يا قمر السما
وأصبح هذا الكون سجنا مؤلما
فيا بدر سامرني فقد بت ساهرا
فهل بعلا الافلاك عقل تنعما
اجبني وحدثني فقد عشت قبلنا
وشاهدت ميلادا وعرسا ومأتما
تطورت في كل العصور ملاحظا
وعاصرت طه والمسيح ابن مريما
شعاعك قد غذى العقول معانيا
وأوحى لها سر الجمال المنظما
فهل في ليالي السجن ترحم شاديا
على حاله ناح الحمام وترجما

فقد عاش يشكو من زمان معاكس
يقدس من دار وخان واجرما
وساد بني الانسان كفر وفتنة
وكلهمو للقرش يخضع مسلما
سبحت على بحر الحياة من الصبا
فما لمحت عيني فؤادا منعما
فلا كبد في الارض الا تحسرت
ولا شاعر بالحزن الا ترنما
تكافحنا الايام من غير فطنة
وقد قهرت منا الحكيم المعظما
الا هل شقاوات العقول تحتمت
وحظ جميع الخلق يلمع كالدمى
سعدت بلا عقل صغيرا وان أحر
حكيما قديرا اصبح الكون مظلما

والقصيدة طويلة ، اقول في ختامها :

نحاول اصلاح البلاد بحكمة
فتطعمني بالدس صابا وعلقما
سيقت رياض الشعب أقدس دمعة
وحاولت تقويم الذي قد تحطما
اذا عطشت ارضي وغار معينها
سقيت بتيها من فؤادي عندما
فيا بدر فاشهد قد حييت مكافحا
وان سلسلوا جسمي وبت ملجما
لقد ضربوا جسمي الضعيف وبانيه
وبت غريقا في بحار من الدما
وقد سبني من لا اريده خادما
وحاكمني من لا يروق مكلما
فها انا ارجو ان اموت مجاهدا
كفاني لقاء الله فوزا ومغنما
فما وطني الا العوالم كلها
لئن انكرتني الارض تعرفني السما

— وقلت له : « وما ذا حدث بعد هذه القصيدة » ؟ !

— قال : « بقيت داخل الزنزانة ستة أشهر وواحدا وعشرين يوما لا اخرج الا بضع دقائق لتغيير الماء » .. !

— قلت له : « كنت دائما انظر اليك كأنك « سر مطلسم » .. الى ان عرفتك شاعرا قريبا الى القلب .. » .

— ابتسم ، وقال : « أبدا يبحثون عن سر نفسي فاريكم حقيقتي فاتيب ! » .

* * *

ذكرى النضال

كانت جريدة الشرق الاوسط قد نشرت بعددها الصادر بتاريخ 1981/10/27 تحت عنوان — احمد ابن سودة شاعر ومناضل ومستشار — قصيدته المؤثرة التي نظمها في زنزانة سجنه خلال عهد النضال لتحرير المغرب أثارت قريحة صديقه الشاعر العراقي الدكتور باقر سماكة فعارضها بهذه القصيدة وهي من نفس الوزن والقافية وبعدد الابيات :

سلمت لقد ابدعت شعرا منظما
هو الدر تنسيقا هو الفن ملهما
هو الروض جذابا بالوان زهره
هو السلسل الرقراق اما تنغما
لقد هزني لم ادر هل انت (احمد)
ترنمت أم طير بغصن ترنما
واطربني حتى تخيلت انني
اضاحك ثغرا — افديه — تبسما
تغامزني عينا كعاب خريدة
اطلت على صب بها قد تتيما
يجاذبه شوق وتغريه صبوة
ووجد دفين في الحشا قد تضرما
ايا شاعرا شدو البلابل شعره
كما هزني انا ، تشكى فالما
تلفت للماضي البعيد بحسرة
وعادت به الذكرى لعهد تصرما
غداة الكفاح المر ضد مسلط
وبالمغرب الحر الابي تحكما
فصال ابي الضيم صولة واثق
من النصر مهما الليل ارسى وخيما
ولم يخش الا الله والموطن الذي
نماه فجلى في الوغى وتقحما
لعهد النضال الصعب راح خياله
يطير وفوق السجن حام وهوما
به بات فردا غير رفقة عزمه
فاحمد والعزم المرافق توأما

وناجى بشعر يعجز الوصف وقعه
ـ بزنزانة ـ بدرا منيرا وانجما
(فيا بدر سامرني فقد بت ساهرا
فهل بعلا الافلاك عقل تنعمـــا)
أعدت لنا يا (أحمد) المغرب الذي
طلعت علينا بالقريض الذي سما
أبا الطيب الفذ المجنح (أحمدا)
من الكوفة الحمراء ، لله انتمـــا
فيا أيها الندب الذي طيب ذكره
يفوح ومن أغنى النضال واسهما
الست الذي تضفي أياديك انعما
الست الذي تولي الجميل تكرما ؟؟
فخذها الى علياك أهدي قصيدة
عراقية أصلا وشكلا ومبسمـــا
وبوركت يا من قلت اروع قولـــة
(لئن انكرتني الارض تعرفني السما)

الدكتور باقــر سماكـــة

الشيخ محمد الشاذلي النيفر

●● انست (دعوة الحق) بزيارة كريمـــة مـــن فضيلة الشيخ العلامة السيد محمد الشاذلي النيفر عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية ، حيث جرى حديث ودي عن دور هـــذه المجلة في ربط الصلات بين مفكري وعلماء الاقطـــار العربية والاسلامية ، وكان فضيلته برفقة استاذنـــا العلامة السيد محمد المنوني .

وتدخل زيارة الشيخ النيفر الى المغـــرب في اطار مشاركته في اجتماع المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الاسلامية ، الذي عقد بالرباط خلال الايام القليلة الماضية وترأسه الاستاذ محمد الفاسي رئيس الرابطـــــة .

وقد أهدى الشيخ محمد الشاذلي النيفـــر الى مكتبة (دعوة الحق) نسخة من الكتاب الجديد الذي حققه . وهو قطعة من (موطأ الامام مالك) بروايـــة ابن زياد . وقد قدم هذا التحقيق فضيلة الشيـــخ عبد الله بن ابراهيم الانصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر وطبع على نفقة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر وصدر عن دار الغرب الاسلامي ببيروت ، في طبعته الثالثة .

ومن المعروف أن موطأ ابن زياد اول تأليف في الاسلام ثم هو أول تأليف ظهر بافريقية واول روايـــة للموطأ ظهرت على وجه الارض . ولذلك فان قيمة هذا الاثر ـ الذي فرغ له الشيخ النيفر واخرجه للناس محققا تحقيقا علميا دقيقا ـ بالغـــة الاثر ●●

من الهند المسلمة

●● يزدهر علم الحديث في الهند ازدهارا ملحوظا ، وتتنوع الدراسات المتخصصة في هـــذا الفرع من فروع العلم بصورة تدعو للفخر والاعتزاز . ولا احد ينكر جهود علماء الاسلام في الهند في نشر أمهات كتب الحديث والتفسير والفقه والاصـــول والمصنفات ذات النفس العالي . ولحكمة ارادها الله جلت قدرته نما هذا العلم في تلك الديار الاسلاميـــة نموا تترابط حلقاته وتتواصل مراحله منـــذ فتـــرة طويلــــــة .

وقد تلقت (دعوة الحق) هدية كريمة من ادارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية بنارس ، الهند ، تنم عن سعة النشاط العلمي الـــذي تضطلع به هذه الجامعة . وهي عبارة عن مجموعة من الكتب الدينية القيمة من مطبوعات الجامعة :

ـــ حصول المأمول من علم الاصول تأليـــف الامام العلامة النواب صديق حسن خان رحمه الله . (1248 ـ 1307 هـ) . قام بالاختيار والتعليـــق عليه مقتدى حسن الاعظمي . ويقع في 152 صفحـــة من الحجم الصغير ـ الطبعة الاولى عام 1972 .

ـــ حركة الانطلاق الفكري وجهـــود الشاه ولي الله في التجديد للعلامة محمد اسماعيل السلفي رحمه الله . (1900 ـ 1968) . تعريب الدكتـــور مقتدى حسن الازهري . الطبعة الاولى عـــام 1977 ،

وتقديم العلامة عبيد الله الرحمان رئيس الجامعة السلفية . ويقع في 304 صفحة من القطع المتوسط.

ــ حياة المحدث شمس الحق واعماله تاليف محمد عزيز السلفي . الطبعة الاولى عام 1979 . تقديم مقتدى حسن الازهري . ويقع في 348 صفحة من الحجم المتوسط .

ــ جهود اهل الحديث في خدمة القرءان الكريم تاليف عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي . الطبعة الاولى سنة 1980 ، ويقع في 64 صفحة من الحجم المتوسط .

ــ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة تاليف عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي ، ويقع في 166 صفحة من الحجم المتوسط . الطبعة الاولى عام 1980 .

وتعتبر ادارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية بمدينة بنارس ــ الهند ، من مؤسسات النشر والتاليف النشيطة . فقد انشئت تلبية لحاجة العصر الى الادب الصالح الهادف والمؤلفات النافعة التي تساعد الامة في التمسك بالدين والاخلاق وترشد الشباب الى معرفة مسؤوليتهم واداء واجبهم نحو الامة والمجتمع الانساني كله ، وتزودهم بثقافة واسعة ووعي اسلامي قوي حتى يقوموا بدورهم المنشود في العصر الحاضر .

ومن اهم ما قامت به هذه الادارة لتحقيق اهدافها العليا أنها طبعت (مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح) وتصدر مجلة باسم (مجلة الجامعة السلفية) باللغة العربية . وأمام الادارة مشروعات مهمة اخرى للتاليف والترجمة .

هذا وقد ارفقت الجامعة السلفية هديتها الكريمة برسالة هذا نصها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فاتشرف باحاطة حضرتكم علما بأن مجلة دعوة الحق الموقرة تصل الى الجامعة السلفية بانتظام واستمرار، وهي مقبولة لدى المدرسين والطلاب في الجامعة ، فكلهم يحبونها ويحرصون على قراءتها فور وصولها ، ويتمنون للعاملين فيها اجرا جزيلا عند الله وسعادة دائمة في الدنيا والآخر .

ومع هذا الخطاب أرسل الى حضرتكم بعض مطبوعات الجامعة ، راجيا التكرم بنشر الموجز عنها في ركن (شهريات الفكر والثقافة) في المجلة .

واشكركم على جهودكم الطيبة لخدمة الاسلام والعلم ، واتمنى لكم كل السعادة والتوفيق . رعاكم الله تعالى ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(مقتدا حسن محمد ياسين)

وكيل الجامعة السلفية ، بنارس ــ الهند

في الثقافة والادب

●● اعاد الاستاذ عبد الكريم غلاب نشر كتابه (في الثقافة والادب) . وكتب كلمة تصدير للطبعة الثانية جاء فيها :

« قدمت هذا الكتاب للقراء في طبعته الاولى سنة 1964 وقد نفد الكتاب في سنته الاولى رغم ظروف التثقف والقراءة بالمغرب آنذاك . ورغم التقدير الذي حظي به الكتاب من جمهور المثقفين والمنافسات التي ما تزال تتناوله بالدرس ، فقد اهملت اعادة طبعه ، لا لقلة ثقتي فيه ، ولكن لاني كنت اعتبر ان تقديم كتاب اهم من اعادة طبع كتاب قديم .

اقنعني بالعدول عن هذه الفكرة وباعادة الطبع أن الافكار والنظريات التي ادليت بها في الثقافة والادب ما تزال تنبض بالحياة ، وما تزال قابلة للدرس والبحث والمناقشة .

ثم اقنعني بضرورة طبعه طبعة ثانية ان الجيل الجديد من المثقفين والادباء يتابعون بحماس كل ما يصدر عن المطبعة المغربية لثقتهم في الثقافة العربية ، ولايمانهم بأن الصلة يجب ان تبقى بين مراحل النهضة الفكرية في المغرب ، وبان ما قد يضيفونه ــ واقلامهم تتحرك لتثري المكتبة المغربية ــ يجب ان يكون حلقة من سلسلة طويلة اعتبر ان هذا الكتاب كان احدهم .

ثم اقنعني ايضا بهذه الطبعة أن موضوعات هذا الكتاب كانت حرية ان تنمي وتثري باضافات جديدة ، ويخيل الي ان ما لم يحققه نشر الكتاب في الستينات من هذه التنمية والاثراء ، قد يحققه في الثمانينات بعد ان اتسعت دائرة المعرفة والبحث ، وتكون في المغرب مجموعة من المثقفين لم يغرقوا في الثقافة السطحية بمقدار ما يهمهم أن يعمقوا تفكيرهم وان يناقشوا افكارا اساسية في الثقافة والادب .

عدت الى الكتاب وانا اضع على نفسي هذا السؤال :

ـ هل ما تزال به جدة ؟

اجبت بعد مراجعة عامة :

ـ لو لم اكتبه في الستينات لكنت حريا ان اكتبه في الثمانينات .

الكتاب اذن جديد قديم . قد يتفق معي كل القراء على كل ما جاء فيه من نظريات وآراء عن الثقافة والادب ، وقد يختلفون وفي رأيي ان الكتاب الناجح هو الذي تختلف حوله الآراء . فليس هناك شيء نهائي في الثقافة ولا في الادب . ومع ذلك فانا حريص على أن اتبنى كل القيم الاساسية التي اعتمدتها في هذه الفصول بمقدار ما انا حريص على أن اغير وجهة نظري اذا ما اقنعني الاخرون بنظريات أو آراء او حتى قيم اخرى .

اعتبر طبع هذا الكتاب من جديد مساهمة ـ شبه جديدة ـ في اثارة قضايا ما تزال تثير جدلا وتغرى بالمناقشة .

الى الجيل الجديد اقدم هذه القضايا . ومنه انتظر ان يتعامل مع هذا الكتاب بنفس روح الحرية التي كتب بها » .

وكان الاستاذ الكبير محمد الفاسي قد كتب مقدمة هذا الكتاب . وقد نفدت نسخ الطبعة الاولى منذ سنوات . ولا شك أن اعادة طبع مثل هذه الكتب الادبية الجادة من شأنه أن يثري حياتنا الفكرية ويبقي على استمرار التواصل الثقافي بين الاجيال .

الذكرى العاشرة لوفاة الكاتب الاسلامي علي أحمد باكثير

●● لعله من قبيل العقوق ونكران الجميل تجاهل كاتب اسلامي كبير وقمة من قمم المسرح الاسلامي المعاصر . فلقد اصبح في حكم المؤكد ان الاجيال الجديدة تكاد تجهل الاستاذ علي احمد باكثير الذي أثرى المكتبة الادبية العربية بروائعه الخالدة وعانى ما كتب له ان يعاني من مكابدة ومشقة لاصالته وتمسكه بقيم دينه ورفضه السير في ركاب الادب المزيف .

وبمناسبة حلول الذكرى العاشرة لوفاة هذا الكاتب الفذ ننشر كلمة كتبها الكاتب الفلسطيني الدكتور كامل السوافيري في جريدة (البلاد) السعودية :

** بعد أسابيع تحل الذكرى العاشرة لرحيل الكاتب والاديب العربي المسلم الموهوب علي أحمد باكثير الذي انحدر من أرومة عربية أصيلة ومن ابوين كريمين من إبناء حضرموت . وقد عرفته بعد تخرجي في دار العلوم ، وتخرجه في كلية الاداب بجامعة القاهرة حيث التقينا كتابا على صفحات مجلة الرسالة التي كان يصدرها الاستاذ أحمد حسن الزيات ، والتي كان يعني نشر كلمة فيها لاى كاتب كونه نجما لامعا في سماء الادب ، وكوكبا مشرقا في افق الفكر ، وللرسالة الفضل الاكبر في الشهرة التي ذاعت لكتابها في ارجاء الوطن العربي والاسلامي . وضمتني مع باكثير ندوات الادب ، وحلقات الفكر في الاوبرا حين كان ينتظم عقدنا ويشهد الحلقة من اعلام الادب غيري وغير باكثير السادة : عبد الحميد جوده السحار وانور المعداوي والدكتور عبد القادر القط . وغيرهم مما لا تعي الذاكرة اسماءهم .

وتوثقت بيني وبين باكثير أواصر الاخاء روابط المودة ، فقد جمعت بيننا اولا الغربة حيث كنا غريبين في القاهرة ، وفدت انا اليها من فلسطين المجاهدة ، ووفد هو اليها من حضرموت لننهل العلم ونرتشف المعرفة . وسبب ثان وثق روابط الاخاء بيننا وهو أنه سبق الادباء العرب في تقديم أول عمل فني عن فلسطين سنة 1944 حتى أصدر مسرحيته (شيلوك الجديد) لافتا أنظار المسلمين في العالم الاسلامي والعرب في الوطن العربي الى ما يمثله تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين تحت حراب الجيش البريطاني من خطر محقق على عرب فلسطين أولا وعرب الاقطار العربية المجاورة ثانيا وعلى المقدسات الاسلامية ثالثا ، وقد التقت وجهة نظره مع وجهة نظري في أن قضية فلسطين قضية اسلامية الى جانب كونها قضية عربية .

وكان علي باكثير من القلة التي حباها الله ببعد النظر فاحست بالخطر اليهودي وحذرت منه ، ودعت الى استئصاله قبل ان يتفاقم خطره ، ويستفحل شره .

وابتداء من سنة 1949 الى 1969 وفي غضون عشرين عاما لمست في علي أحمد باكثير خلق المسلم ، ونخوة العربي ، وتواضع العالم ، ووفاء الصديق ، واخلاص الاخ ، وتجلت لي خلاله وشمائله الكريمة من صدق في القول ونقاء في القلب وعفة في اللسان ، وهدوء او رغبة في العزلة .

وتعاقبت الاعوام وكلانا يسلك السبيل التي اختارها لنفسه في الحياة حيث كان هو مدرسا للغة الانجليزية أولا في مدينة المنصورة التي قال فيها الاستاذ الزيات بلد المال والجمال والشعر . وثانيا في القاهرة ، وكنت انا مدرسا للغة العربية في مدارس القاهرة الثانوية ، واتجهنا هو وانا للكتابة الادبية في الفن الذي يروق لكل واحد منا ، فاخترت انا المقالة الادبية والتاريخية والبحث ، وكانت الابحاث والدراسات النقدية لدواوين الشعر وكتب الادب تمثل أكثر ما كتبت . واختار هو الفن القصصي ممثلا في الرواية والمسرحية التي استلهم فيها الامجاد الاسلامية والبطولات العربية ، واستوحى الجوانب المشرقة المضيئة من تاريخنا ، واصدر في هذا المجال ما يزيد على اربعين قصة ورواية ومسرحية تناولت أبطالنا وتاريخنا المجيد واعلامنا الذين خلدتهم اعمالهم . والثورة على المستعمرين وأعداء العروبة والاسلام ، واذكر منها على سبيل المثال : (شيلوك الجديد) (واسلاماه) وسيرة شجاع (سر الحاكم بأمر الله) ولم أتناول بالنقد من مسرحياته الا مسرحية (شعب الله المختار) ومما قلته يومئذ : اذا كان نجاح الكاتب رهنا بتحقيق الغاية التي يريدها فاننا نقرر مطمئنين نجاح المؤلف في الوصول الى هدفه ، (وشعب الله المختار) ملهاة سياسية في أربعة فصول عالج فيها المؤلف ازدواج العقيدة في نفوس الاسرائيليين الذين يشعرون انهم شعب الله المختار ! وانهم افضل امم العالم . ويعني المؤلف بازدواج العقيدة شطر ولاء كل اسرائيل شطرين ، شطر للبلد الذي يعيش فيه ، وينعم بخيراته ، وشطر لاسرائيل التي يهيم بحبها ويقدم من أجلها كل ما يملك ، فالاسرائيلي في انجلترا يقسم ولاءه بين بريطانيا وبين اسرائيل ، فاذا تعارضت المصلحتان تنكر لبريطانيا وخانها من أجل اسرائيل ، وهذا هو المحور الذي تدور حوله المسرحية .

وظهر في المسرحية عمق دراسة المؤلف للعقلية الصهيونية والنفسية اليهودية التي لا تحفل بالقيم الدينية او المبادىء

الخلقية في سبيل الوصول الى اغراضها ومقاصدها وتتخذ المال اليها يعبد وتسلك كل السبل التي ياباها الدين للحصول عليه .

كما ابرز الكاتب الصراع الحاد بين الطبقات في اسرائيل ، فيهود الغرب القادمون من بريطانيا وفرنسا واوروبا الوسطى يحتقرون يهود الشرق القادمين من مصر والعراق واليمن والمغرب ويرمونهم بالتاخر والتخلف ويرون انهم في منزلة اقل حضارة وفكرا والعجب ان علي باكثير من مسرحيته هذه توقع انهيار اسرائيل من الداخل ، فهل تحقق الايام ما توقعه ؟

ولان علي احمد باكثير يمثل الاتجاه الاسلامي العربي في قصصه ورواياته ومسرحياته ، وكان يتحدث عن اسرائيل وما يشوبها من امراض داخلية تدفع لتمزقها ولانه كان يحارب الانحراف ، لم تنل مسرحياته ما تستحقه من رعاية واهتمام لان المشرفين على المسرح يومئذ كانوا من ذوي الاتجاهات والميول المناهضة للاتجاه الاسلامي .

لم ينل باكثير حقه المادي والادبي في حياته ، ولم ياخذ حقه كمؤلفا مسرحيا مشهورا ، وكاتبا روائيا ممتازا ، حتى مسرحياته التي تحولت الى افلام تعرض في دور الخيالة لم ياخذ عليها المكافات المجزية العادلة .

ولطالما طوى جوانحه على الاسى والالم ، ولطالما كظم وكتم عن الناس عذابه النفسي ، ولعل ذلك يفسر لنا مسحة الحزن التي كانت ترتسم على وجهه ، وسحابة الاسى التي كانت تخيم عليه .

وما اقسى الالم على نفس الحر وهو يشعر بأن حقه قد هضم وان الغبن والحيف قد وقع عليه ، وانه حاول جاهدا ان يقاوم ما لحقه من غبن فلم يستطع .

من أدب الإخوانيات

●● كان الاستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي قد بعث بقصائد تهنئة الى بعض السادة العلماء بمناسبة تعيينهم من طرف مولانا جلالة الملك نصره الله رؤساء للمجالس العلمية ، وقد تلقى الشاعر الفاضل بردود هي نماذج ادبية تدخل في باب (ادب الاخوانيات) . ونحن ننشرها بتصرف :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة في 25 رمضان 1401

حضرة الاخ الاستاذ سيدي محمد العلمي دام حفظه

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد ، فقد حليت بقصيدتكم العصماء ، بل بدرتكم اليتيمة في غرض التهنئة بتجديد رياسة المجلس العلمي بطنجة ، والتعبير عن مشاعركم الطيبة التي املتها اريحيتكم وحسن ظنكم باخيكم في الله ، يهنيكم بخير الدارين ويجزيكم عن الاعتناء احسن الجزاء . وانتم تعلمون ان هذه مسؤولية كبيرة نرجو الله ان يعيننا على النهوض بها حتى تبرا ذمتنا من تبعتها امام الله والعباد . فالعاملون قليل ، والمخلصون اقل ، والشر مستطير ، والنفوس اليه اميل ، ولا نملك الا ان نقول ، والله المستعان .

واسمحوا لي ان قصرت في شكركم . فالقريحة قد خمدت منذ زمان ، وان كان ما لا يدرك كله ، لا يترك كله . فهذا جهد المقل ، وعساه ان يحظى منكم بالقبول :

اديب ذو افانين ... تارج كالرياحين
وذو حسب ، وذو نسب ، ... من الفر الميامين
له في الشعر عارضة ... شاى فيها ابن زيدون
واحسان ، وابداع ... بشكل او بمضمون
أتتني منه مالكة ... كتاج من بلايين
كعقد من يواقيت ... كنافجة من دارين
جزاه الله عارفة ، ... جزاء غير ممنون
وابقاه ، وارقاه ... لذرى عز وتمكين

هذا ، وقد دفعت بالقصيدتين (الخاصة بي اولا ، وبالاستاذ الحاج أحمد بنشقرون ثانيا) للنشر ، وشكرا شكرا ، وخلودا وذكرا لعبقريتكم الفذة ، وانتاجكم الفريد ، مع خالص التحية وصادق التقدير ، والسلام .

عبد الله كنون

* * *

وكتب العلامة الشيخ محمد المكي الناصري ، رئيس المجلس العلمي للعدوتين ، وعضو اكاديمية المملكة المغربية ، ما ياتي :

الحمد لله وحده
حضرة الاخ محمد بن محمد العلمي
تحية اخوية صادقة .

وبعد ، فقد تلقيت بيد الشكر والامتنان قصيدتكم الرائعة المعبرة عن جميل المشاعر ، وكريم العواطف ، وسانتهز اول فرصة قادمة للاجتماع بكم ، وتجديد الاتصال باخوتكم ، والاعراب عن تقديرنا البالغ لعبقريتكم . فشكرا لكم ثم شكرا . والى اللقاء القريب ان شاء الله . والسلام على اخوتكم ورحمة الله .

2 شتنبر 1981

محمد المكي الناصري

* * *

وكتب سيادة عميد كلية الشريعة ، ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس الاستاذ الكبير الحاج احمد ابن شقرون ما يلي :

الحمد لله – في 30 – 7 – 1981

الاخ العزيز ، الشاعر سيدي محمد بن محمد العلمي ،
سلام تام بوجود مولانا الامام

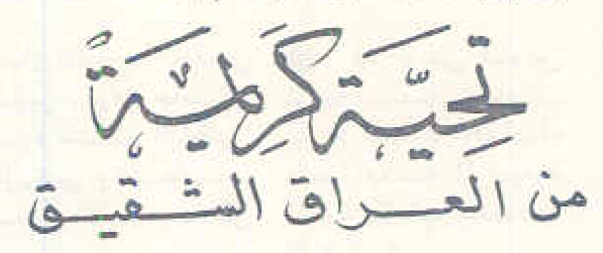
وبعد ، فقد تسلمت قصيدتكم السينية الرائعة التي ابت قريحتكم واريحيتكم الا ان تعربوا فيها لاخيكم عما تضمرون له من عواطف نبيلة وجياشة وصادقة (شنشنة اعرفها من اخزم) .

وقد ارسلتها الى السيد محرر مجلة كلية الشريعة لتنشر في العدد القادم ، اعترافا بجميل القائل ، وتنويها بجهود الذي

قيلت فيه ، وتخليدا لهذا الافق العطري من الذكريات بجامعة القرويين التي عشنا فيها عيشة راضية .

وسابق بالفضل قد غمرني ،
فالفضل منه ، واليه يرجع

ودمتم في حفظ الله ورعايته والسلام .



تحية كريمة من العراق الشقيق

●● تلقت (دعوة الحق) تحية كريمة من احد كبار الصحفيين العرب رواد نهضة الكلمة العربية المؤمنة في العراق الشقيق . يقول الاستاذ صبيح الغافقي في رسالته الينا :

« تحياتي الطيبة . وبعد فقد توصلت اليوم بالعدد 7 ، السنة 20 من مجلة (دعوة الحق) الراقية ، والتي اتابعها منذ ان اهدى لي قبل 20 سنة العدد الاول منها صديقي العلامة الحاج الفاطمي بن سليمان أول سفير للمملكة المغربية في العراق . وكنت وما زلت أجد في هذه المجلة ذلك اللون الرائق من البحوث الادبية والفكرية العميقة في نطاق اهدافها العالية ، من خدمة الاسلام ولغة القرءان الكريم ، وتوثيق الصلة بين مشرق الامة العربية ومغربها ، ودعم الوحدة الثقافية العربية .

فلكم علي حق التهنئة والاعجاب بهذا المجد الطويل النابع من صفاء الايمان وحرارته وارجو لمجلتكم الاستمرار في جهادها وكفاحها » .

العراق : صبيح الغافقي

العدد الممتاز
الخاص بعيد العرش المجيد

●● تهيب مجلة «دعوة الحق» بالسادة الكتاب والباحثين ورجال الفكر والثقافة إلى موافاتها - مشكورين - بإنتاجهم للعدد الممتاز الذي سيصدر بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أجداده المنعمين رضوان الله عليهم.

تفضل «دعوة الحق» أن تصلها المقالات الخاصة بهذا العدد في أقرب وقت ●●

المغرب :

● صدر الجزء الثاني من (اعلام المغرب العربي) عن المطبعة الملكية بالرباط . ويحتوي على تراجم عدد كبير من اعلام الفكر والثقافة والحرب والسياسة في بلدان المغرب العربي الذين تندرج اسماؤهم تحت حرف (ابو الخ ـ احمد) .

موسوعة (اعلام المغرب العربي) من اعداد الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية . وقد بذل في هذا العمل الثقافي الهام جهدا مضنيا ، فجاء في غاية الضبط والاتقان . والاستاذ بن منصور عالم متبحر وبحاثة متمكن وكاتب قدير وبليغ . وكل هذه الصفات ساعدت على اخراج الموسوعة في الشكل الذي يشرف المكتبة المغربية ويعزز المكتبة العربية والاسلامية بمرجع في غاية الاهمية والنفاسة العلمية .

● صدر كتاب تعززت به المكتبة السياسية بالمغرب بعنوان : (محمد حسن الوزاني الداعية الديمقراطي المجاهد) . ويتضمن مجموعة الكلمات والخطب التي القيت بفاس بمناسبة احياء ذكرى وفاة الزعيم المغربي محمد حسن الوزاني رحمه الله . كما اشتمل الكتاب على ترجمة لحياة الوزاني معززة بالصور التاريخية .

ومن المعروف ان محمد حسن الوزاني ، بالاضافة الى دوره السياسي والوطني في حياة المغرب ، كان كاتبا فحلا وصحافيا رائدا واديبا ، له اسلوبه البليغ واداؤه المتميز . وتمثل مجموعة المقالات التي نشرها في الصحف الوطنية التي كان يصدرها تباعا نموذجا من الادب السياسي الرفيع . وحبذا لو اقدمت اسرة الفقيد على جمع وتبويب ونشر مقالاته المنشورة في الصحف الوطنية منذ مطلع الثلاثينيات .

● نظمت وزارة الثقافة ندوة حول تاريخ الاندلس من خلال حياة وآثار أبي مروان بن حيان المؤرخ الاندلسي الشهير . وقد حضر الندوة عدد من الباحثين والمؤرخين والمشتغلين بالبحوث الاندلسية من عرب ومستشرقين . وقد القيت في اطار الندوة التي دامت اياما مجموعة من البحوث والدراسات القيمة تناولت جوانب من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس.

مصر :

● حقق الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة (الثقافة) كتاب (الوسيلة الادبية الى العلوم العربية) ، تاليف حسين المرصفي. وقد صدر الجزء الاول عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

وكتاب (الوسيلة الادبية) من الكتب الرائدة في المجال الادبي التي ساهمت في خلق النهضة . وكان مؤلفه الاستاذ حسين المرصفي من رواد الحركة الادبية في اواخر القرن التاسع عشر .

● د. لويس عوض ـ 66 سنة ـ قرر ان يتبرع بمكتبته الخاصة، وايضا مكتبته الموسيقية لكلية الآداب جامعة القاهرة ..

كما قرر ايضا ان يتنازل عن حقوق تاليف كتبه لاحدى الهيئات الخيرية ..

ومكتبة د. لويس عوض مكتبة متخصصة في الادب الانجليزي بصفة خاصة ، والاداب الاوربية بصفة عامة . وفيها المراجع الاساسية القديمة والحديثة ، كما ان فيها من الكتب اليونانية واللاتينية التي هي اساس الاداب الحديثة .

● عقدت مجلة (المسلم المعاصر) ندوتها الاولى بالقاهرة وموضوعها (المسلم المعاصر في عامها السابع : تقويم ونظرة على المستقبل) . وقد دعى لحضور هذه الندوة عدد من المفكرين الذين شاركوا وتابعوا المجلة منذ اصدار عددها الاول في سنة 1974 .

الكويــــــت :

● صدرت عن الندوة العالمية للانشطة العلمية الاسلامية التي يوجد مقرها بالكويت نشرة اخبارية تشرف عليها وحدة المعلومات التابعة للندوة . وتتضمن النشرة التي توزع على نطاق عالمي اخبار دور النشر الاسلامية والعربية وانشطة المؤسسات والمنظمات والجامعات الاسلامية وانباء المؤتمرات والندوات والمعارض والجديد عن الدوريات والمجلات وآخر ما صدر من كتب التراث . مع عروض مختصرة للرسائل والاطروحات الجامعية . والنشرة في شكلها واخراجها والمادة الاخبارية التي تقدم للباحثين والمختصين تسد فراغا كان ملحوظا في وسائل الاعلام الاسلامي .

نرجو لهذه النشرة المزيد من التوفيق وواسع الانتشار .

● يجري العمل في الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت وفقا لخطوات متتابعة لانجاز ما يلي :

1 ـ استخراج جميع المصطلحات الفقهية كمحاولة لاستيعاب كل ما يتصل بالفقه منها ويجري ترتيبها على حروف المعجم لتسهيل البحث فيها والزيادة عليها كلما عثر على مصطلح جديد .

2 ـ تنويع المصطلحات الفقهية تبعا لمقدار حاجتها الى البيان بين اصلية ومحالة ومرادفة.

3 ـ تخطيط المصطلحات الاصلية تخطيطا تفصيليا لبيان مشتملات كل منها .

4 ـ اخضاع جميع البحوث المكتوبة للمراجعة الخارجية من العلماء والفقهاء وللمراجعة الداخلية من قبل اللجنة العلمية المختصة .

وقد صدر الجزء الاول من الموسوعة الذي بدأ من الهمزة (أ ا ـ أج) ويليه الجزء الثاني الذي شمل (أ ج ـ أ د) . اما الذي تمت كتابته فهو حرف الهمزة وجزء من الباء بحيث يصبح عدد الاجزاء 7 . وسيتم المجلد الثالث في نفس السنة الحالية .

والتقدير المبدئي لاجزاء الموسوعة كلها هو 30 جزءا ، فيؤمل ان يفرغ من انجازها في مدى 10 سنوات على الاقل .

● صدر حديثا كتاب (مقومات العمل الاسلامي) من اعداد جماعة من مسلمي يوغوسلافيا . يتالف الكتاب من فصول ثلاثة: تخلف الشعوب الاسلامية وسببه، النظام الاسلامي، الدين والقانون والفرد والجماعة والمساواة ، ويتطرق الكتاب الى بحث مسائل عدة منها الوحدة الاسلامية ، والملكية والزكاة والربا، ومبدا الشورى ، والتربية والتعليم ، والمراة ، والاقليات .

تـــونس :

● في سلسلة (تراثنا العلمي) التي تصدرها المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم صدر كتاب (الاعمال الرياضية) لبهاء الدين العاملي ، من تحقيق وشرح وتحليل الدكتور جلال شوقي .

العــــراق :

● اعلن الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري في حديث طويل أجرى معه بمناسبة بلوغه سن الثمانين انه يكتب في الوقت الحاضر مذكراته الخاصة . تتناول هذه المذكرات تاريخ الجواهري وحياته الشعرية منذ سنة 1918 .

الاردن :

● خصصت رابطة الكتاب الاردنيين جائزة ادبية باسم الشاعر الاردني مصطفى وهبي التل الملقب بـ (عرار) وقيمتها 500 دينار اردني . وتمنح الجائزة للكتاب الاردنيين كما يمكن منحها للكتاب العرب .

اليمن . ش :

● اقيمت في صنعاء الذكرى الالفية للمؤرخ الحسن بن احمد

الهمداني . وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء جامعة صنعاء ، مع اختتام الاحتفالات بحلول القرن الخامس عشر الهجري .

والهمداني ولد عام 280 هـ . وتوفي سنة 334 هـ . ومن مؤلفاته: (الاكليل ، وصفة جزيرة العرب) .

م . ع . السعودية :

● صدر عن نادي مكة الثقافي كتاب (مكة في القرن 14 هـ) للاستاذ محمد عمر رفيع وقد اهداه مؤلفه الى المغفور له الملك فيصل وكتب الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي كلمة تصدير له جاء فيها:

« في كتابه مكة في القرن الرابع عشر الهجري يرجع بنا مؤلفه المناضل الى عهود كانت على ما فيها من بساطة لا تخلو من نضارة ومن انس وايناس ، وفي هذا الكتاب وصف لا تنقصه الروعة لعادات وتقاليد ما يزال بعضها باقيا الى الآن . . .

ولعله من اهم ميزات الكتاب ان المؤلف يستوعب كل موضوع يتناوله بالحديث استيعابا شاملا فلا يترك شاردة ولا واردة من عناصر البحث كما يقولون الا وينوه بها ويشير اليها .

وستجد في الكتاب ، عدا ما حفل به من حديثه المستفيض عن عادات البلد وتقاليده — ستجد فيه حديثا مستوفيا عن بيوت مكة وحواريها ، وعن طريقة البناء في ذلك العهد ، عهد ما قبل الحرب العالمية الثانية ؛ وعن الاثاث ، والاضاءة ، وعن الملابس . . وعن انواع الاطعمة . . ولست اخفى أن حديثه عن الاطعمة شيق الى أقصى حد ومغر ايضا لولا انه لا سبيل . . على ان معظم ما اشار اليه من انواع الاطعمة ما يزال باقيا ، ان لم اقل انها جميعا باقية دون استثناء ، ومن اهم ما تناوله الكتاب المياه في مكة ، وقد قرات فى فصله هذا ، عن المياه ، تفاصيل لم اجدها فى اى كتاب سابق عن عمارة عين زبيدة وما آلت اليه الآن بعد ان اضيف اليها بعض العيون الاخرى .

ويتتبع حديثه عن المياه ، بحديثه عن انواع المشروبات والمرطبات ، مما لم يبق له أثر الآن ، كالسوبيا واخواتها .

وفي حديثه عن وسائل النقل العديدة ، يذكرنا بالشقدف الذي كان شائع الاستعمال فى الحج وفي السفر بين مكة وجدة والطائف والمدينة، وبخاصة للسيدات . ويشير الى أن استعمال الشقدف قديم ، اذ نوه به كل من ابن جبير وابن بطوطة . ثم تقرأ وصفه للشقدف كانك تراه ، ويتكلم في اسهاب عن حالة مكة الاقتصادية ، وما كان فيها من تجارة رائجة ، ومن صناعات محلية يدوية اندثر اغلبها تقريبا ، بعد ان تقدمت المواصلات ، وزادت صلات البلاد بالخارج ، واصبح ما يرد منها، من هذه الصناعات، ارخص ثمنا ، واجود صنعا ، فهو يغنى عنها بطبيعة الحال .

ولا يفوت المؤلف في حديثه عن أوضاع الاقتصاد ان يتحدث عن المطوفين ووكلاء المطوفين ، والزمازمة ، وعن انظمتهم وما كانت عليه في اوائل القرن الرابع عشر ، وما انتهت اليه الآن . ومن امتع بحوث الكتاب ما اشار اليه حول لهجات المكيين، وما يتفقون أو يختلفون فيه عن غيرهم من أهل الامصار الاخرى ، ويورد طائفة من الالفاظ والمصطلحات مما هو متعارف بين المكيين .

ويستطرد الاستاذ العامودي الى القول : ومن حق مؤلفنا الاديب أن ننوه بعنايته ببحثه هذا ، وان نشير الى ما اورده من معلومات لم يذكرها المؤرخون من قبله ، مما يصح وصفه بانه تاريخ لما اهمله التاريخ . وقد تختلف معه في بعض وجهات النظر ، وقد توافقه في بعض ما كتبه ، غير ان هذا لا يحول دون ان تحترم له رايه الخاص ، ولكل باحث او مؤرخ نظرته الى الامور تتكون لديه من معاناته للبحث، والمؤلف في كثير مما يورده من معلومات انما يعتمد في ذلك على مصادر يثق بها . وهو

في بحثه التاريخي هذا، يستطرد الى ذكر احداث الحرب العالمية الاولى ، وبعض الاحداث في الجزيرة العربية . مما له علاقة بعهد الشريف الحسين ، ثم ما تلا ذلك من حوادث اخرى .

وفي فصول الكتاب يتناول سير التعليم وما تطور اليه ، وما وصل اليه من تقدم كبير ، ويشير الى التعليم الجامعي ، والى مدارس البنات ، ومدارس تحفيظ القرءان ، ويورد لنا احصاءا شاملا عن حركة التعليم يتبين لنا منه الفرق الواسع بين ما كان عليه في الماضي القريب وما أصبح عليه الآن ، الى آخر ما جاء ق هذا التقديم او هو التقويم الشامل لما حفل به الكتاب من حقائق تاريخية .

● قصيدة البردة لكعب بن زهير — شرح ابي البركات الانباري .. مخطوطة نادرة ونسخة وحيدة حصل عليها الدكتور زيني في مكتبة مكة المكرمة وقام بدراستها وتوثيقها وتحقيقها في خطة ادارة النشر لاحياء وبعث التراث العربي انطلاقا من ايمان — تهامة — بأنه المعين الاصيل .

ذلك ما قالته تهامة وهي تقدم كتاب قصيدة البردة الى المعنيين بالشؤون الثقافية والادبية .. والكتاب من بعد دراسة قيمة اضطلع بها الدكتور محمود زيني استاذ الادب العربي المشارك بقسم الدراسات العربية العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة.

والكتاب يقع في 148 صفحة من القطع فوق المتوسط ، وقد تولت مؤسسة تهامة اصداره ونشره في اطار جهودها المبذولة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي .

● صدر عن « الدار السعودية للنشر والتوزيع » كتاب بعنوان : (شيء للفكر : لمحات في الفكر الاسلامي والانساني) الفه فاروق صالح باسلامه . وهو احد الكتاب الشباب في السعودية ، ويساهم بكتاباته في الصحف السعودية حول مختلف القضايا الفكرية والادبية، اضافة الى نشر بعضها في مجلة المنهل ورابطة العالم الاسلامي ، ويضم هذا الكتاب 66 مقالة نشرها الكاتب وتناول فيها عدة قضايا فكرية وادبية وانسانية وعاطفية ، وتنقسم هذه المقالات الى قسمين : قسم في الفكر الاسلامي المعاصر ، وقسم في الفكر الانساني والاجتماعي ، ومما يعبر عن اهتمام فاروق باسلامه بالفكر قوله رادا على البعض : وما درى هذا البعض ان الانسان بغير الفكر يسير ، لا يساوي شيئا كالجسم حينما يكون بلا روح تماما .

● من منشورات النادي الادبي بالرياض، وضمن سلسلة (كتاب الشهر) صدر ديوان الصمة بن عبد الله القشيري المتوفى سنة 95 هـ جمعه وحققه الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل استاذ مساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

ومما يذكر ان هذه المرة الاولى التي يضم فيها شعر الصمة بين دفتي ديوان . وشعر الصمة ليس بالكثير ، ولكن جودته تغني عن كثرته .

الهند :

● ينعقد مهرجان تعليمي كبير بدار العلوم الاحمدية السلفية بدربنجه الهند بمناسبة مرور 65 سنة على تأسيسها . وسيتضمن هذا المهرجان برامج تعليمية متنوعة ومعرضا تعليميا وثقافيا تستعرض فيه الخدمات الاسلامية الجليلة التي قام بها علماء الهند وخاصة العلماء السلفيون والمتخرجون في دار العلوم الاحمدية السلفية التي تعد من اقدم المدارس السلفية في منطقة شمال شرقي الهند . وقد تجاوز عدد خريجيها خمسمائة « عالم » و « فاضل » يقومون بنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة التي كان عليها السلف

الصالح، وبث العلوم الدينية والثقافية الاسلامية في مختلف انحاء الهند وخاصة في ولاية بيهار ومملكة نيبال المجاورة لمدينة دربنجة.

ومن الجدير بالذكر ان مناهج دار العلوم معادلة لمناهج الجامعات السعودية كالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وجامعة ام القرى بمكة المكرمة وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض. وتقديرا لجهود الدار فى مجال التعليم والتربية الاسلامية ورغبة في رفع مستواها قامت رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض بتعيين مبعوثين في دار العلوم للتدريس والدعوة الاسلامية، كما عينت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مندوبا لها للتدريس بدار العلوم.

فرنسا :

● عقدت لجنة تابعة لليونيسكو اجتماعاتها فى الفترة ما بين 14 و 16 اكتوبر المنصرم في مقر المنظمة بباريس لبحث ومناقشة موضوع اصدار مؤلف شامل عن مختلف وجوه الثقافة الاسلامية. وقامت اللجنة بتحديد اسماء الاشخاص الذين ستكلفهم بكتابة وصياغة الفصول التي يتكون منها المؤلف المذكور. وتتكون اللجنة المشرفة على المشروع من عشرة اعضاء قام بتعيينهم في وقت سابق المدير العام لليونيسكو السيد احمد مختار امبو. وسيشمل هذا المؤلف الموسوعي ستة فصول تعالج ركائز الاسلام وعلاقة الفرد والمجتمع في الاسلام، وانتشار الاسلام في مختلف ارجاء العالم، والعلم والثقافة والمعرفة في ظل الاسلام وعلاقة الاسلام بالعالم المعاصر.

انجلترا :

● (الدفاع الاسلامي) مجلة الشؤون العسكرية الاسلامية تصدر كل ثلاثة شهور. سوف تصدر هذه المجلة في كل من جدة ولندن ويحررها فريق من الخبراء الدوليين المتخصصين، وتتناول مسائل الدفاع في الدول الاسلامية.

الاتحاد السوفياتي :

● قام موظفو المكتبة الاوزبكية العامة في الاتحاد السوفياتي بصياغة بيان مفهرس بالمؤلفات المكرسة لمحمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله عالم الرياضيات والفلك المسلم الذي عاش في القرن التاسع الميلادي.

يضم المفهرس المطبوعات الصادرة منذ ظهور الطباعة وحتى أيامنا هذه والتي تحفظ في مختلف مكتبات العالم، ويخصص جزء كبير من هذا البيان لمؤلفات الباحثين السوفيات التي تتناول تراث الخوارزمي العلمي.

زوروا معرض مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بقاعة وزارة الثقافة ابتداء من يوم 4 مارس 1982.

فهرس الموضوعات

الافتتاحيَة

الخطب والكلمات الملكية السامية

مكتبة "دعوة الحق"

قصص

ديوان "دعوة الحق"

دراسات إسلامية

دراسات مغربية

الموضـــــوع	الكاتـــب	العـــدد	الصفحة
— ذكريـات عيـد العـرش المجيـد	الرحالـي الفاروقـي	1	57
— فكرة الاحتفال بعيد العرش انبثقت من صميم الشعـب المغربـي	ابـو بكـر القـادري	1	61
— العرش اخلاق ومبادىء وطموح وحقائق	احمـد مجيـد بن جلـون	1	66
— ملامـح من عبقريـة الحسـن الثانـي	د. امينـة اللـوه	1	69
— جلالة الملك الحسن الثاني أمير من أمراء البيان	رضا الله ابراهيم الالفـي	1	75
— الذكرى العشرون لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين والذكريات المجيدة	الحـاج احمـد معنينـو	1	80
— حافظوا على الروح الاسلاميـة المتجليـة في المسيـرة الخضـراء	عبـد الرحمـان الكتانـي	1	86
— عهد الحسن الثاني انجازات وامجاد	عثمـان بـن خضـراء	1	90
— ذكرى عيد العرش سنة 1401 — 1981	عبـد الفتـاح امـام	1	94
— من ذرر الفكر الحسني : لا نرضى وواحد من امتنـا جاهـل	محمـد حمـزة	1	97
— عـرش الامجـاد والمفاخـر	عـلال البوزيـدي	1	104
— سياسة التعليم في عهد المولى عبـد الرحمان ابـن هشـام	محمد بن عبد العزيز الدبـاغ	1	108
— عيد العرش واشراقة مطلع القرن الخامس عشـر الهجـري	محمـد الرقيـوق	1	115
— محمد الخامس الملك الرائد العبقري	عبـد الرحمـان الزيانـي	1	126
— فلسفة سياسة الملوك العلويين	محمـد الفـاسـي	2	14
— من امجاد الاسلام في المغرب : المنصور بن أبـي عامـر	سعيـد اعـراب	2	18
— ذكرى عيد العرش تأكيد للاصالة والتحديث	محمـد الخطيـب	2	45
— اعيادنـا متعاقبـة وملاحمنـا متـلاحقـة	محمد العربـي الزكـاري	2	55
— رائد البعث الاسلامي الحسن الثانـي	د. يوسف الكتانـي	2	59
— في ركاب المغرب الحسني:أدب المغرب الصحراوي	زيـن العابديـن الكتانـي	2	71
— مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الاسلامي واحياء تراثه الخالـد	احمـد يكـن البامعشـي	2	87
— عبد الله كنون واثره في الثقافة المغربية — 3 —	مصطفـى الشليـح	2	96
— القاضـي عيـاض	عبـد اللـه كنـون	3	10
— سبتـة في عصـر عيـاض	عبـد العزيـز بنعبـد اللـه	3	19
— عيـاض في فـاس	د. عبد الهـادي التـازي	3	32
— عياض بين سبعة رجـال	رضا الله ابراهيـم الالفـي	3	39
— كتاب الشفا في الصحراء المغربية	محمـد الكبيـر العلـوي	3	49
— عبد السلام بن سودة مؤلف اكبر موسوعـة تراجـم في العصر العلـوي	د. محمـد حجـي	4	30
— مستقبلية التعليم بالمغـرب	الحسـن السائـح	4	33

شهريات "دعوة الحق"

قرأت العدد الماضي

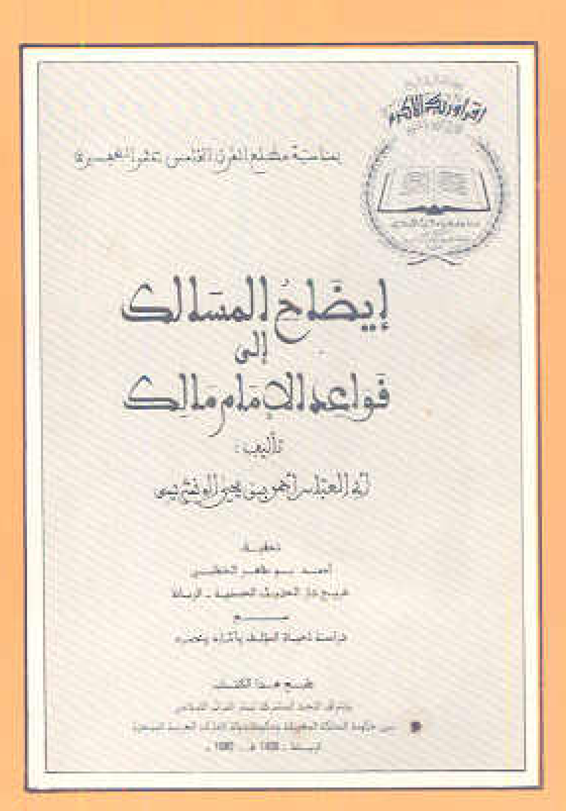


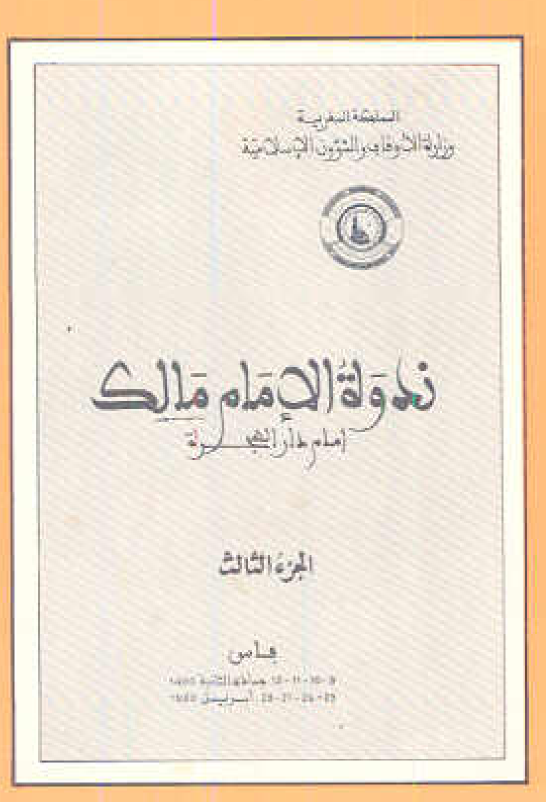
العدد 8 - السنة 22 ● ربيع الاول 1402 / دجنبر 1981 ● الثمن : 5 دراهم .

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

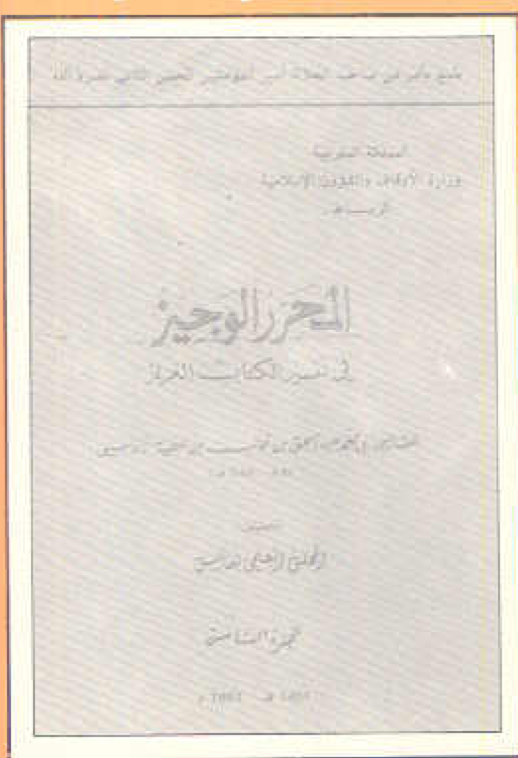
فهرس العدد 8 / السنة 22

موضوعات عامة





من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية





أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"






دعوة الحق
رائدة الصحافة الاسلامية في المغرب العربي

